إِنَّ اللهَ لَيَوَدُّ وَيُحِبُّ (الوِدُّ وَالحُبُّ) [٩٨]

ما الذي يَوَدُّهُ اللهُ وَيُحِبُّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ؟

الحُبُّ صفةٌ فِعْلِيَّةٌ ثابتةٌ لله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ بالكتاب والسنة، والدليل من الكتاب: قوله تعالى: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الـمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥]، وقوله: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه} [المائدة: ٥٤]، والدليل من السنة: حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَومَ خَيْبَرَ: "لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ على يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ، ويُحِبُّهُ اللَّهُ ورَسولُهُ" [٩٩]، وحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ: "إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ" [١٠٠]، فأهل السنة والجماعة يثبتون صفة الحب والمحبة لله عزَّ وجلَّ، على ما يليق به، وليس هي إرادة الثواب؛ كما يقول المؤولة. كما يثبت أهل السنة لازم المحبة وأثرها، وهو إرادة الثواب وإكرام من يحبه سبحانه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إنَّ الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أثبتت محبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له، كقوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وقوله: يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}، وقوله: {أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللهِ وَرَسُولِه}، وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء عليه

٩٨ في كل ما ثبت لله جل جلاله من الأسماء والصفات؛ فإنّ ذلك كله لائق برب العالمين جل جلاله، يوصف به على وجه الكمال والجمال والجلال، لا يشبه في ذلك أحدا من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلق؛ قال تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) [الشورى: ١١]، فلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل لصفات الله سبحانه، بل نثبتها كما جاءت في النصوص، ولا يجوز تأويلها عن ظاهرها ولا يجوز تشبيه الله بخلقه. {انظر: [الهامش رقم ٤٠ ص ٥٢]}.

٩٩ حديث صحيح: رواه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).

١٠٠ حديث صحيح: رواه مسلم ٢٩٦٥.

السـلام" [١٠١]، ويوصف الله عزَّ وجلَّ بأنه الوَدُود، الذي يَوَدُّ ويحبُّ عباده الصالحين ويودونه، وهذا ثابت بالكتاب العزيز، و(الوَدُودُ) من أسمائه تعالى. والدليل: قوله تعالى: {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} [هود: ٩٠]، وقوله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَهُوَ الْغَفُورُ الوَدُود} [البروج: ١٤]، والوِدُّ والمَوَدَّة: الحب والمحبة، والوَدُودُ: المُحِبُّ [١٠٢]. قال أبو القاسم الزجاجي: "الوَدُودُ: فيه قولان: أحدهما: أنه فعولٌ بمعنى فاعلٍ؛ كقولك: غفورٌ بمعنى غافر، وكما قالوا: رجلٌ صَبورٌ بمعنى صابر، وشَكورٌ بمعنى شاكر، فيكون الوَدُودُ في صفات الله تعالى عزَّ وجلَّ على هذا المذهب أنه يودُّ عبادهُ الصالحينَ ويُحبهم، والودُّ والمودةُ والمحبة في المعنى سواءٌ؛ فالله عزَّ وجلَّ ودودٌ لأوليائه والصالحين من عباده، وهو مُحِبٌّ لهم. والقول الآخر: أنه فعولٌ بمعنى مفعولٍ؛ كما يقال: رجل هيوبٌ؛ أي: مهيبٌ، فتقديره: أنه عزَّ وجلَّ مودودٌ؛ أي: يوده عباده ويحبونه وهما وجهان جيدان. وقد تأتي الصِّفة بالفعل لله عزَّ وجلَّ ولعبده، فيقال: العبد شكور للهِ؛ أي: يشكر نعمته، والله عزَّ وجلَّ شكورٌ للعبد؛ أي: يشكر له عمله؛ أي: يجازيه على عمله، والعبد توابٌ إلى الله من ذنبه، والله تَوَّابٌ عليه؛ أي: يقبل توبته ويعفو عنه" [١٠٣]، وقال ابن القيم: "الوَدُودُ المُتَوَدِّدُ إلى عباده بنعمه الذي يَوَدُّ من تاب إليه وأقبل عليه وهو الوَدُودُ أيضاً أي المحبوب قال البخاري في (صحيحه) الوَدُودُ: الحبيب. والتحقيق أنَّ اللفظ يدل على الأمرين على كونه وادًّا لأوليائه ومَوْدُوداً لهم فأحدهما بالوضع والآخر باللزوم فهو الحبيب المحب لأوليائه يحبهم ويحبونه" [١٠٤].

والله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَوَدُّ وَيُحِبُّ متى شاء وليس لذلك حصر، فتعالى وتبارك الله سبحانه عزَّ وجلَّ أن يحيط أحد بمعرفته {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ

١٠١ مجموع الفتاوى (٢ / ٣٥٤).

١٠٢ انظر: (لسان العرب).

١٠٣ اشتقاق أسماء الله؛ ص ١٥٢.

١٠٤ التبيان في أقسام القرآن؛ ص: ٥٩، وانظر: تفسير غريب القرآن؛ ص ١٨؛ لابن قتيبة.

عِلْمًا} [سورة طه: ١١٠]، سبحانه وتعالى {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [سورة الرحمن: ٢٩]، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "الأسباب الجالبة للمحبة، والموجبة لها وهي عشرة:

- أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه، ليتفهم مراد صاحبه منه.
- الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.
- الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.
- الرابع: إيثار محابّه على محابّك عند غلبات الهوى، والتسنُّم إلى محابّه وإن صعب المرتقى.
- الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها وتقلُّبه في رياض هذه المعرفة. فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة. ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.
- السادس: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته.
- السابع: وهو من أعجبها، انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.
- الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.
- التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أنّ فيه مزيدا لحالك، ومنفعة

لغيرك.

- العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فمن هذه الأسباب العشرة؛ وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب، وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة، وبالله التوفيق" [١٠٥]، وقد وردت أدلة كثيرة من الكتاب والسنّة الصحيحة تدل على بعض هذه الأسباب والأعمال والمواطن الجالبة لمحبة الله ووده سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ؛ ومن ذلك:

١. المَوْطِنُ الأَوَّلُ: **"محبّة العبد لله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)"**: قَالَ الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [سورة المائدة: ٥٤]، فمحبة الله للعبد {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} (وتوبته عليه {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا}، ورضاه عنه [رضا الله يسبق رضا العبد] {رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}) تأتي أولاً، ومحبة الله تعالى رأس الإيمان، وأساس العبودية لله جل وعلا، وقد أثنى الله بها على المؤمنين فقال سبحانه: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } [سورة البقرة: ١٦٥]، ومن أحب الله تعالى، أحب كلامه، وتتبع أوامره ونواهيه.

٢. المَوْطِنُ الثَّانِي: **"متابعة النبيّ صلى الله عليه وسلم"**: قَالَ الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [سورة آل عمران: ٣١]، فما لم يكن في زمانه صلى الله عليه وسلم دينًا، فليس بدين؛ وقد أمَرَنا الله عز وجل بمتابعة رسولنا صلى الله عليه وسلم وطاعته والاقتداء به، وعدم الخروج عن سنَّته، وإلا ضللنا ضلالًا بعيدًا، وكنا من الأخسرين أعمالًا،

١٠٥ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم الجوزية ج ٣ ص ١٧ - ١٨.

وقد نُهينا أعظم النهي وأشده عن مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباع أهوائنا وما أُحدِث في الدين مِن بِدع، وكما يجب على المسلم أن يوحِّد المعبود جلَّ وعلا؛ فلا يعبد غيره، ولا يقصد سواه، وهو ما تضمنه قولنا: "لا إله إلا الله"، فكذلك يجب على المسلم أن يوحِّد المتبوع، فلا متبوع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه المُبلِّغ عن الله ما شرعه لعباده، وهو معنى قولنا: "محمد رسول الله" صلى الله عليه وسلم، فليس عبدًا لله مَن لم يلتزم بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن ربه، ولم يتبع منهجه ولم يطبق شرعَه، وإن أقرَّ بأن الله خالقه ورازقه، فلقد أقرَّ بذلك مِن قبله المشركون، ولم يكونوا به مؤمنين، ولم يَخرجوا عن كونهم مشركين؛ لأنهم لم يؤمنوا بالله إلهًا معبودًا ومشرِّعًا حكيمًا، ولم يؤمنوا برسوله صلى الله عليه وسلم نبيًّا متبوعًا ورسولًا مبلِّغًا عن رب العالمين، والعبادة والطاعة لله عز وجل لا تقبل إلا إذا توفر فيها ركنان: الإخلاص لله عز وجل والمتابعة لأمر النبيّ صلى الله عليه وسلم في أداء العبادة، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ في كتابه بالطاعة والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل الجوانب والمجالات، قال تعالى: {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [سورة النساء: ٨٠]، ومن ذلك طاعته ومتابعته والاقتداء به في أداء العبادات والطاعات والمناسك والحدود؛ ومن أمثلة ذلك في الوضوء: عَن عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، قَالَ: رَأَيْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ تَوَضَّأَ نَحْوَ وضُوئِي هذا ثُمَّ قَالَ: "مَن تَوَضَّأَ وُضُوئِي هذا، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ لا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ فِيهِما بشيءٍ، إلَّا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ" [١٠٦]، وفي الصّلاة: عَن مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عنْه، عن النبيّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قَالَ: "وصَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وإذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أكْبَرُكُمْ" [١٠٧]، وفي

١٠٦ حديث صحيح: أخرجه البخاري ١٩٣٤، ومسلم ٣ - ٢٢٦؛ ومعنى قوله: "نحو وضوئي"، أي: مثل وضوئي.

١٠٧ حديث صحيح: أخرجه البخاري ٦٠٠٨، ومسلم ٢٩٢ - ٦٧٤.

المناسك {أي مناسك الحج}: عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عنْهما، قَالَ: رَأَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَرْمِي علَى رَاحِلَتِهِ يَومَ النَّحْرِ، ويقولُ: "لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فإنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذِه" [١٠٨]، فهذه الأحاديث وغيرها تأمرنا بالحرص على تبيّن سنته صلى الله عليه وسلم، واتباعها والتزامها، حتى تقع عباداتنا على صورتها الأتم والأكمل، فإنّ الحرص على الدقة في أداء العبادات يجب أن يكون في منزلة أعلى مما يحرص عليه الناس من أمور معاشهم ودنياهم، وهذا يلزم كل مسلم ومسلمة يريدان محبة الله عز وجل الحرص على تعلم طريقة وضوء النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يصليا لله عز وجل على طريقته صلى الله عليه وسلم، والتي نقلها لنا الصحابة في كتب السُنّة؛ لينالا هذا الأجر، وينالا محبة الله عز وجل، وكذلك الحرص على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في المناسك {أي مناسك الحج}، وفي الحدود كعقوبة الزنا، وفي الدعاء، والسبيل إلى اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في العبادات والشعائر والمعاملات هو تعلمها بشكل صحيح، [وليعلم أنّ المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمور ستة [١٠٩]:

الأول: السبب فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعيّاً فهي بدعة مردودة على صاحبها، مثال ذلك أن بعض الناس يحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عرج فيها برسول الله صلى الله عليه وسلّم فالتهجد عبادة ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة؛ لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعاً. وهذا الوصف ـ موافقة العبادة للشريعة في السبب ـ أمر مهم يتبين به ابتداع كثير مما يظن أنه من السنة وليس من السنة.

الثاني: الجنس فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها فلو تعبد إنسان لله

١٠٨ حديث صحيح: صحيح مسلم: ٣١٠ - ١٢٩٧.

١٠٩ الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع؛ العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى.

بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة، مثال ذلك أن يضحي رجل بفرس، فلا يصح أضحية؛ لأنه خالف الشريعة في الجنس، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام، الإبل، البقر، الغنم.

الثالث: القدر فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة فنقول: هذه بدعة غير مقبولة لأنها مخالفة للشرع في القدر، ومن باب أولى لو أن الإنسان صلى الظهر مثلاً خمساً فإن صلاته لا تصح بالاتفاق.

الرابع: الكيفية فلو أن رجلاً توضأ فبدأ بغسل رجليه، ثم مسح رأسه، ثم غسل يديه، ثم وجهه فنقول: وضوءه باطل؛ لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

الخامس: الزمان فلو أن رجلاً ضحى في أول أيام ذي الحجة فلا تقبل الأضحية لمخالفة الشرع في الزمان. وسمعت أن بعض الناس في شهر رمضان يذبحون الغنم تقرباً لله تعالى بالذبح وهذا العمل بدعة على هذا الوجه لأنه ليس هناك شيء يتقرب به إلى الله بالذبح إلا الأضحية والهدي والعقيقة، أما الذبح في رمضان مع اعتقاد الأجر على الذبح كالذبح في عيد الأضحى فبدعة. وأما الذبح لأجل اللحم فهذا جائز.

السادس: المكان فلو أن رجلاً اعتكف في غير مسجد فإن اعتكافه لا يصح؛ وذلك لأن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد ولو قالت امرأة أريد أن أعتكف في مصلى البيت. فلا يصح اعتكافها لمخالفة الشرع في المكان. ومن الأمثلة لو أن رجلاً أراد أن يطوف فوجد المطاف قد ضاق ووجد ما حوله قد ضاق فصار يطوف من وراء المسجد فلا يصح طوافه لأن مكان الطواف البيت قال الله تعالى لإبراهيم الخليل: {وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ} [سورة الحج: ٢٦].

فالعبادة لا تكون عملاً صالحاً إلا إذا تحقق فيها شرطان: الأول: الإخلاص ـ الثاني: المتابعة، والمتابعة لا تتحقق إلا بالأمور الستة الآنفة الذكر].

٣. المَوْطِنُ الثَّالِثُ: **"الاستغفار والتوبة"**: قَالَ اللهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} [سورة هود: ٩٠]: "{وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ}: عما اقترفتم من الذنوب، {ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ}: فيما يستقبل من أعماركم، بالتوبة النصوح، والإنابة إليه بطاعته، وترك مخالفته، {إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ}: لمن تاب وأناب، يرحمه فيغفر له، ويتقبل توبته ويحبه، ومعنى الودود، من أسمائه تعالى، أنّه يحب عباده المؤمنين ويحبونه؛ [تفسير السعدي]"، وقَالَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ} [سورة البقرة: ٢٢٢]: "{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ} أي: من ذنوبهم على الدوام؛ [تفسير السعدي]".

٤. المَوْطِنُ الرَّابِعُ: **"المؤاخاة والمحبة في الله"**: قَالَ اللهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [سورة آل عمران: ١٠٣]، وقد جاءت الآيات والأحاديث والنصوص الشرعية بالترغيب في الإخوة في الله، وإقامة العلاقة بين المؤمن وأخيه على أساس الدين، والتمسك بحبل الله، وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: "حقَّتْ مَحَبَّتِي على المُتَحابِّينَ فِيَّ، وحقَّتْ مَحَبَّتِي على المُتَناصِحينَ فِيَّ، وحقَّتْ مَحَبَّتِي على المتباذلِينَ فِيَّ، وهُمْ على مَنابِرَ من نُورٍ، يَغْبِطُهُمْ النبيُّونَ والشهداءُ والصِّدِّيقُونَ" [١١٠]، فالمتحابون في الله على منابر من نور، يغبطهم الأنبياء والصديقون

١١٠ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب ٣٠١٩؛ أخرجه أحمد (٢٢٨٣٤)، وابن حبان (٥٧٧) باختلاف يسير، والطبراني (٨٨/٢٠) (١٦٨) مختصراً.

فمِن الصِّفاتِ العظيمةِ الَّتي تُرضِي اللهَ المحبَّةُ فيه، والمحبَّةُ في اللهِ تَكونُ خالِصةً مِن الأغراضِ الدُّنيَويَّةِ، فهي تَكونُ لِوَجهِ اللهِ تَعالى، وفي هذا الحَديثِ بَيانٌ لِعَظيمِ أجْرِ المُتحابِّينَ في اللهِ، فيَروي التَّابعيُّ أبو مُسلِمٍ الخَوْلانيُّ: "قُلتُ لِمُعاذِ بنِ جَبَلٍ: واللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ لِغَيرِ دُنيا أرْجو أنْ أُصيبَها مِنكَ، ولا قَرابةَ بيْني وبيْنَكَ، قال: فلأيِّ شَيءٍ؟ قُلتُ: للهِ"، أي: أنَّ هذه المحبَّةَ محبَّةُ قُلوبٍ خالِصةٍ لا تَتعلَّقُ بأيِّ شَيءٍ من أُمورِ الدُّنيا التي يَتقارَبُ النَّاسُ من أجْلِها "قالَ: فجَذَب حَبْوتي"، وهي مَوضِعُ مَعقِدِ الثِّيابِ من وَسَطِ الجَسَدِ "ثُمَّ قالَ: أبْشِرْ إنْ كُنتَ

والشهداء على هذه المكانة، فهنيئاً لهم بهذه المكانة، على هذا العمل وهو الحب في الله تعالى، ومن فضائل الحب في الله: محبة الله تعالى للمتحابين فيه، والمتحابون في الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، والحب في الله من أسباب دخول الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أَنَّ رَجُلًا زارَ أَخًا له في قَرْيَةٍ أُخْرى، فأَرْصَدَ اللَّهُ له، على مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمّا أتى عليه، قالَ: أيْنَ تُرِيدُ؟ قالَ: أُرِيدُ أَخًا لي في هذِه القَرْيَةِ، قالَ: هلْ لكَ عليه مِن نِعْمَةٍ تَرُبُّها؟ قالَ: لا، غيرَ أنِّي أحْبَبْتُهُ في اللهِ عزَّ وجلَّ، قالَ: فإنِّي رَسولُ اللهِ إلَيْكَ، بأنَّ اللَّهَ قدْ أحَبَّكَ كما أحْبَبْتَهُ فِيهِ" [111]، وفي الحديث القدسي: "حقَّتْ مَحَبَّتِي على المُتَحابِّينَ فِيَّ، وحقَّتْ مَحَبَّتِي على

صادِقًا، فإنِّي سَمِعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، يقولُ: "المُتَحابُّونَ في اللهِ" وهُم الَّذين كانتْ قُلوبُهم مُجتمِعةً على المَحبَّةِ في ذاتِ اللهِ تَعالى، وكان سببُ حُبِّهم هو إجْلالُ اللهِ وتَعْظيمُه، فلا يُحِبُّون إلَّا ما يُحِبُّه اللهُ، "في ظِلِّ العَرشِ يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ"، فيُوقِفُهم اللهُ تَحتَ عَرشِهِ ويَستَظِلُّونَ به من حَرِّ المَوقِفِ يَومَ القيامةِ في ذلِكَ اليَومِ الَّذي تَدْنو فيه الشَّمسُ مِن رُؤوسِ العِبادِ، ويَشتَدُّ عليهم حَرُّها، "يَغبِطُهُم بمَكانِهِم النَّبيُّونَ والشُّهَداءُ"، والغِبْطةُ هي أنْ يتَمنَّى الإنسانُ نِعْمةً على ألَّا تَزولَ عن صاحِبِها، وقيلَ: هي الاستِحْسانُ، والمَعْنى: أنَّ الأنبياءَ والشُّهَداءَ يَستحسِنونَ أحْوالَ هؤلاءِ المُتَحابِّينَ لِقُرْبِهم من اللهِ تَعالى، قال أبو مُسلِمٍ الخَوْلانيُّ: "ولَقيتُ عُبادةَ بنَ الصَّامِتِ، فحَدَّثتُهُ بحَديثِ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ، فقالَ: سَمِعتُ رسولَ اللهِ يقولُ عن ربِّهِ تَبارَكَ وتَعالى: حقَّتْ مَحبَّتي على المُتَحابِّينَ فيَّ"، وهُم قَومٌ تَحابُّوا بنُورِ اللهِ من غَيرِ أرحامٍ، ولا أنْسابٍ، "وحقَّتْ مَحبَّتي على المُتَناصِحينَ فيَّ"، فيَبذُلُ بَعضُهُم لِبَعضٍ النَّصيحةَ الخالِصةَ الصَّادِقةَ، ومِن ذلك التنبيهُ على فِعلِ المأموراتِ وتركِ المنهيَّاتِ مَحبَّةً في اللهِ، "وحقَّتْ مَحبَّتي على المُتَبادِلينَ فيَّ" الَّذين يُنفِقونَ أمْوالَهم في طاعةِ اللهِ سُبْحانَهُ، وكما أمَرَهُم اللهُ، ويُنفِقونَها عن مَحَبَّةٍ للهِ ورضًا بأوامِرِهِ، "وهُم على مَنابِرَ من نُورٍ" والمِنبَرُ هو ما يُجلَسُ عليه في المَحافِلِ، وهذه المَنابِرُ يَومَ القيامةِ تكونُ مِن نُورٍ، فتكونُ في أجمَلِ صُورةٍ، وأحسَنِ مَنظَرٍ وأَبْهاهُ، "يَغبِطُهُم النَّبيُّونَ، والشُّهَداءُ والصِّدِّيقونَ"، وهذا يدُلُّ على عَظيمِ مَكانِهِم، ورِفْعةِ مَنزِلَتِهِم بحيث يَتمنَّاها أعظَمُ النَّاسِ أجْرًا من النَّبيِّينَ والشُّهَداءِ والصِّدِّيقينَ.

وفي الحَديثِ: حَثٌّ على التَّحابِّ في اللهِ، ومِن أجْلِهِ لا مِن أجْلِ أغْراضٍ دُنيويَّةٍ زائلةٍ.

وفيه: أنَّ التناصُحَ بيْنَ المسلِمينَ يُورِثُ مَحبَّةَ اللهِ.

111 حديث صحيح: صحيح مسلم ٣٨ - ٢٥٦٧.

المُتَناصِحينَ فِيَّ، وحقَّتْ مَحَبَّتِي على المتباذلِينَ فِيَّ، وهُمْ على مَنابِرَ من نُورٍ، يَغْبِطُهُمْ النبيُّونَ والشهداءُ والصِّدِّيقُونَ" [١١٢]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: ... ورَجُلانِ تَحابَّا في اللهِ اجْتَمَعا عليه وتَفَرَّقا عليه، ... " [١١٣]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ يقولُ يَومَ القِيامَةِ: أَيْنَ المُتَحابُّونَ بجَلالِي، اليومَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يَومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلِّي" [١١٤]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله

في هذا الحديثِ يُخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ رجلًا زارَ أخًا له، أي: أرادَ زِيارةَ أخيهِ المسلمِ في اللهِ، في قَريةٍ أُخرى، أي: غيرِ مكانِ الزّائرِ؛ فَأرصدَ اللهُ له على مَدرجَتِه، أي: أعدَّ وهيَّأَ أو أَقعَدَ في طريقِهِ ملِكًا، فلمّا أتى الرَّجلُ على الملَكِ؛ سألَه الملَكُ: أينَ تُريدُ؟ فَأجابَه: أُريدُ أخًا، أي: زِيارةَ أخٍ لي في هذه القَرْيةِ؛ فَسألَهُ الملَكُ: هلْ لكَ عليه، أي: على الْمَزورِ مِن نِعمةٍ تَربُّها؟ أي: تقومُ بِإصلاحِها وإتمامِها، أي: هلْ هو مَملوكُكَ أو ولدُكَ أو غيرُهما ممَّنْ هو في نَفقتِكَ وشفقتِكَ؛ لِتحسنَ إليه، و«تَربُّها» مِن رَبَّ فلانٌ الضَّيْعَةَ، أي: أَصلَحَها وأتَمَّها؛ فَأجابَه الرَّجلُ: لا، غيرَ أنِّي أَحببْتُه في اللهِ، أي: ليس لي داعيةٌ إلى زيارتِه إلّا مَحبَّتِي إيّاه في طَلَبِ مَرضاةِ اللهِ؛ قالَ الملَكُ لِلرَّجلِ: فَإنِّي رسولُ اللهِ إليكَ بأنَّ اللهَ قدْ أحبَّكَ كما أحببْتَه فيه، أي: إنَّ اللهَ أحبَّكَ لِمحبَّتِكَ صاحبَكَ في اللهِ.

في الحديثِ: إثباتُ صفةِ الحبِّ والمحبَّةِ للهِ عزَّ وجلَّ، على ما يَليقُ به.

وفيه: فضلُ المحبَّةِ في اللهِ عزَّ وجلَّ. وفيه: فضيلةُ زيارةِ الصّالحينَ. وفيه: أنَّ الآدميّينَ قد يَرونَ الملائكةَ.

١١٢ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب ٣٠١٩؛ أخرجه أحمد (٢٢٨٣٤)، وابن حبان (٥٧٧) باختلاف يسير، والطبراني (٨٨/٢٠) (١٦٨) مختصراً.

١١٣ متفق عليه؛ أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم ٩١ - ١٠٣١.

١١٤ حديث صحيح: رواه مسلم برقم ٣٧ - ٢٥٦٦.

في هذا الحديثِ يُبَيِّنُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ يومَ القيامةِ، أي: على رؤوسِ الأشهادِ؛ تَعظيمًا لِبعضِ العِبادِ مِنَ العِبادِ أينَ المتحابُّونَ بِجلالي؟ أي: بِسببِ عَظمتي ولِأجْلِ تعظيمي، أوِ الَّذِينَ يكونُ التَّحابُبُ بينهم؛ لِأجْلِ رِضا جَنابِي وجزاءِ ثَوابي؛ اليومَ أُظِلُّهم في ظِلِّي يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلِّي، والمرادُ منه ظِلُّ العرْشِ- كما في حديثٍ آخَرَ، وفي الحديثِ: سؤالُ اللهِ تعالى عَنِ الْمُتحابّينَ مع عِلمِه بِمكانِه؛، لِيُنادِيَ بِفضْلِهم في ذلك الموقِفِ. وفيه: حَثُّ اللهِ على التَّحابِّ في جَلالِه. وفيه: فَضْلُ المحبَّةِ في اللهِ عزَّ وجلَّ.

عليه وسلم قَالَ: "لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتّى تَحابُّوا، أوَلا أدُلُّكُمْ على شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ" [١١٥]، وقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أنّ من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان، إذن تحق عليه محبة الله، ويكون على منبر من نور، ويكون تحت ظل العرش، ويكون قد أخذ بأوثق عرى الإيمان، ويكون في جلال الله تعالى، ويكون استكمل الإيمان إذا كانت محبته لأخيه في الله، فهي علاقة عظيمة، ومقابلها كبير، شديدة التأثير، وفضلها عظيم، وما تحابَّ اثنان في الله تعالى إلا كان أفضلها أشدهما حباً لصاحبه، فهنيئاً لك يا عبد الله، يا من أحببت في الله، كلما اشتدت محبتك لأخيك، كلما ازددت من الله قرباً، وازدادت محبة الله لك، ومن سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله، وإذا أحب أحدكم صاحبه، فليأته في منزله، فليخبره أنّه يحبه لله كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد، ثم إنّ هناك فائدة مهمة جداً لقضية الحب في الله، وهي أنّ المرء مع من أحب، فيحشر إذن معه.

٥. المَوْطِنُ الخَامِسُ: **"الإكثار من النوافل"** [١١٦]: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ قَالَ

١١٥ حديث صحيح: رواه مسلم برقم ٩٣ - ٥٤.

السَّلامُ أوَّلُ أسْبابِ التآلُفِ ومِفتاحُ استِجْلابِ المودَّةِ، وفي إفْشائِهِ أُلْفةٌ لِلمُسلِمينَ بعضُهُم لِبعْضٍ وإظهارُ شِعارِهم المميَّزِ لهم مِن غَيرِهم، وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، أنَّه لَن يدخُلَ الجنَّةَ إلّا المؤمِنونَ، فيَقولُ: لا تدْخلونَ الجنَّةَ حتى تُؤمِنوا، ولا تُؤمِنوا حتى تحابُّوا، أيْ: لا يكتَمِلُ إيمانُكم حتّى يُحبَّ بعضُكُم بَعضًا، ثمَّ يَقولُ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أوَ لا أدُلُّكم عَلى شَيءٍ سَهلٍ يَسيرٍ إذا فَعَلْتُموهُ تَحابَبْتم؟ أفْشُوا السَّلامَ بَينكُمْ؛ فاللهُ عزَّ وجَلَّ جعلَ إفْشاءَ السَّلامِ سببًا لِلمَحبَّةِ، والمحَبَّةَ سببًا لِكَمالِ الإيمانِ؛ لأنَّ إفْشاءَ السَّلامِ سببٌ للتَّحابِّ والتوادِّ، وهوَ سببُ الأُلْفةِ بينَ المسلِمينَ المسبِّبُ لِكمالِ الدِّينِ وإعْلاءِ كَلمةِ الإسلامِ. وفي التَّهاجُرِ والتقاطُعِ والشَّحْناءِ التفرِقةُ بينَ المسلِمينَ، وفي الحديثِ: الأمرُ بإفْشاءِ السَّلامِ لِما فيهِ من نَشْرِ المحبَّةِ والأمانِ بينَ الناسِ، وفيه: إرْشادُ النَّبيِّ لأمَّتِه إلى أسبابِ الفَوزِ والنَّجاةِ ودُخولِ الجنَّةِ.

١١٦ أحب شيء إلى الله أن تتقرب إليه بفعل ما افترضه عليك، وهذا في جميع الأبواب، فبعد الإسلام الصلوات الخمس، وهي أعلى الواجبات، وأعظم القربات، وفي باب النفقات يأتي في مقدمتها الزكوات المفروضات،

رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادى لي وليًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ" [117]، فالقائم بالفرائض محب، والقائم بالنوافل بعدها محبوب، وإذا كان

وفي باب الصيام صوم رمضان، ثم بعد ذلك "حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا"، وهذه الفرائض عليها قوام الدين، وهي أعمدته التي يقوم عليها بناؤه، فإن تركتها هدمت دينك أو ركنا من أركانه، وكل من هذه الواجبات جعل الله له نوافل من جنسه، غير أنّه لا تقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة، وهذه الفرائض مهما حاول الإنسان إكالها وإتمامها والإتيان بها على وجهها، فلا بد أن يعتريها نقص ويدخل عليها خلل، إما كمًّا بنسيان بعضها، أو تركه زمن الصبا قبل التوبة والمواظبة، وإما في صفاتها وهيئاتها وأركانها وسننها، أو في خشوعها وصدق النية فيها والإخلاص لله تعالى فيها، وقد دل على وجود هذا الخلل حديث عمار بن ياسر في المسند قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إنَّ العبدَ لَيصلِّي الصَّلاةَ ما يُكتُبُ لَهُ منْها إلّا عُشرُها، تُسعُها، ثمنُها، سُبعُها، سُدسُها، خمسُها، ربعُها، ثلثُها، نصفُها" [حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صفة الصلاة ٣٦]، ويوم القيامة أول ما يحاسب الله عليه عباده الفرائض والواجبات، فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئا، قال الله عزّ وجلّ: انظروا هل لعبدي من تطوع، فإن كان له تطوع، قال أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك، وأول فائدة من فوائد المحافظة على النوافل هي إتمام الفرائض وجبر نقصها، قال ابن تيمية رحمه الله: "من قصر في أداء الفوائت، فليكثر من النوافل؛ فإنّ الله يحاسب بها يوم القيامة". (جامع المسائل: ١٠٩/٤). ولهذا كان ترك السنن والمداومة على تفويتها خذلانًا وقلة دين، ومخالفةً لهدي الصحابة والسابقين: يقول ابن حجر: "كان صدر الصحابة ومن تبعهم يواظبون على السنن مواظبتهم على الفرائض، ولا يفرقون بينهما في اغتنام ثوابهما". قال ابن عقيل الحنبلي رحمه الله: "الاستمرار على ترك السنن خذلان". قال ابن قاسم (٢ /٢١١): "تركها يدل على قلة الدين". قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"من أصر على ترك السنن الرواتب دل ذلك على قلة دينه، وردت شهادته".

١١٧ حديث صحيح: صحيح البخاري ٦٥٠٢.

يَحكي أبو هُرَيرَة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: مَن عادى؛ أي: آذى، لي وليًّا، وهو مَن يتولّى اللهُ سبحانه وتعالى أمْرَه ولا يَكِلُه إلى نفْسه لحظةً، بل يتولّى الحقُّ رعايتَه، أو هو

من فوائد المداومة على السنن والنوافل جبر نقص الفرائض وصيانة الدين من النقص، فإنّ لها أيضًا منافع أخرى كثيرة منها:

- **النوافل سياج لحفظ الفرائض:** فالنوافل سياجٌ منيع للمكتوبات، ومن حافظ عليها عَظم قدر الفرائض في قلبه، فهي لها كالحمى، والصيانة والحفظ، من داوم عليها وحافظ عليها، كان أكثر محافظة على الفرائض، ولا تفوت الفرائض إلا على من ضيع النوافل، وقلّ أن يترك عبدٌ النوافل تركًا تاما إلا امتحن بتركِ الفرائض. يقول الإمام العابد يونس بن عبيد:"ما استخف رجل بالتطوع إلا استخف بالفريضة" [١١٨]، وقال الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "ملازَمة الاقتِصَار على الفرائضِ وتَركُ التَنفُل يفضِي إلى إيثارِ البطالة، وعدمِ النشاطِ إلى العبادة" [١١٩].
- **عظم أجرها وكبير ثوابها:** قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦١]، وقال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "رَكْعَتا

الذي يتولّى عبادةَ الله وطاعته، فعباداته تَجري على التَّوالي من غير أنْ يتخلَّلها عصيان، فقد آذنتُه أي: أعلَمتُه بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه؛ أي: أوجبتُه عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل مع الفرائض كالصَّلاة والصِّيام؛ حتى أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يَسمَع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطِش بها، ورِجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه ما سأل، ولئنِ استعاذني لأُعيذنَّه ممّا يخاف، وما تردَّدتُ عن شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن نفْسِ المؤمن؛ وليس هذا التردد من أجل الشك في المصلحة، ولا من أجل الشك في القدرة على فعل الشيء، بل هو من أجل رحمة هذا العبد المؤمن، ولهذا قال في نفس الحديث: يكره الموت، وأكره إساءته، ولا بد له منه؛ يَكره الموت؛ لِما فيه من الألم العظيم، وأنا أكره مَساءَتَهُ؛ لِما يَلْقى المؤمن من الموتِ وصُعوبته. في الحديث: النَّهي عن إيذاء أولياء الله. وفيه: التَّرغيب في حبِّ أولياء الرَّحمن، والاعتراف بفضلهم. وفيه: أنَّ أحبَّ الأعمالِ فِعلُ الفرائض، وأفضلُ القُرُبات بَعدَها فِعلُ النَّوافل.

١١٨ المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود - ج ٧ ص٣٢١.

١١٩ فتح الباري (٩/١٣٤).

الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَما فِيها" [١٢٠]، وقال صلى الله عليه وسلم: "مَن صامَ رَمَضانَ ثُمَّ أتْبَعَهُ سِتًّا مِن شَوّالٍ، كانَ كَصِيامِ الدَّهْرِ" [١٢١]، وقال صلى الله عليه وسلم: "مَن تَصَدَّقَ بعَدْلِ تَمْرَةٍ مِن كَسْبٍ طَيِّبٍ، ولا يَقْبَلُ اللَّهُ إلّا الطَّيِّبَ، وإنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُها بيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيها لِصاحِبِهِ، كما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حتّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ" [١٢٢].

- **تفتح لصاحبها أبواب المغفرة:** النوافل تفتح أبواب المغفرة، وتيسر طريق السعادة، وبها تقضى الحاجات، وتقال العثرات، ويستجاب الدعاء، وتزول الأمراض والأدواء، وينزل صاحبها في رحاب الجنة؛ فمن توضّأ وأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه، والعمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، وصوم يوم عرفة يكفّر السنة التي قبله والتي بعده، وصوم يوم عاشوراء يكفر السنة التي قبله.
- **توصل صاحبها إلى الجنة:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لِبِلالٍ: عِنْدَ صَلاةِ الفَجْرِ: "يا بلالُ حَدِّثْنِي بأَرْجى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ في الإسْلامِ، فإنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بيْنَ يَدَيَّ في الجَنَّةِ"، قالَ: ما عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، في ساعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ، إلّا صَلَّيْتُ بذلكَ الطُّهُورِ ما كُتِبَ لي أَنْ أُصَلِّيَ" [١٢٣].

١٢٠ حديث صحيح: صحيح مسلم ٩٦ - ٧٢٥. قال أهل العلم: هما الركعتان قبل الفريضة.

١٢١ حديث صحيح: صحيح مسلم ٢٠٤ - ١١٦٤.

١٢٢ حديث صحيح: صحيح البخاري ١٤١٠.

١٢٣ حديث صحيح: صحيح البخاري ١١٤٩. دَفَّ نَعْلَيْكَ: يعني تحريكَ.

في الوُضوءِ والصَّلاةِ طَهارةٌ للظاهِرِ والباطِنِ، وحِرصُ المسلِمِ على هاتَينِ الشَّعيرتَينِ العَظيمتَينِ طَريقٌ لعُلوِّ دَرَجتِه ومَنزلتِه في الدُّنيا والآخِرةِ، وفي هذا الحديثِ يَسأَلُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بِلالَ بنَ رَباحٍ رَضيَ اللهُ عنه عن عمَلِ التطوُّعِ الذي يَرْجو أنَّه الأكثَرُ ثَوابًا مِن اللهِ تعالى بعْدَ أنْ أسْلَمَ، ثمَّ بيَّن له النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سَببَ سُؤالِه ذلك، بأنَّه سَمِع دَفَّ نَعْلَيْهِ بيْن يَدَيْه، أي: سَمِعَ صَوتَ مَشْيِه أمامَه بنَعْلَيه في الجَنَّةِ، والدَّفُّ معناهُ:

- **النوافل طريق محبة الرحمن:** "ومَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ"، ولو لم يرد في المحافظة على النوافل والسنن إلا هذا الحديث لكان حريًا على كل مسلم أن يسعى إليها، وأن يداوم عليها ويتمسك بها، فليس شيء في الوجود أعظم من أن يحبك الله، فمن أحبه الله فماذا فقد؟ ومن أبغضه الله فماذا وجد؟، وأثر هذه المحبة وثمرتها -فضلًا أن تورثه محبة أهل السماء وأهل الأرض- هو ما ذكره الله تعالى في هذا الحديث: "فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَ بِي لَأُعِيذَنَّهُ" [١٢٤]، فمن أحبه الله أدناه إليه، وقربه منه، وأعانه على طاعته، وشغله بذكره، ووفقه وسدده، ورقّاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبد الله كأنّه يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة ربه، ومحبته، وتعظيمه، وخوفه ومهابته، وإجلاله، فإذا امتلأ القلب بذلك زال منه كل تعلق بكل ما سوى الله، ولم يبقَ للعبد تعلق بشيء من هواه، ولا إرادة إلا ما يريده منه ربه ومولاه، فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله، وإن سمع سمع بالله، وإن نظر

الحَرَكةُ، وهذه شَهادةٌ مِن النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لِبلالٍ رَضيَ اللهُ عنه بأنَّه مِن أهلِ الجنَّةِ، وقد سَأَلَه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هذا السُّؤالَ بعْدَ صَلاةِ الفجْرِ، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ ذلك وَقَعَ في رُؤيا مَنامٍ منه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ لِما في رِوايةِ مُسلمٍ: «فإنِّي سَمِعْتُ اللَّيلةَ»؛ لأنَّ عادتَه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّه كان يَقُصُّ ما رآهُ على أصحابِه بعْدَ صَلاةِ الفَجرِ، وكذلِك يقصُّ عليه أصحابُه ما رأَوْه، فأجابَ بِلالٌ رَضيَ اللهُ عنه النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وبيَّن له هذا العمَلَ، وهو أنَّ مِن عادتِه أنَّه لا يَتطهَّرُ طُهورًا -يَقصِدُ الوُضوءَ مِن الحدَثِ، أو الاغتسالَ ورفْعَ الجَنابةِ- في أيِّ وَقتٍ مِن لَيلٍ أو نَهارٍ؛ إلّا صلّى بذلك الطُّهورِ ما استطاعَ أنْ يُصلِّيَه، فبلَغَ به هذا العملُ المَبلغَ العَظيمَ الَّذي ذكَرَه النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ ولعلَّ مِن الحِكمةِ في ذلِك: أنَّ الصَّلاةَ عقِبَ الطُّهورِ أقرَبُ إلى اليَقينِ في الطَّهارةِ.

وفي الحديثِ: بَيانٌ لفَضيلةِ التَّنفُّلِ بالصَّلاةِ بعْدَ الوُضوءِ أو الغُسلِ. وفيه: عَظيمُ مُجازاةِ اللهِ عزَّ وجلَّ لعِبادِه على اليَسيرِ مِن أعمالِهم. وفيه: مَنقبةُ بِلالٍ وفَضْلُه رَضيَ اللهُ عنه.

١٢٤ حديث صحيح: صحيح البخاري ٦٥٠٢.

نظر بالله، أي بتوفيق الله له في هذه الأمور؛ فلا يسمع إلا ما يحبه الله، ولا يبصر إلا ما يرضي الله، ولا يبطش بيده ولا يمشي برجله إلا فيما يرضي ربه ومولاه.

٦. المَوْطِنُ السَّادِسُ: **"الصبر"** [١٢٥]: قَالَ اللَّهُ تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ

١٢٥ "فإن الله سبحانه جعل الصبر جواداً لا يكبو، وصارما لا ينبو، وجنداً لا يهزم، وحصناً حصينا لا يهدم ولا يثلم، فهو والنصر أخوان شقيقان، فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، والعسر مع اليسر، وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد، ومحله من الظفر كمحل الرأس من الجسد. ولقد ضمن الوفي الصادق لأهله في محكم الكتاب أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب، وأخبر أنه معهم بهدايته ونصره العزيز وفتحه المبين، فقال تعالى: {وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}، فظفر الصابرون بهذه المعية بخير الدنيا والآخرة وفازوا بها بنعمة الباطنة والظاهرة، وجعل سبحانه الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين، فقال تعالى وبقوله اهتدى المهتدون: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}، وأخبر أن الصبر خير لأهله مؤكداً باليمن فقال تعالى: {وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}، وأخبر أن مع الصبر والتقوى لا يضر كيد العدو ولو كان ذا تسليط، فقال تعالى: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}، وأخبر عن نبيه يوسف الصديق أنّ صبره وتقواه وصلاه إلى محل العز والتمكين فقال: {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}، وعلق الفلاح بالصبر والتقوى فعقل ذلك عنه المؤمنون فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، وأخبر عن محبته لأهله وفي ذلك أعظم ترغيب للراغبين فقال تعالى: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}، ولقد بشر الصابرين بثلاث كل منها خير مما عليه أهل الدنيا يتحاسدون فقال تعالى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}، وأوصى عبادة بالاستعانة بالصبر والصلاة على نوائب الدنيا والدين فقال تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ}، وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظى به الا الصابرون فقال تعالى: {إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ}، وأخبر أن الرغبة في ثوابه والإعراض عن الدنيا وزينتها لا ينالها ألا أولو الصبر المؤمنون فقال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ}، وأخبر تعالى أن دفع السيئة بالتي هي أحسن تجعل المسيء كأنه ولي حميم فقال: {وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}، وأن هذه الخصلة لا يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم، وأخبر سبحانه مؤكدا بالقسم {إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}، وقسم خلقه قسمين أصحاب ميمنة وأصحاب مشأمة وخص أهل الميمنة أهل التواصي بالصبر

رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ} [سورة آل عمران: ١٤٦]، وقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزُّمَر: ١٠]، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ" [١٢٦]، وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الصبر بأنّه ضياء: والضياء هو النور المصحوب بالإحراق كنور الشمس، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وهو يتكلم عن منهج السلف في الأخلاق والسلوك: "يأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال"، وحُسن الخُلق يقوم على أربعة أركان؛ أولها: الصبر [١٢٧]، ومن حُسْن

والمرحمة وخص بالانتفاع بآياته أهل الصبر وأهل الشكر تمييز لهم بهذا الحظ الموفور فقال في أربع آيات من كتابه: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} وعلق المغفرة والأجر بالعمل الصالح والصبر وذلك على من يسره عليه يسير فقال {إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}، وأخبر أن الصبر والمغفرة من العزائم التي تجارة أربابها لا تبور فقال: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} وأمر رسوله بالصبر لحكمه وأخبر أن صبره انما هو به وبذلك جميع المصائب تهون فقال {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}، وقال: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}، والصبر آخيّة المؤمن التى يجول ثم يرجع إليها وساق إيمانه الذي اعتماد له الإ عليها فلا ايمان لمن لا صبر له وان كان فإيمان قليل في غاية الضعف وصاحبه ممن يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ولم يحظ منهما الإ بالصفقة الخاسرة فخير عيش أدركه السعداء بصبرهم وترقوا إلى أعلى المازل بشكرهم فساروا بين جناحى الصبر والشكر إلى جنات النعيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء واله ذو الفضل العظيم" [عدة الصابرين؛ لابن القيم: ص ٣ - ٥].

١٢٦ حديث صحيح: رواه البخاري ١٤٦٩، ومسلم ١٢٤ - ١٠٥٣.

١٢٧ "فأما الصبر فهو حبس النفس، يحبس النفس عن الأخلاق السيئة، ويصابر صاحبه على الأخلاق الحسنة" [مدارج السالكين؛ لابن القيم: ٢/٢٩٤].

الخُلق في معاملة الخالق: {تلقي اقداره بالصبر والرضى [١٢٨] }، والصبر ثلاثة أنواع: {صبر على طاعة الله بالجهاد واداء الحقوق} و{صبر عن معاصي الله بالكف عمّا حرم الله قولا وعملا} و{الصبر على قضاء الله وقدره، مما يصيب الناس من جراح أو قتل أو مرض أو غير ذلك}، والصبر له فضائل، منها: الثواب العظيم في الآخرة، ومحبة الله سبحانه وتعالى، والجنة لمن صبر على البلاء في الدنيا، وتحقق معية الله للصابرين، وهو خير عطاء من الله للمؤمن، ولذة الإيمان وحلاوته لمن صبر على ترك المعاصي، وللصابر ثلاث بشائر بشر الله بها {أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}، ومن أعظم فوائد الصبر الاستقامة على شرع الله والثبات على الدين والحذر من سوء الخاتمة والوقاية من الانحرافات والسلامة من الشرور، والناس في مقام الصبر أربعة أصناف: {الصنف الأول: من يصبر على طاعة الله ويصبر عن معصية الله وهذا أعلى الأصناف}، و{الصنف الثاني: من يصبر على طاعة الله فيواظب على الفرائض ولا يصبر عن معصية الله فيرتكب الفواحش فهذا ظالم لنفسه ولا يدخل في الفضل العظيم للصبر}، و{الصنف الثالث: من يصبر عن المعصية فلا يغشى الفواحش لسمو نفسه عن الرذائل ولا يصبر على الطاعة فيفرط في الفرائض فهذا مسيئ وهو على شفا هلكة وسوء خاتمة}، و{الصنف الرابع: من لا يصبر على طاعة الله فيترك الفرائض ولا يصبر عن معصية الله فيغشى الفواحش فهذا شر الأصناف وقد باع دينه بعرض من الدنيا وتعرض لسخط الله وعذابه وهذا حال أهل الفجور}.

٧. المَوْطِنُ السَّابِعُ: **"الصدقة": الصَّدقة سببٌ في محبة الله تَعَالى عَزَّ وَجَل للعبد؛ لأنَّ**

١٢٨ الرضا والصبر على المقدور: حسن الخلق مع الله نحو اقداره أن ترضى بما قدره الله لك وأن تطمئن إليه وان تعلم أنّ الله سبحانه وتعالى ما قدره لك الا بحكمة وغاية محمودة يستحق عليها الحمد والشكر، وعلى هذا فإنّ حسن الخلق مع الله نحو اقداره هو أن الانسان يرضى ويستسلم ويطمئن ولهذا امتدح الله الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

الصدقة من باب الإحسان، والله يحب العبد المحسن، قال تَعَالى عَزَّ وَجَل: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [سورة البقرة: ١٩٥]، وللصدقة العديد من الفوائد والآثار العظيمة، ومنها: استظلال العبد المتصدِّق يوم القيامة بظلِّ صدقته في الآخرة، وجبر النقص الحاصل في زكاة الفريضة، فيُجبر النقص في الفرائض بالأعمال التي من جنس هذه الفريضة، والصَّدقة من جنس الزكاة فكلاهما عبادات مالية تتعلق بدفع حاجة الفقير، والصدقة سببٌ في تكفير السيِّئات والخطايا، فالصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النار، والصدقة سببٌ في دخول الجنة والعتق من النار، وسببٌ في ستر العبد ورفع الكربات عنه يوم القيامة؛ وذلك لما لها من رفع الكُرُبات عن المكروبين وقضاء حوائجهم، فكان جزاء من يتصدق من جنس عمله، والصدقة سببٌ في رحمة الله للعبد، **وهي سببٌ في محبة الله للعبد؛ لأنَّ الصدقة من باب الإحسان، والله يحب العبد المحسن**، وهي سببٌ في الحصول على الثّواب العظيم والأجر المضاعف من الله تعالى، وسببٌ في تزكية المال وتطهيره، ووسيلةٌ لتطهير النفس البشرية من الذنوب ومن البخل الشح، وسببٌ في دفع البلاء ورفع الأمراض البدنية عن المتصدق والشفاء منها، والصدقة سببٌ في نشر السعادة والسرور في قلوب المساكين، ويُعَد إدخال السرور على المؤمنين من أفضل الأعمال، والصدقة سببٌ في زيادة المال والبركة فيه، ووسيلةٌ في دفع الابتلاءات والعواقب السيِّئة عن المُتصدِّق، إذ تعد الصدقة من صنائع المعروف، ووسيلةٌ في تخفيف انتشار الفقر، فهي تُعطى لكل من المحتاجين من الفقراء والمساكين والغارمين وفي الرقاب وتُصرف لمصالح المسلمين، وبالتالي تتألّف قلوب الفقراء، وتحل الأزمات والمصالح العامة للمحتاجين، وهي وسيلةٌ لشكر الله على نعمة المال، وطريقةٌ في نيْل محبة الله ومحبة الخلق، وسببٌ في زيادة صلة العباد بعضهم ببعض، وتقوية الروابط الاجتماعية، وفي نشر الفضائل في المجتمع، ونشر الود والرحمة بين أفراده، وهي دليلٌ على ثقة العبد

بربه، وحُسن الظن بالله [١٢٩].

٨. المَوْطِنُ الثَّامِنُ: **"الولاء والبراء"** [١٣٠]: لن تتحقق كلمة التوحيد في الأرض إلا بتحقيق الولاء لمن يستحق الولاء، والبراء ممن يستحق البراء منه. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [سورة المائدة: آية ٥١]؛ يقول الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله: "إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم ـ أي الولاء والبراء ـ بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده"، ولعقيدة الولاء والبراء مكانة عظيمة في الشرع تتضح من الوجوه التالية:

- أنّها جزء من معنى الشهادة، وهو قولك: "لا إله" من قوله: "لا إله إلا الله" فإنّ معناها البراء من كل ما يعبد من دون الله، وكثرة ورودها في الكتاب والسنة يدل على أهميتها، يقول الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله: "إنّه ليس في كتاب الله تعالى

١٢٩ كتاب صدقة التطوع في الإسلام: سعيد بن وهف القحطاني؛ ص ٦-١٤ [بتصرّف].

١٣٠ الولاء لغة: يطلق على عدة معان، منها المحبة، والنصرة، والاتباع، والقرب من الشيء والدنو منه. جاء في لسان العرب: الموالاة. كما قال ابن الأعرابي: أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه. ووالى فلان فلانا: إذا أحبه. والموالاة ضد المعاداة، والولي ضد العدو. قال تعالى: {يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} [سورة مريم: ٤٥]. والموالاة من والى القوم. الولي: القرب والدنو. والموالاة: المتابعة [الولاء والبراء؛ الفوزان: ٨٧ – ٨٨]. والولاء شرعا: هو موافقة العبد ربه فيما يحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال والاعتقادات والذوات، فسمة وليُّ الله هو محبته لما يحب الله. ورضاه بما يرضي الله، وعمله بذلك كله، وميله إليه على وجه الملازمة له [المدخل: ١٩١].

البراء لغة: يطلق على معان كثيرة منها البعد. والتنزه، والتخلص، والعداوة. قال ابن العربي: برئ إذا تخلص، وبرئ إذا تنزه وتباعد، وبرئ إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [سورة التوبة: ١]. وليلة البراءة يتبرأ القمر من الشمس، وهي أول ليلة من الشهر [الولاء والبراء؛ الفوزان]. والبراء شرعا: هو موافقة العبد ربه فيما يسخطه ويكرهه ولا يرضاه من الأقوال والأفعال والاعتقادات والذوات، فسمة البراء الشرعي هو البغض لما يبغضه الله على وجه الملازمة، والاستمرار على ذلك [المدخل: ١٩١].

حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم ـ أي الولاء والبراء ـ بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده".

- أنّها شرط في الإيمان كما قال الله سبحانه وتعالى: {تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة: ٨٠ - ٨١].
- أنّ هذه العقيدة أوثق عرى الإيمان [١٣١]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أوثقُ عُرى الإيمانِ: الموالاةُ في اللهِ، والمُعاداةُ في اللهِ، والحبُّ في اللهِ، والبُغضُ في اللهِ عزَّ وجلَّ" [١٣٢].
- أنّها سبب لتذوق القلب حلاوة الإيمان، ولذة اليقين، لما جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممّا سِواهُما، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النّارِ" [١٣٣].

١٣١ يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب: "فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد، أو علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله، والمعاداة في الله والموالاة في الله، ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء، لم يكن فرقانا بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان". [رسالة أوثق عرى الإيمان (ص: ٣٨)].

١٣٢ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٢٥٣٩.

١٣٣ حديث صحيح: أخرجه البخاري ١٦، ومسلم ٦٧ - ٤٣.

هذا حَديثٌ عَظيمٌ، وأصلٌ مِن أُصولِ الإسلامِ، وفيه يُرشِدُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى ثَلاثِ خِصالٍ مِن أعْلى خِصالِ الإيمانِ؛ مَن كمَّلَها فقدْ وجَدَ حَلاوةَ الإيمانِ؛ فالإيمانُ له حَلاوةٌ وطَعمٌ يُذاقُ بالقُلوبِ، كما تُذاقُ حَلاوةُ الطَّعامِ والشَّرابِ بالفَمِ، وكما أنَّ الجَسدَ لا يَجِدُ حَلاوةَ الطَّعامِ والشَّرابِ إلّا عندَ صِحَّتِه، فكذلك القَلبُ إذا سَلِمَ مِن مرَضِ الأهواءِ المُضلَّةِ والشَّهواتِ المُحرَّمةِ، وجَدَ حَلاوةَ الإيمانِ، ومتى مَرِضَ وسَقِمَ لم يَجِدْ حَلاوةَ الإيمانِ، بلْ قدْ يَستحْلِي ما فيه هَلاكُه مِن الأهواءِ والمعاصي. ومَن وجَدَ حَلاوةَ الإيمانِ استلذَّ الطّاعاتِ، وآثَرَها

- أنّها الصلة التي على أساسها يقوم المجتمع المسلم، وعدم تحقيقها قد يدخل في الكفر، وهي الصلة الباقية بين الناس يوم القيامة، قال سبحانه: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ} [سورة البقرة: ١٦٦]؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ}؛ قال: المودة، وقال سبحانه تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [سورة المائدة: ٥١]، وقال صلى الله عليه وسلم: "يا أبا هريرةَ! كُنْ وَرِعًا تَكُنْ من أَعْبَدِ الناسِ، وارْضَ بما قسم اللهُ لكَ

على أغراضِ الدُّنيا، وتحمَّلَ المشاقَّ في سَبيلِ اللهِ تعالى. فالخَصلةُ الأُولى: أنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أحَبَّ إليه ممّا سِواهما، ومَحبَّةُ اللهِ تَنشَأُ مِن مَعرفةِ أسمائِه وصِفاتِه، والتَّفكيرِ في مَصنوعاتِه، وما فيها مِن الحِكَمِ والعَجائبِ، وتَحصُلُ مِن مُطالَعةِ نِعَمِه على العِبادِ؛ فإنَّ ذلك كلَّه يدُلُّ على كَمالِه وقُدرتِه، وحِكمتِه وعِلمِه ورَحمتِه، ومَحبَّةُ العبدِ لِخالقِه سُبحانه وتعالى تَقودُ العبْدَ إلى الْتزامِ شَريعتِه وطاعتِه، والانتهاءِ عمّا نَهى عنه. ومَحبَّةُ الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم تابعةٌ لمَحبَّةِ اللهِ، ويَلزَمُ مِن تلك المحبَّةِ اتِّباعُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في أوامِرِه ونواهيه، كطاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ويَجِبُ أنْ تكونَ مَحبَّةُ الرسولِ صلى الله عليه وسلم في قلْبِ كلِّ مسلمٍ أعظَمَ مِن مَحبَّتِه لنفْسِه، ومَحبَّتِه لأبيهِ وأُمِّه، وابنِه وبِنتِه، وزَوجتِه، وصَديقِه وأقارِبِه، والناسِ أجمعينَ.والخَصلةُ الثّانيةُ: أنْ يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّه إلّا للهِ؛ فهذا حَثٌّ على التَّحابِّ في اللهِ، وهو مِن أَوثقِ عُرى الإيمانِ، فليستِ المحبَّةُ مِن أجْلِ تَبادُلِ مَنافعَ وتَحصيلِ أغراضٍ دُنيويَّةٍ، وإنَّما جمَعَ بيْنَهما الحُبُّ في اللهِ، ويَلزَمُ مِن تلك المحبَّةِ نفْعُ المسلمِ لأخيه المسلمِ، وتَرْكُ إيذائِه، كما في حَديثِ الصحيحَينِ: «المُسلِمُ أخو المُسلِمِ، لا يَظلِمُه، ولا يُسْلِمُه، ومَن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه، ومَن فرَّجَ عن مُسلِمٍ كُرْبةً، فرَّجَ اللهُ عنه كُربةً مِن كُرُباتِ يَومِ القيامةِ، ومَن ستَرَ مُسلِمًا ستَرَه اللهُ يَومَ القِيامةِ».والخَصلةُ الثّالثةُ: أنْ يَكرَهَ المسلمُ أنْ يَعودَ في الكُفْرِ، كما يَكرَهُ أنْ يُقذَفَ في النّارِ؛ فإذا رسَخَ الإيمانُ في القلْبِ، وتحقَّقَ به، ووجَدَ العبْدُ حَلاوتَه وطَعْمَه؛ أحَبَّه، وأحَبَّ ثَباتَه ودَوامَه، والزِّيادةَ منه، وكَرِهَ مُفارقتَه، وكانتْ كَراهتُه لمُفارقتِه أعظَمَ عندَه مِن كَراهةِ الإلقاءِ في النّارِ، فإذا وجَدَ العبْدُ حلاوةَ الإيمانِ في قَلْبِه أحَسَّ بمَرارةِ الكُفرِ والفُسوقِ والعِصيانِ. قيل: وإنَّما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم هذا تَحذيرًا وتَخويفًا للصَّحابةِ؛ لأنَّهم كانوا كُفّارًا فأسلَموا، وكان في بَعضِ النُّفوسِ حُبُّ ما كان في الزَّمانِ الماضي، فبيَّنَ لهم صلى الله عليه وسلم أنَّ العَودَ إلى الكُفْرِ كإلْقاءِ الرجُلِ نفْسَه في النارِ؛ لأنَّ عاقِبةَ الكُفّارِ دُخولُ نارِ جهنَّمَ، ونقْضُ التَّوبةِ والرُّجوعُ مِنَ التَّوبةِ إلى المعصيةِ أيضًا كإلْقاءِ الرجُلِ نفْسَه في نارِ جهنَّمَ، وهذا مِن عِظَمِ ذَنبِ الكُفْرِ والعَودةِ إليه.

تَكُن من أَغْنى الناسِ، وأَحِبَّ للمسلمينَ والمؤمنينَ ما تُحِبُّ لنفسِكَ وأهلِ بيتِكَ، واكْرَهْ لهم ما تَكْرَهُ لنفسِكَ وأهلِ بيتِكَ تَكُنْ مؤمنًا، وجاوِرْ مَن جاوَرْتَ بإحسانٍ تَكُنْ مُسْلِمًا، وإياكَ وكثرةَ الضَّحِكِ؛ فإنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ فسادُ القلبِ" [١٣٤]، وقال سبحانه: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [سورة الحجرات: ١٠].

- ما ثبت من الأجر لمن اتصف بالحب في الله فقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: "المتحابونَ فِيَّ على منابرَ مِنْ نورٍ، يَغْبِطُهُمُ بِمَكانِهِمْ النبيونَ والصديقونَ والشهداءُ" [١٣٥]، وقال صلى الله عليه وسلم: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ، يَومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلُّهُ: ... ورَجُلانِ تَحابّا في اللَّهِ اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقا عليه" [١٣٦].
- ما دل عليه الشرع من تقديم هذه الصلة على سواها كما قال سبحانه: {قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ} [سورة التوبة: ٢٤].
- أنّه بتحقيق هذه العقيدة تنال ولاية الله، فَعَن أَبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال صلى الله عليه وسلم: "من أحبَّ للهِ وأبغض للهِ وأعطى للهِ ومنع للهِ فقد استكمل الإيمانَ" [١٣٧]، وقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ

١٣٤ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٧٨٣٣.

١٣٥ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٤٣٢١؛ أخرجه أحمد (٢٢٨٣٤)، وابن حبان (٥٧٧)، والحاكم (٧٣١٥) مطولاً باختلاف يسير.

١٣٦ حديث صحيح: أخرجه البخاري ٦٦٠، ومسلم ٩١ - ١٠٣١.

١٣٧ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٨٠؛ أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، والطبراني (١٥٩/٨) (٧٦١٣)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣١٤/٦).

الإخْلاصُ شرْطُ قَبولِ الأعْمالِ، وعَلامةُ كَمالِ الإيمانِ؛ فمَنْ أخلَص كلَّ طاعاتِه لِلَّهِ تعالى، طالِبًا منه الأجرَ والثَّوابَ لا لِطَلَبِ سُمعةٍ ورِياءٍ فإنَّه يَكمُلُ إيمانُه، وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «من أحَبَّ للهِ، وأبْغَضَ للهِ»، أي: أحَبَّ وأبْغَضَ بما يُقرِّبُ مِن طاعةِ اللهِ، فيُخرِجُ حظَّ النَّفسِ مِن الحُبِّ والكُرهِ للغيرِ، إلّا بما يُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ، «وأعطى للهِ»، أي: ما كان مِن إنفاقٍ كصَدَقةٍ وهَديَّةٍ، لا يُريدُ بها إلّا وجهَ اللهِ عزَّ وجلَّ، فيُعطي في مَرضاةِ اللهِ مَن يُحبُّهم اللهُ ويُحبُّونَ اللهَ، وفي الحديثِ القُدسيِّ الذي رواه أحمدُ: «حَقَّتْ

الأَسْبَابُ) قَالَ: الْمَوَدَّةُ. قوله: "فإنما تنال ولاية الله بذلك" أي توليه لعبده، و"ولاية" بفتح الواو لا غير: أي الأخوة والمحبة والنصرة، وبالكسر: الإمارة، والمراد هنا الأول، وإذا تولى الله لا خوف عليه أبداً؛ لأنّ الله مولاه، فالولاء في الله: هو محبة الله، ونصرة دينه، ومحبة أوليائه ونصرتهم، والبراء هو بغض أعداء الله ومجاهدتهم، وعلى ذلك جاءت تسمية الشارع الحكيم للفريق الأول: بأولياء الله، وسمى الفريق الثاني: أولياء الشيطان.

٩. المَوْطِنُ التَّاسِعُ: **"الجهاد والقتال في سبيل الله صفاً"**: قَالَ اللَّهُ تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ} [الصف: ٤] [١٣٨]، فالله تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا، وهذا حث من الله لعباده على الجهاد في سبيله وتعليم لهم كيف يصنعون وأنّه ينبغي لهم أن يصفوا في الجهاد صفا متراصا متساويا، من غير خلل يقع في الصفوف، وتكون صفوفهم على نظام وترتيب

مَحبَّتي للذين يَتباذَلون مِن أجْلي»، «ومَنَعَ للهِ»، أي: وأمْسَكَ وامْتنَع عن إنفاقِ مالِهِ في غيرِ ما أمَر به اللهُ عزَّ وجلَّ، وكان إمساكُه طلبًا لرِضا اللهِ وليس منعًا لِهوًى في نفْسِه كالشُّحِّ والبُخْلِ، «فقد استَكمَل إيمانَه»، أي: يكون إيمانُهُ كاملًا لا نقْصَ فيه إذا اتَّصَفَ بهذه الصفاتِ، ومَن جعَل حَياتَه كلَّها للهِ، كان جَزاؤُه أنَّه كَمُلَ إيمانُه. وإنَّما خَصَّ الأفعالَ الأربعةَ؛ لأنَّها حُظوظٌ نَفْسانيَّةٌ؛ إذْ قلَّما يُمحِّصُها الإنسانُ للهِ تعالى، فإنْ قدَرَ على مِثلِ تلك الأمورِ أنْ يَجعَلَها للهِ تعالى، كان على غَيرِها أقدَرَ.

١٣٨ قال سعيد بن جبير في قوله {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا} قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم، وهذا تعليم من الله للمؤمنين. قال: وقوله: {كأنهم بنيان مرصوص} ملتصق بعضه في بعض، من الصف في القتال.

وقال مقاتل بن حيان و: ملتصق بعضه إلى بعض.

وقال ابن عباس: {كأنهم بنيان مرصوص} مثبت، لا يزول، ملصق بعضه ببعض.

وقال قتادة: {كأنهم بنيان مرصوص} ألم تر إلى صاحب البنيان، كيف لا يحب أن يختلف بنيانه؟ فكذلك الله عز وجل يحب أن لا يختلف أمره، وإن الله صف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله، فإنه عصمة لمن أخذ به. أورد ذلك كله ابن أبي حاتم.

به تحصل المساواة بين المجاهدين والتعاضد وإرهاب العدو وتنشيط بعضهم بعضا، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حضر القتال، صف أصحابه، ورتبهم في مواقفهم، بحيث لا يحصل اتكال بعضهم على بعض، بل تكون كل طائفة منهم مهتمة بمركزها وقائمة بوظيفتها، وبهذه الطريقة تتم الأعمال ويحصل الكمال، فهذا إخبار منه تعالى بمحبة عباده المؤمنين إذا اصطفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان، وقَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [سورة المائدة: ٥٤]، فإنّ لله عبادا مخلصين، ورجالا صادقين، قد تكفل الرحمن الرحيم بهدايتهم، ووعد بالإتيان بهم، وأنّهم أكمل الخلق أوصافا، وأقواهم نفوسا، وأحسنهم أخلاقا، أجلُّ صفاتهم أنّ الله {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} فإنّ محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبدا يسر له الأسباب، وهون عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد. ومن لوازم محبة العبد لربه، أنّه لا بد أن يتصف بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا، في أقواله وأعماله وجميع أحواله، كما قال تعالى: {قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} كما أنّ من لازم محبة الله للعبد، أن يكثر العبد من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن الله: "وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، ولا يزال [عبدي] يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه". ومن لوازم محبة الله معرفته

تعالى، والإكثار من ذكره، فإن المحبة بدون معرفة بالله ناقصة جدا، بل غير موجودة وإن وجدت دعواها، ومن أحب الله أكثر من ذكره، وإذا أحب الله عبدا قبل منه اليسير من العمل، وغفر له الكثير من الزلل. ومن صفاتهم أنّهم {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسله - أعزة، قد اجتمعت هممهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم، قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} وقال تعالى: {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} فالغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتي هي أحسن. فتجتمع الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم. {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} بأموالهم وأنفسهم، بأقوالهم وأفعالهم. {وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} بل يقدمون رضا ربهم والخوف من لومه على لوم المخلوقين، وهذا يدل على قوة هممهم وعزائمهم، فإنّ ضعيف القلب ضعيف الهمة، تنتقض عزيمته عند لوم اللائمين، وتفتر قوته عند عذل العاذلين. وفي قلوبهم تعبد لغير الله، بحسب ما فيها من مراعاة الخلق وتقديم رضاهم ولومهم على أمر الله، فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله، حتى لا يخاف في الله لومة لائم. ولما مدحهم تعالى بما من به عليهم منَّ الصفات الجليلة والمناقب العالية، المستلزمة لما لم يذكر من أفعال الخير -أخبر أن هذا من فضله عليهم وإحسانه لئلا يعجبوا بأنفسهم، وليشكروا الذي مَنَّ عليهم بذلك ليزيدهم من فضله، وليعلم غيرُهم أن فضل الله تعالى ليس عليه حجاب، فقال: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} أي: واسع الفضل والإحسان، جزيل المنن، قد عمت رحمته كل شيء، ويوسع على أوليائه من فضله، ما

لا يكون لغيرهم، ولكنّه عليم بمن يستحق الفضل فيعطيه، فالله أعلم حيث يجعل رسالته أصلا وفرعا.

١٠. المَوْطِنُ العَاشِرُ: **"قيام الليل"**: قيام الليل من العبادات التي لها فضائل تعود على العبد بالنَّفع في دُنياه وآخرته، وقد كثُرت النصوص التي تحثُّ على قيام الليل وتدعو إليه في الكتاب والسنّة النبويّة؛ فقد أمر به الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم فقَالَ اللَّهُ تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىَ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً} [سورة الإسراء: ٧٩]، وممّا ورد في الثناء على هذه العبادة وعلى فاعليها، قوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً * وَالَّذِينَ يِبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً} [سورة الفرقان: ٦٣-٦٤]، وحث عليها النبي صلى الله عليه وسلم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَفْضَلُ الصِّيامِ، بَعْدَ رَمَضانَ، شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ، وأَفْضَلُ الصَّلاةِ، بَعْدَ الفَرِيضَةِ، صَلاةُ اللَّيْلِ" [١٣٩]، ولقيام الليل فضائل عظيمة وجليلة، يُذكَر منها ما يأتي:

١. أثنى الله تعالى على مَن يقومون الليل، ووعدهم بالجزاء الوافي؛ قال تعالى: {تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا*فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سورة السجدة: ١٦-١٧].

٢. عناية النبيّ صلى الله عليه وسلم بقيام الليل حتى تفطرت قدماه؛ فعن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنْ كانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حتّى تَرِمُ قَدَماهُ - أَوْ ساقاهُ - فيُقالُ له فيَقولُ: "أَفلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا" [١٤٠].

١٣٩ حديث صحيح: أخرجه مسلم ٢٠٢ - ١١٦٣.

١٤٠ حديث صحيح: أخرجه البخاري ١١٣٠.

كان رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أعرَفَ الناسِ باللهِ عزَّ وجلَّ، وأخْشاهم له، وأعبَدَهم له، وقد كان صلى الله عليه وسلم دائمَ العِبادةِ للهِ عزَّ وجلَّ في لَيلِه ونَهارِه، وفي هذا الحديثِ بَيانٌ لحالِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في العِبادةِ واجتهادِه فيها؛ فإنَّه صلى الله عليه وسلم كان يَقومُ مِن اللَّيلِ حتّى تَرِمَ قَدَماهُ، أي: تَتورَّمَ وتَنتفِخَ، ولَمّا

٣. تربّى جيل الصحابة الأُوَل على قيام الليل، وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يُحذّر من تَركه؛ فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قالَ لي رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "يا عَبْدَ اللَّهِ، لا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ؛ كانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيامَ اللَّيْلِ!" [١٤١].

٤. قيام الليل من أعظم أسباب دخول الجنة، ومن أسباب رفع الدرجات في غرف الجنة؛ فعن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لمَّا قدمَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ المدينةَ، انجَفلَ النَّاسُ قبلَهُ، وقيلَ: قد قدمَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، قد قدمَ رسولُ اللَّهِ، قد قدمَ رسولُ اللَّهِ ثلاثًا، فَجِئْتُ في النَّاسِ، لأنظرَ، فلمَّا تبيَّنتُ

سُئِل عن سَببِ هذا الاجتهادِ وقد غَفَر اللهُ له ذَنْبَه، قال: أفلا أكونُ عَبْدًا شَكورًا؟، فمَن عَظُمَتْ عليه نِعَمُ اللهِ، وجَبَ عليه أنْ يَتلقّاها بعَظيمِ الشُّكرِ، لا سيَّما أنبيائِه وصَفْوتِه مِن خَلْقِه الَّذين اختارَهم، وخَشيةُ العِبادِ للهِ على قَدْرِ عِلْمِهم به؛ فمعنى قولِه صلى الله عليه وسلم: «أفلا أكونُ عبدًا شَكورًا»، أي: كيف لا أشكُرُه وقد أنعَمَ عليَّ وخصَّني بخيرَيِ الدّارينِ؟!. {وفي الحديثِ: أخْذُ الإنسانِ على نفْسِه بالشِّدَّةِ في العِبادةِ وإنْ أضرَّ ذلك ببَدنِه، لكنْ يَنْبغي ألّا يُؤدِّيَ ذلك إلى المَلَلِ والسآمةِ، وفيه: الحَثُّ على مُقابَلةِ نِعَمِ اللهِ عزَّ وجلَّ بمَزيدٍ مِن الاجتهادِ في العِبادةِ}.

١٤١ حديث صحيح متفق عليه: أخرجه البخاري ١١٥٢، ومسلم ١٨٥ - ١١٥٩، بلفظ: [يَا عَبْدَ اللهِ، لا تَكُنْ بِمِثْلِ فُلَانٍ كانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ].

أحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ أدوَمُها وإنْ قَلَّ، وعلى العَبدِ أنْ يَصبِرَ نفْسَه في طَريقِ الطاعةِ، ويَأْخُذَها بالرِّفقِ؛ حتّى لا تَضعُفَ أو تَملَّ، فتَنقطِعَ عن العبادةِ، وفي هذا الحديثِ يَذكُرُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم رجُلًا لعَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضيَ اللهُ عنهما أنَّه كان يَقومُ اللَّيلَ ثمَّ ترَكَ القِيامَ، ويُحذِّرُه مِن الإفراطِ والتَّشديدِ على نَفْسِه؛ حتّى لا يَترُكَ قِيامَ اللَّيلِ كما ترَكَه هذا الرَّجلُ؛ لأنَّ المُقبِلَ على اللهِ عزَّ وجلَّ بالعملِ إذا تَرَكَه مِن غَيرِ عُذرٍ، كان كالمُعرِضِ بعْدَ الوصْلِ؛ فهو مُعرَّضٌ للذَّمِّ، وأيضًا فإنَّ دَوامَ العملِ وإيصالَه ربَّما حَصَل للعبدِ به في عَمَلِه الماضي ما لا يَحصُلُ له فيه عندَ قَطعِه؛ فإنَّ اللهَ يُحِبُّ مُواصلةَ العملِ ومُداومتَه، ويَجزي على دَوامِه ما لا يَجْزي على المُنقطِعِ منه، {وفي الحديثِ: فَضيلةُ الدَّوامِ على ما اعتادَهُ المرْءُ مِن الخيرِ مِن غَيرِ تَفريطٍ أو إفراطٍ. وفيه: التَّحذيرُ مِن قَطْعِ أعمالِ التَّطوُّعِ والنَّوافلِ. وفيه: الحثُّ على قِيامِ اللَّيلِ. وفيه: جَوازُ ذِكرِ الشَّخصِ بما فيه مِن عَيبٍ إذا قُصِد بذلك التَّحذيرُ مِن فِعلِه}.

وجهَهُ، عرفتُ أنَّ وجهَهُ ليسَ بوَجهِ كذَّابٍ، فَكانَ أوَّلُ شيءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ، أن قالَ: "يا أيُّها النَّاسُ أفشوا السَّلامَ، وأطعِموا الطَّعامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصلُّوا باللَّيلِ، والنَّاسُ نيامٌ، تدخلوا الجنَّةَ بسَلامٍ" [١٤٢]، وقالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "إنَّ في الجنةِ غُرَفًا يُرى ظاهِرُها من باطِنِها، وباطِنُها من ظاهِرِها"، فقال أبو مالِكٍ الأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هيَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: "لِمَنْ أَطابَ الكَلامَ، وأَطْعَمَ

١٤٢ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه ٢٦٤٨.

كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم يُربِّي النَّاسَ على الفَضائلِ والمكارِمِ حتَّى يكونَ المجتمعُ مُتحابًّا متعاوِنًا؛ كما بيَّن أنَّ مكارِمَ الأخلاقِ لها أجْرٌ عظيمٌ عند اللهِ، وفي هذا الحديثِ يقولُ عبدُ اللهِ بنُ سلَامٍ رَضي اللهُ عنه: "لَمَّا قدِم"، أي: جاء وهاجَر "النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم المدينةَ، انجفَلَ النَّاسُ قِبَلَه"، أي: اتَّجَه النَّاسُ ناحيتَه وذهَبوا إليه مُسْرِعين، "وقيل: قد قَدِم رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم، قد قدِم رسولُ اللهِ، قد قدِم رسولُ اللهِ ثلاثًا، فجِئتُ في النَّاسِ؛ لِأنظُرَ، فلمَّا تبيَّنتُ وجْهَه"، أي: رأيتُ مَلامحَه، "عرَفتُ أنَّ وجْهَه ليس بوجْهِ كذَّابٍ"؛ لِما يَبدو عليه مِن النُّورِ والجَمالِ والهَيبةِ الصَّادقةِ، "فكان أوَّلُ شيءٍ سمعتُه تكلَّم به، أنْ قال: يا أيُّها النَّاسُ، أَفشوا السَّلامَ"، والمقصودُ بإفشاءِ السَّلامِ نشْرُه والإكثارُ منه، والسَّلامُ اسمٌ مِن أسماءِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وإفشاءُ السَّلامِ طريقٌ موصِلٌ للمحبَّةِ بين المسلِمين، والسَّلامُ هو التَّحيَّةُ المباركَةُ في هذه الأمَّةِ، وقد جعَل النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم مِن خيْرِ الأقوالِ في البِرِّ والإكرامِ إفشاءَ السَّلامِ الَّذي يَعُمُّ ولا يَخُصُّ، مَن عرَف ومَن لمْ يَعرِفْ، حتَّى يكونَ خالِصًا للهِ تعالى. "وأطْعِموا الطَّعامَ" ويَعُمُّ الإطعامُ ويَدخُلُ فيه ما يكونُ بالصَّدقةِ والهديَّةِ والضِّيافةِ. "وصِلُوا الأرحامَ"، والأرحامُ: هم كلُّ مَن تَربِطُك بهم رَحِمٌ أو قَرابةٌ مِن جِهةِ الأبِ أو الأمِّ، وقد حثَّ القرآنُ الكريمُ على صِلَتِهم، وحَذَّر أشَدَّ التَّحذيرِ مِن قَطْعِهم، قال تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]. "وصَلُّوا باللَّيلِ، والنَّاسُ نِيامٌ"، أي: صَلُّوا النَّوافلَ؛ مِن القِيامِ والتَّهجُّدِ في اللَّيلِ كما يَقولُ اللهُ تعالى واصِفًا عبادَه المؤمنين: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} [السجدة: ١٦]، وينبَغي الحِرصُ على قيامِ اللَّيلِ والأخذُ بالأسبابِ المعينَةِ على ذلك، ومنها: البُعدُ عن المعاصي والذُّنوبِ، والإقلالُ مِن الأكلِ قَبلَ النَّومِ، وقولُه: "تَدخُلوا الجنَّةَ بسَلامٍ"، أي: تكونُ الجنَّةُ جَزاءً لِمَن فعَل هذه الخِصالَ مُخلِصًا فيها للهِ عزَّ وجلَّ. {وفي الحديثِ: الحثُّ على نَشْرِ السَّلامِ تحيَّةً وسُلوكًا بين النَّاسِ، والتَّراحُمِ بين النَّاسِ بفِعلِ الخِصالِ الحَميدةِ، وفيه: الأمرُ بصِلَةِ الأرحامِ وعدمِ قطعِها، وفيه: بيانُ أهمِّيَّةِ صلاةِ النَّوافلِ باللَّيلِ}.

الطَّعامَ، وباتَ قائِمًا والناسُ نِيامٌ" [١٤٣].

٥. قيام الليل من علامات المُتّقين المُحْسِنِينَ المستحقين لمحبة الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ ورحمته وجنته، فهم يتّقون بقيام الليل عذابَ الله سبحانه تعالى، ويرجون أن تكون لهم الجنّة، وهي صفة من صفات عباد الرحمن الصالحين؛ قال تعالى عزَّ وجلَّ: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [سورة الذاريات: ١٥-١٨]، وقد مدح الله عزَّ وجلَّ أهل قيام الليل في جملة عباده الأبرار [عباد الرحمن]، وشهد لهم بالإيمان الكامل، وفضَّلَ الله تعالى الذين يقومون الليل على غيرهم من الناس بالأجر والمكانة عنده، ونفى التسوية بينهم وبين غيرهم ممن لم يتصف بوصفهم، فقال عزَّ وجلَّ: {وَالَّذِينَ يِبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجّداً وَقِيَاماً} [سورة الفرقان: ٦٤]، وقال سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا

١٤٣ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب ٩٤٦.

الجنَّةُ هي أسْمى ما يَطلُبُ المُسلِمُ من ربِّه عزَّ وجلَّ؛ فدُخولُها هو الفَوْزُ المُبينُ؛ لذلك كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يُرغِّبُ أصْحابَه فيها، ويَصِفُها لهم، ويُوضِّحُ لهم بعْضَ نَعيمِها حتى يَجْتَهِدوا في الظَّفَرِ بها، وفي هذا الحديثِ وصفٌ لبعضِ ما فيها وللأعمالِ التي تكونُ سببًا في الفوزِ به، حيثُ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ في الجَنَّةِ غُرُفًا» جمْعُ غُرْفَةٍ وهي الحُجْرةُ، «يُرى ظاهِرُها من باطِنِها، وباطِنُها من ظاهِرِها»، أي: أنَّها غُرَفٌ شفّافةٌ يَرى مَن بداخِلِها مَنْ خارِجَها، ويَرى مَن خارِجَها مَنْ بداخِلِها، كأنْ تكونَ من زُجاجٍ أو أَلْماسٍ أو دُرٍّ وياقوتٍ، ولا يَعلَمُ حَقيقَتَها إلّا اللهُ، فقال الصحابيُّ الجليلُ أبو مالِكٍ الأشْعريُّ رضِيَ اللهُ عنه: «لِمَنْ هي يا رسولَ اللهِ؟»، أي: لِمَنْ تلك الغُرَفُ التي يُرى ظُهورُها من بُطونِها، وبُطونُها من ظُهورِها؟ والتَّقْديرُ: ما هي الأعْمالُ التي إذا أتى بها صاحِبُها في الدُّنْيا ظَفر وفازَ بها في الآخِرَةِ؟ فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «هي لِمَن أطابَ الكلامَ»، أي: لِمَن تكلَّم بطِيبِ الكَلامِ، وتَرَكَ قَبيحَه وشَرَّه، وهذه كِنايَةٌ عن حُسْنِ الخُلُقِ، «وأَطْعَمَ الطَّعامَ»، أي: وأَطْعَمَ الجَوْعى من الفُقراءِ والمَساكينِ، وهذه كِنايَةٌ عن الصَّدَقةِ والإنْفاقِ، «وباتَ قائِمًا والناسُ نيامٌ»، أي: وحافَظَ على قِيامِ اللَّيلِ والتَّهجُّدِ للهِ عزَّ وجلَّ، والناسُ في غَفْلةٍ نائِمونَ. {وفي الحديثِ: أنَّ الحِرْصَ على العِباداتِ، والزيادَةَ فيها سَبَبٌ لنَيْلِ الدَّرَجاتِ العُلْيا في الجنَّةِ}.

يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ * تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سورة السجدة: ١٥-١٧]، وقال تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [سورة الزمر: ٩].

٦. قيام الليل مُكَفِّر للسيئات ومنهاة للآثام؛ فعن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "عليكم بقيامِ الليلِ؛ فإنَّه دَأْبُ الصالحينَ قبلَكم، وهو قُرْبةٌ إلى ربِّكم، ومَكْفَرةٌ للسَّيِّئاتِ، ومَنْهاةٌ عن الإثمِ" [١٤٤].

٧. قيام الليل أفضل الصلاة بعد الفريضة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَفْضَلُ الصِّيامِ، بَعْدَ رَمَضانَ، شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ، وأَفْضَلُ الصَّلاةِ، بَعْدَ الفَرِيضَةِ، صَلاةُ اللَّيْلِ" [١٤٥]، فلا تكون ثمرة قيام الليل في الآخرة فقط؛ فالذي يقوم الليل يشعر بحلاوة، ولَذّة، وراحة، وسكينة في الدُّنيا أيضاً.

٨. شرف المؤمن وعِزّه قيام الليل، فهو إثبات حُبّه لله تعالى، وإخلاصه له، وإيمانه به، فيُجازيه الله، فيرفع مكانته ومنزلته؛ فعَنْ جابر بن عبد الله وسهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أتاني جبريلُ، فقال: يا مُحَمَّدُ! عِشْ ما شِئتَ فإنَّك مَيِّتٌ، وأحْبِبْ من شِئتَ فإنَّكَ مُفارِقُه، واعمَل ما شِئتَ فإنَّك مَجْزِيٌّ بهِ، واعلَم أنَّ شرفَ المؤمنِ قيامُه باللَّيلِ، وعِزُّه استِغناؤُه عن

١٤٤ حديث حسن: حسّنه الشيخ الألباني في إرواء الغليل ٤٥٢؛ أخرجه الترمذي بعد حديث (٣٥٤٩)، وابن خزيمة (١١٣٥)، والطبراني (١٠٩/٨) (٧٤٦٦) باختلاف يسير.

١٤٥ حديث صحيح: أخرجه مسلم ٢٠٢ - ١١٦٣.

النّاسِ" [١٤٦].

٩. قيام الليل يستحقّ أن يُغبَط عليه صاحبه، لعظيم ثوابه فهو خير من الدنيا وما فيها؛ فعَنْ عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لا حَسَدَ إلّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ القُرْآنَ فَهو يَتْلُوهُ آناءَ اللَّيْلِ وآناءَ النَّهارِ، ورَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ مالًا فَهو يُنْفِقُهُ آناءَ اللَّيْلِ وآناءَ النَّهارِ" [١٤٧]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لا حَسَدَ إلّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَهو يَتْلُوهُ آناءَ اللَّيْلِ، وآناءَ النَّهارِ، فَسَمِعَهُ جارٌ له، فقالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ ما يَعْمَلُ، ورَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ مالًا فَهو يُهْلِكُهُ في الحَقِّ، فقالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ ما يَعْمَلُ" [١٤٨].

١٠. قيام الليل سببٌ لتحقيق رحمة الله تعالى والحصول عليها؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال صلى الله عليه وسلم: "رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قامَ من اللّيْلِ فصَلّى وأيْقظَ امْرَأَتَهُ فصَلَّتْ فإنْ أبَتْ نضحَ في وجْهِها الماءَ. رَحِمَ اللهُ امْرأةً قامَتْ من

١٤٦ حديث حسن: حسّنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٧٣.

١٤٧ حديث صحيح: صحيح البخاري ٧٥٢٩.

١٤٨ حديث صحيح: صحيح البخاري ٥٠٢٦.

يُشِير النبيُّ صلى الله عليه وسلم في هذا الحديثِ إلى أنَّ الحَسَدَ أنواعٌ مختلِفة: فمِنه: {حَسَدٌ مذمومٌ محرَّم شرعًا، وهو أنْ يتمنّى المرءُ زوالَ النِّعمة عن أخيه.}، ومنه: {حَسَدٌ محمودٌ مستحَبٌّ شرعًا، وهو أنْ يرى نِعمةً دِينيَّةً عند غيرِه فيتمنّاها لنفسِه من غيرِ تمنِّي زوالِها عن صاحبِها، وهو ما عَناه النبيُّ صلى الله عليه وسلم بقولِه: «لا حَسَدَ إلا في اثنتَيْن»}، أي: أنَّ الحسدَ تختلِف أنواعُه وأحكامُه بِحَسَبِ اختلافِ أنواعِه، ولا يكون محمودًا إلّا في أمرَيْن؛ فالأول: «رجلٌ علَّمه اللهُ القرآنَ فهو يَتْلُوه آناءَ الليلِ وآناءَ النَّهارِ»، أي: يَتْلُوه في ساعاتِ الليل والنهار، «فسَمِعه جارٌ له فقال: لَيْتني أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلانٌ، فعَمِلت مِثلَ ما يَعمل»، يعني: فرَتَّلْتُه وقرأْتُه مِثل هذا الرجل، «ورجلٌ آتاه اللهُ مالًا فهو يُهلِكه في الحقِّ»، أي: يُنْفِقه كلَّه في الطاعاتِ والبِرِّ، «فقال رجلٌ: لَيْتني أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فلانٌ، فعَمِلت مِثْلَ ما يَعمل».

اللَّيلِ فصلَّتْ وأيقظَتْ زَوْجَها فصلّى، فإنْ أبى نَضَحَتْ في وجهِهِ الماءَ" [١٤٩].

١١. قيام الليل فيه خير وفضل للمؤمن في أيّ وقت من أوقات الليل، إلّا أنّ الثُّلث الأخير من الليل هو أفضل الأوقات وأشرفها؛ إذ يتجلّى الله سبحانه وتعالى في هذا الوقت على السماء الدُّنيا؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال صلى الله عليه وسلم: "يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا، حِينَ يَبْقى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فيَقولُ: مَن يَدْعُونِي فأسْتَجِيبَ له، مَن يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له" [١٥٠]، وقيام هذه الساعة فيه خير كثير، ويمتدّ هذا الوقت

١٤٩ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٣٤٩٤؛ أخـــرجه أبو داود (١٤٥٠) واللفظ له، والنسائي (١٦١٠)، وابن ماجه (١٣٣٦)، وأحمد (٧٤٠٤).

قِيامُ اللَّيلِ شَرفُ المؤمِن، وهو أفضلُ الصَّلاةِ بعدَ الفَريضةِ، وقد رغَّب فيه الشرعُ الحنيفُ وبيَّن عظيمَ أجرِه وكثيرَ فَضلِه، وفي هذا الحديثِ: يقولُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «رَحِمَ اللهُ رجلًا قامَ مِن اللَّيْلِ فصَلّى»، أي: يَدْعُو النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالرَّحمةِ لِمَن قامَ فِي جُزءٍ مِن اللَّيْلِ وصلّى بعضَ الرَّكَعاتِ، «وأَيْقَظَ امرَأَتَه فصلَّتْ»، أي: أيقَظَ زوجتَه لتصلِّيَ قِيامَ اللَّيْلِ، «فإنْ أَبَتْ»، أي: فإنِ امتنَعَتْ تَكاسُلًا بسببِ النَّومِ، «نَضَحَ فِي وجهِها الماءَ»، أي: رَشَّ بعضَ الماءِ عليها لِتَنشِيطِها، وَهذا إشارةٌ إلى التلطُّفِ مَعَ الزَّوجةِ عِنْدَ إيقاظِها حَتّى تَستجِيبَ، ثُمَّ دعا صلى الله عليه وسلم بالرَّحمَةِ للمرأةِ الَّتِي تَقُومُ اللَّيلَ فِي قولِه: «رَحِمَ اللهُ امرأةً قامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فصَلَّتْ»، أي: قامَتْ فِي جُزءٍ مِنَ اللَّيْلِ وَصَلَّتْ بعضَ الرَّكعاتِ، «وأيَقظت زوجَها»، أي: لِيُصَلِّيَ قِيامَ اللَّيْلِ، «فإنْ أَبى»، أي: امتَنَعَ عن الاستيقاظِ والقيامِ تكاسُلًا بسببِ النَّومِ، «نَضَحَتْ فِي وجهِه الماءَ»، أي: رَشَّتْ فِي وجهِه الماءَ بِقَصدِ تَنشِيطِه، وَهذا إشارةٌ إلى التلطُّفِ مَعَ الزَّوجِ عِنْدَ إيقاظِه حَتّى يَستجِيبَ. {وفي الحديثِ: حثُّ الأسرةِ على أن يُنشِّطَ بعضُها بعضًا في أداءِ العِباداتِ وأعمالِ التطوُّعِ}.

١٥٠ حديث صحيح متفق عليه: أخرجه البخاري ٧٤٩٤، ومسلم ١٦٨ - ٧٥٨.

الثلُثُ الأخيرُ منَ الليلِ أفضلُ أوقاتِ اللَّيلِ؛ تَصْفو فيه النُّفوسُ، وتَطيبُ فيه العِبادةُ، ويُستَجابُ فيه الدُّعاءُ، خصَّه اللهُ تعالى بالنُّزولِ فيه إلى السَّماءِ الدُّنيا، وتَفضَّلَ على عِبادِه فيه، وأفاضَ الخيرَ على مَن طلَبَه، وفي هذا الحَديثِ بيَّن النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ اللهَ تَبارَك وتعالى يَنزِلُ كلَّ لَيلةٍ حِينَ يَبْقى الثُّلثُ الأخيرُ مِن اللَّيل، وهو نُزولٌ يَليقُ به جلَّ جَلالُه؛ فإنَّه يَجِبُ الإيمانُ بما ورَدَ في ذلك -وأمثالِه- عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ مِن غَيرِ تَكْييفٍ ولا تَعْطيلٍ، ومِن غيرِ تحريفٍ ولا تمثيلٍ، فيَنزِلُ ربُّنا سُبحانَه إلى السَّماءِ الدُّنيا، وهي السَّماءُ الأُولى القَريبةُ منَ

المبارك حتى طلوع الفجر، وفي ذلك دليل على رحمة الله تعالى ولُطفه بعباده؛ ليتَّسِع لهم وقت مُناجاته، وليسألوه من خيرَي الدُّنيا والآخرة، وفي ذلك حَثٌّ للعباد على استغلال هذا الوقت في الدُّعاء، والاستغفار؛ ابتغاء استجابة الله تعالى، وقد وعد الله سبحانه وتعالى مَن قام ليل رمضان؛ إخلاصاً له، واحتساباً للأجر من عنده، وإيماناً به، بالتوبة والمغفرة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال صلى الله عليه وسلم: "مَن قامَ رَمَضانَ إيمانًا واحْتِسابًا، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ" [151]، ومَن قام مع الإمام مُصلّياً في ليلة، وبَقِي حتى فرغَ الإمام من الصلاة،

الأرضِ والعِبادِ، ويُنادي سُبحانَه في عِبادِه ويقولُ: مَن يَدْعوني فأسْتَجيبَ له؟ ومَن يَسأَلُني فأُعطيَه، ومَن يَستغفِرُني فأغفِرَ له؟، والدُّعاءُ، والسُّؤالُ، والاستغفارُ إمّا بمعنًى واحدٍ، فذِكْرُ الثَّلاثةِ للتَّوكيدِ. وإمّا لأنَّ طلَبَ العبْدِ لا يَخْلو مِن أنْ يكونَ طَلَبًا لدفْعِ المَضارِّ أو جَلْبِ المنافعِ، والمَضارُّ والمَنافعُ إمّا دُنيويَّةٌ وإمّا دِينيَّةٌ؛ فكرَّرَ الثَّلاثةَ لِتَشمَلَها جَميعَها، وخَصَّ اللهُ عزَّ وجلَّ الثُّلُثَ الأخيرَ مِن اللَّيلِ بالنُّزولِ فيه؛ لأنَّه وَقتُ خَلوةٍ وغَفلةٍ واستِغراقٍ في النَّومِ واستلذاذٍ به، ومُفارقةُ اللَّذَّةِ والرّاحةِ صَعبةٌ على العِبادِ؛ فمَن آثَرَ القِيامَ لمُناجاةِ ربِّه والتَّضرُّعِ إليه في غُفرانِ ذُنوبِه، وفَكاكِ رَقبتِه مِن النّارِ، وسَأَله التَّوبةَ في هذا الوقتِ الشّاقِّ، على خَلوةِ نفْسِه بلَذَّتِها، ومُفارقةِ راحتِها وسَكَنِها- فذلك دَليلٌ على خُلوصِ نيَّتِه، وصِحَّةِ رَغبتِه فيما عندَ ربِّه، فضُمِنت له الإجابةُ الَّتي هي مَقرونةٌ بالإخلاصِ وصِدقِ النِّيَّةِ في الدُّعاءِ؛ إذ لا يَقبَلُ اللهُ دُعاءً مِن قلْبٍ غافلٍ لاهٍ؛ فلذلك نبَّهَ اللهُ عِبادَه إلى الدُّعاءِ في هذا الوقتِ، الَّذي تَخْلو فيه النفْسُ مِن خَواطرِ الدُّنيا؛ لِيَستشعِرَ العبدُ الإخلاصَ لرَبِّه، فتَقَعَ الإجابةُ منه تعالى؛ رِفقًا مِن اللهِ بخَلقِه، ورَحمةً لهم. {وفي الحَديثِ: بَيانُ فضْلِ الثُّلثِ الأخيرِ مِن اللَّيل، وفضلِ الصَّلاةِ، والدُّعاءِ فيه}.

١٥١ حديث صحيح متفق عليه: أخرجه البخاري ٣٧، ومسلم ١٧٣ - ٧٥٩.

شَهرُ رَمضانَ مِن مَواسمِ الخيرِ الَّتي تَحمِلُ النَّفحاتِ الَّتي أُمِرْنا أنْ نَتعرَّضَ لها ونَنْهَلَ مِن خيرِها، ومِن فضائلِ هذا الشَّهرِ الكريمِ ما ذُكِر في هذا الحَديثِ ممّا يَترتَّبُ على قِيامِه، والمقصودُ به صَلاةُ التَّراويحِ، حيثُ قال صلى الله عليه وسلم: «مَن قامَ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِن ذنبِه»، أي: مَن فعَلَ ذلك تَصديقًا بالمعبودِ الآمِرِ له، وعِلمًا بفَضيلةِ هذا القِيامِ، ومُحتسِبًا جَزيلَ أجْرِه، لا يُريدُ إلّا اللهَ تعالى وحْدَه، لا يَقصِدُ رُؤيةَ النّاسِ ولا غيرَ ذلك ممّا يُخالِفُ الإخلاصَ؛ كان جزاءُ ذلك غُفرانَ ما تقدَّمَ مِن ذُنوبِه السّابقةِ، غيرَ الحُقوقِ الآدميَّةِ المتعلِّقةِ بأموالِهم أو أعراضِهم أو أبدانِهم؛ فهذه لا تَسقُطُ إلّا برِضاهُم؛ فعلى الإنسانِ أنْ يَطلُبَ المسامحةَ

ثمّ انصرف، كتبَ الله له أجر تلك الليلة قِياماً، كما أنّ إحياء ليالي رمضان بالقيام، وخصوصاً العَشر الأخيرة منها، من سُنّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وأخصُّ الخير أن يُوفَّق المُسلم إلى قيام ليلة القَدر؛ فإن قامها مُؤمناً، مُحتسباً، راجياً رحمة الله، فقد غفر الله تعالى له ما تقدَّم من ذَنبه.

١٢. قراءة القرآن في قيام الليل غنيمة عظيمة؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطَرِينَ" [١٥٢]، وقد ذكر المنذري معلقاً على هذا الحديث: "قال الحافظ من سورة {تبارك الذي بيده الملك} إلى آخر القرآن ألف آية والله أعلم" [١٥٣]، فمن قام بسورة تبارك إلى آخر القرآن فقد قام بألف آية.

ممَّن له عليه حقٌّ، أو يُؤدِّيَ الحقوقَ إلى أهلِها .وقد وقَعَ الجزاءُ هنا بصِيغةِ الماضي «غُفِرَ» مع أنَّ المَغفرةَ تكونُ في المستقبَلِ؛ للإشعارِ بأنَّه مُتيقَّنُ الوقوعِ، مُتحقِّقُ الثُّبوتِ، فضْلًا مِن اللهِ تعالى على عِبادِه. {وفي الحديثِ: الحثُّ على قِيامِ شَهرِ رَمضانَ وبَيانُ عَظيمِ أجْرِ ذلك}.

١٥٢ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ٦٣٩؛ أخرجه أبو داود (١٣٩٨)، وابن خزيمة (١١٤٤)، وابن حبان (٢٥٧٢).

مجموع آيات جزئي عمَّ وتبارك ٩٩٥ آية [ولو أُضيفت إليها آيات سورة الفاتحة التي ستتكرر قراءتها في كل ركعة؛ لكان المجموع يتجاوز الـ ١٠٠٠ آية وهو المطلوب]، ولن يستغرق منك قراءتها سوى ٦٠ دقيقة [٧٥ دقيقة على أقصى تقدير]، يُكتب لك بها قنطارٌ من الأجر وهو خيرٌ من الدنيا وما فيها، وتُكتَب عند الله من الْمُقَنْطِرِينْ، ولو قُمت الليل بِمِائَةِ آيَةٍ لكُتِبْتَ مِنَ الْقَانِتِينَ، ولو قُمت الليل بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ تُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ. {(الْمُقَنْطِرِينَ)؛ أي: هم الذين أعطوا قِنْطاراً من الأجر، والقنطار مقدار كبير من الذهب، وأكثر أهل اللّغة على أنّه أربعة آلاف دينار، وقيل: إنَّ القِنطار مِلْء جِلْد ثَور ذَهباً، وقيل: ثمانون ألفاً، وقيل: هو جُمْلة كثيرة مجهولة من المال.} [انظر "النهاية في غريب الحديث" لابن الأثير.]، والمراد من الحديث تعظيم أجر من قام بألف آية.

١٥٣ الترغيب والترهيب؛ المنذري؛ عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري، ج١ ص٢٤٨.

١١. المَوْطِنُ الحَادِي عَشَرَ: **"الإحسان"** [١٥٤]: قَالَ اللَّهُ تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥]، ومن فوائد الإحْسَان، أنَّه:

١. طريق إلى رحمة الله؛ قال تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [سورة الأعراف: ٥٦].

٢. طريق إلى محبّة الله؛ قال الله سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [سورة آل عمران: ١٣٤].

١٥٤ {الإحسان بكل بساطة هو الإتقان}، و{الإحسان الإتيان بالمطلوب شرعا على وجه حسن}، و{الإحسان بذل المعروف لعباد الله من قول أو فعل أو مال أو جاه}، و{الإحسان ضد الإساءة، وهو فعل ما هو حسن وجميل، وترك ما هو سيء وقبيح}، وحقيقة الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك، وأن تبذل ما تستطيعه من النفع والخير للبلاد والعباد، يقول ابن القيم رحمه الله في كتابه "مدارج السالكين": (منزلة الإحسان هي لب الإيمان وروحه وكماله). والإحسان صفة من صفات الله عز وجل فهو سبحانه المحسنُ في خلقه، المحسن إلى مخلوقاته، بيده الخير كله، وله ينسب الفضل كله، هو الذي خلق الخلق فأحسنه وجمّله وأبدعه على غير مثال سابق؛ وهو سبحانه المحسن المنعم على عباده؛ فقد أنعم سبحانه على العباد وأحسن إليهم بنعم لا تعد ولا تحصى، فأيُّ إحسان إلا إحسانه، وأي إنعام إلا إنعامه، وأي كرم إلا كرمه، وأي جود إلا جوده، وأي فضل إلا فضله، وأي لطف إلا لطفه، وأي عطاء إلا عطاؤه، وأي بِرٍّ إلا بره، وخَلقَ الإنسانَ في أحسن تقويم وصوّره فأحسن صورته، وامتدّ إليه إحسانُه وهو نطفة في ظلمات ثلاث، وعَمَّه بإحسانه طفلاً، وأنبته نباتاً حسناً، ورباه بنعمه وأحسن مثواه، وأحسن إليه شاباً يافعاً وعاقلاً راشداً، وشيخاً مسناً، ووصى الإنسان بوالديه إحساناً، وأمره الله تعالى بالإحسان مع كل شيء وإلى كل شيء، وفي كل شيء، ورتب عليه عظيم الأجر، وبديع القدر، ووافر الإكرام، وقد ندب الله المحسنُ الكريم عباده إلى هذه الشيم الفاضلة، والأفعال الحميدة، وهو أولى بها منهم وأحق. والإحسان يكون في العبادة [بأن يأتي بها على الوجه المشروع دون زيادة ولا نقصان، كما أمَرَ الله وكما بيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم]، ويكون في الأقوال والأفعال والأخلاق والمعاملات ... ، والإحسان إلى الخلق {إلى الوالدين والأقارب، والأصحاب، والخادم والجار والمحتاج والمسكين وابن السبيل واليتيم وإلى الخلق كلهم ... }؛ بحسن الخلق، وصدق التعامل، وبذل النصيحة، وتفريج الكربة، وإعانة الضعيف، وإغاثة الملهوف، وإطعام الجائع، والتصدق على المحتاج، وإرشاد التائه، وتعليم الجاهل، والتيسير على المعسر، والإصلاح بين الناس...

٣. طريق إلى معيّة الله؛ قال تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٨]، ومَن كان الله معه فإنَّه لا يخاف بأسًا ولا رهقًا.

٤. طريق إلى رِضَا الله؛ قال تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [التوبة: ١٠٠].

٥. طريق إلى الجنة؛ قال الله سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦]، وقال عز وجل: {فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة: ٨٥].

٦. سبب في نيل العلم والفقه في الدين؛ فقد قال تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [سورة يوسف: ٢٢].

٧. سبب في حصول إحسان الله تعالى إلى عبده؛ فأول المستفيدين من الإحسان هم المحسنون أنفسهم، إليهم يعود نفعه في العاجل والآجل؛ قال سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا} [الإسراء: ٧]، وقال سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن: ٦٠]، فمَن أحسنَ عمله أحسن الله جزاءه، ومن أحسن إلى العباد أحسن إليه رب العباد.

٨. سبب في صلاح الذرية؛ قال سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ عن إبراهيم عليه السلام: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الأنعام: ٨٤].

٩. طريق إلى عظيم الأجر وجزيل الثواب في الآخرة والأمن مِن الخوف والحزن؛ قال سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [سورة البقرة: ١١٢]، وقال سبحانه

وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [سورة هود: ١١٥]، وقال سبحانه وتَعَالى عَـزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً} [الكهف: ٣٠].

١٠. للإحْسَان ثمرة عظيمة تتجلَّى في تماسك بنيان المجتمع، وحمايته مِن الخراب والتَّهلكة ووقايته مِن الآفات الاجتماعيَّة، وهو وسيلة المجتمع للرُّقي والتَّقدُّم، وإذا كان صنوه، أي: العدل وسيلة لحفظ النَّوع البَشَريّ فإنَّ الإحْسَان هو وسيلة تقدمه ورقيّه؛ لأنَّه يؤدّي إلى توثيق الرَّوابط وتوفير التَّعاون، وهو وسيلة لإزالة ما في النُّفوس مِن الكدر وسوء الفهم وسوء الظَّنّ ونحو ذلك.

١١. الإحْسَان في عبادة الخالق يمنع عن المعاصي؛ قال ابن القيّم: (فإنَّ الإحْسَان إذا باشر القلب منعه عن المعاصي، فإنَّ مَن عبد الله كأنَّه يراه، لم يكن كذلك إلَّا لاستيلاء ذكره ومحبَّته وخوفه ورجائه على قلبه، بحيث يصير كأنَّه يشاهده، وذلك سيحول بينه وبين إرادة المعصية، فضلًا عن مواقعتها، فإذا خرج مِن دائرة الإحْسَان، فاته صحبة رفقته الخاصَّة، وعيشهم الهنيء، ونعيمهم التَّام، فإن أراد الله به خيرًا أقرَّه في دائرة عموم المؤمنين) [١٥٥].

١٢. الإحْسَان إلى النَّاس سببٌ مِن أسباب انشراح الصَّدر؛ فالذي يحسن إلى النَّاس ينشرح صدره، ويشعر بالرَّاحة النَّفسيَّة، وقد ذكر ابن القيّم في (زاد المعاد) أنّ الإحْسَان مِن أسباب انشراح الصَّدر، فقال: (... إنَّ الكريم المحسن أشرح النَّاس صدرًا، وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق النَّاس صدرًا، وأنكدهم عيشًا، وأعظمهم همًّا وغمًّا) [١٥٦].

١٥٥ الجواب الكافي؛ ٥٥-٥٦.

١٥٦ زاد المعاد في هدي خير العباد؛ (٢/٢٢).

١٣. الإحْسَان إلى النَّاس يطفئ نار الحاسد؛ (إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحْسَان إليه، فكلَّما ازداد أذًى وشرًّا وبغيًا وحسدًا ازددت إليه إحسانًا، وله نصيحةً، وعليه شفقةً، وما أظنُّك تصدِّق بأنَّ هذا يكون، فضلًا عن أن تتعاطاه، فاسمع الآن قوله عزَّ وجلَّ: {وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصِّلت: ٣٤-٣٦]، وقال: {أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [القصص: ٥٤]... هذا مع أنَّه لا بدَّ له مع عدوِّه وحاسده مِن إحدى حالتين، إمَّا أن يملكه بإحسانه فيستعبده وينقاد له ويذلُّ له، ويبقى مِن أحبِّ النَّاس إليه، وإمَّا أن يفتِّت كبده ويقطع دابره إن أقام على إساءته إليه، فإنَّه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه ومَن جرَّب هذا عرفه حقَّ المعرفة، واللهُ هو الموفق المعين بيده الخير كلِّه لا إله غيره، وهو المسؤول أن يستعملنا وإخواننا في ذلك بمنِّه وكرمه) [١٥٧].

١٤. الإحْسَان سبيل إلى زيادة الفضل والخير والإكرام من الرحمن الرحيم؛ قال سبحانه عزَّ وجلَّ: {وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ٥٨].

١٢. المَوْطِنُ الثَّانِي عَشَرَ: **"التَّطَهُّر"**: قَالَ اللَّهُ تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢] [١٥٨]، وقال سبحانه عزَّ وجلَّ: {لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ

١٥٧ بدائع الفوائد؛ لابن القيِّم (٢/٢٤٣-٢٤٤).

١٥٨ "{وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} أي: المتنزهين عن الآثام وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث؛ ففيه مشروعية الطهارة مطلقا، لأن الله يحب المتصف بها، ولهذا كانت الطهارة مطلقا، شرطا لصحة الصلاة والطواف، وجواز مس المصحف، ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة، والصفات القبيحة، والأفعال الخسيسة"؛ [تفسير السعدي].

ٱلْمُطَّهِّرِينَ} [التوبة: ١٠٨]، قال الزمخشري رحمه الله في أساس البلاغة: (وطَهُرَ واطَّهَّر وتطهَّر، وقد طهرت طُهورًا وطَهورًا، وما عندي طَهور أتطهر به؛ أي: وَضوء أتوضَّأ به، واطلب لي ماءً طَهورًا: بليغًا في الطَّهارة لا شبهة فيه، وامرأة طاهرٌ، ونساء طواهر، وطَهُرَت من الحيض، وهي ذاتُ طُهر، وهُنَّ ذوات أطهار.... وقال: ومن المجاز: تَطهَّر من الإثم: تنزَّه منه، وطهَّرهُ الله، وهو طاهرُ الثياب: نزه من مدانس الأخلاق، والتوبة طهور للمذنب) [١٥٩]، فالمطَّهِّرون والمتطهِّرون كلمتان تنحدران من نفس الأصل، ولكن الفرق في أنَّ المطَّهِّرين أبلغ، وتدلُّ على المبالغة والمداومة على الطهارة، في حين أنَّ التَّطهرَ يكونُ في أوقات معينة، فيكون قبل بعض العبادات؛ كالصَّلاة والطواف مثلاً، وهو إما بالوضوء أو بالغسل، يقول الخازن في تفسيره: "إنَّ طهارة الظاهر إنما يحصل لها أثر عند الله جل جلاله إذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصي، وقيل: يحتمل أنه محمول على كلا الأمرين؛ يعني: طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي، وطهارة الظاهر من الأحداث والنجاسات بالماء، والله يحب المطَّهِّرين: فيه مدح لهم وثناء عليهم والرضا عنهم، بما اختاروه لأنفسهم من المداومة على محبة الطهارة" [١٦٠]، ولأنَّ للتطهُّر مكانةً عظيمة عند الله جل جلاله بما يحويه من معانٍ سامية؛ فإنَّ الله تعالى يُحبُّ كثيره وقليله؛ فلهذا جاء في كتاب الله العزيز أنَّ الله جل جلاله يحب المطَّهِّرين مثلما جاء أنّه يحب المتَطهِّرين، ولقد جعل الله جل جلاله التَّطهر نصف الإيمان؛ لعظمته وأهميته، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ المِيزانَ، وسُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَوْ تَمْلأُ- ما بيْنَ السَّمَواتِ والأَرْضِ، والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَهُ

١٥٩ أساس البلاغة، الزمخشري، ج١، ص٣٩٩.

١٦٠ لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين البغدادي (الخازن)، ج٣، ص١٥٠.

فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها" [١٦١]، وإنَّ المطَّهرين والمتَطهّرين بالماء إنما يعبّرون عن مدى حرصهم على النَّقاء والظُّهور بمظهر لائق عندما يقفون بين يدي خالقهم جل جلاله، والإصرار على ذلك، بالرغم من أن رخصةً في التخفيف مُقرَّة في الشرع أصلاً، فإنَّ فرصتهم في الاستنجاء بالحجارة أو بغيرها قائمة، فربما كان الإصرار على التطهُّر والمداومة عليه واحدًا من أسباب حبِّ الله جل جلاله لهم، ومن رحمة الله بعباده أنْ جعل الطهارة يسيرة، وجعل أجرها عظيمًا، فالغسل من الجنابة يطهّرُ المرء، فإنْ غاب الماء أو خشي الهلكة، فصعيد الأرض بديل ورخصة ورحمة، وفرك المني من الثوب بعد جفافه يطهره، والوضوء من الحدث الأصغر يُطَهّرُ المرء، وفي الغسل والوضوء تيسير عجيب،

١٦١ حديث صحيح: صحيح مسلم ١ - ٢٢٣.

هذا حديثٌ عظيمٌ، وأصْلٌ مِن أصولِ الإسلامِ، يَذْكُرُ فيه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم كُلَّ ما يُهِمُّ المسلمَ في حَياتِهِ وآخِرتِهِ؛ ففيه يُخبرُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ «الطُّهورَ»، أي: الوُضوءَ، والطَّهارةُ أصْلُها النَّظافةُ والتَّنَزُّهُ. «شَطْرُ الإيمانِ»، أي: نِصْفُهُ، والمرادُ أنَّ الأجْرَ في الوُضوءِ يَنتهي إلى نِصْفِ أجْرِ الإيمانِ؛ لِما في الإيمانِ مِن نظافةِ النَّفسِ والقَلْبِ، ولِما في الطَّهارةِ مِن نَظافةِ الجَسَدِ، «والحمدُ للهِ تَمْلَآنِ الميزانَ»، أي: إنَّهما يُوزنانِ ويَملآنِ الميزانَ بالأجرِ والثوابِ، فتربَحُ كِفَّتُهما، «وسُبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ تَمْلَآنِ ما بَيْنَ السَّمواتِ والأرضِ»، أي: إنَّ أجْرَ ذِكرِهُما يَمْلَأُ ما بَيْنَ السَّمواتِ والأرضِ؛ لاشْتمالِهما على تنزيهِ اللهِ تعالى في قوله: «سُبحانَ اللهِ»، والتَّفْويضِ والافْتِقارِ إلى اللهِ في قوله: «الحَمْدُ للهِ»، «والصَّلاةُ نورٌ»، أي: يُهْتدى بها إلى الطَّريقِ يومَ القِيامةِ كما يُهْتدى بالنُّورِ في الدُّنيا، «والصَّدَقةُ بُرهانٌ»، أي: دَليلٌ على إيمانِ المؤْمِنينَ واخْتلافِهِمْ عَنِ المنافِقِينَ، «والصَّبْرُ ضِياءٌ»، أي: الصبرُ على طاعةِ اللهِ تعالى والصبرُ عن معصيتِه والصبرُ أيضًا على النائباتِ وأنواعِ المكارهِ في الدُّنيا؛ كُلُّ هذا ضِياءٌ لصاحبِه، و«الصبر»: الوُقوفُ مع البلاءِ بِحُسْنِ الأدبِ، «والقُرْآنُ حُجَّةٌ لكَ أو علَيْكَ»، أي: بتِلاوتِه والعملِ به يُصبحُ حُجَّةً مع صاحبِه يومَ القيامةِ، وبِتَرْكِه دونَ عملٍ أو تلاوةٍ يُصبحُ حُجَّةً وخُسْرانًا على صاحبِه، «كُلُّ النّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَه فَمُعْتِقُها أَوْ مُوبِقُها»، أي: كُلُّ إنسانٍ يَسعى بنفسِه إلى طاعةِ اللهِ فيكونُ مُنقِذًا لها مِنَ النّار، أو يَسعى بنفسِه إلى طاعةِ الشَّيطانِ وهَواه فُيوبِقُها، أي: يُهلِكها بدُخولها النارَ. {وفي الحديثِ: فضلُ الوُضوءِ والطَّهارةِ وبيانُ ما لهما مِن الأَجْرِ. وفيه: بيانُ بعضِ الأقوالِ والأعمالِ الإيمانيَّةِ التي تُعتِقُ صاحبَها من النّارِ. وفيه: تنبيهٌ على أنَّ الإنسانَ يُؤخَذُ بجريرةِ عملِه؛ فليعملْ لنَفْسِه ما أرادَ...}.

كل هذا في الطهارة الحسية، أمّا الطهارة الروحية، فهي الأصل، وهي المراد، فحين تكون النفس خبيثة، وتمتلئ بالشهوات الشيطانية، والشبهات الشركية، والحقد والكيد، وتمني هلاك الآخرين، فلا معنى للثوب النظيف والجلد النظيف، ومن فوائد وفضائل الطهارة:

١. طريق إلى محبّة الله؛ قال تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢]، وقال سبحانه عزَّ وجلَّ: {لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ} [التوبة: ١٠٨].

٢. كمال الوضوء جزءٌ من الإيمان؛ فعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ المِيزانَ، وسُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَوْ تَمْلأُ- ما بيْنَ السَّمواتِ والأَرْضِ، والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أَوْ مُوبِقُها" [١٦٢].

٣. المحافظة على الوضوء تدلّ على الإيمان؛ فعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَلَاةَ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ" [١٦٣].

١٦٢ حديث صحيح: صحيح مسلم ١ - ٢٢٣.

١٦٣ حـــديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي ابن ماجه ٢٢٦.

أمَر الإسلامُ بالتَّوسُّطِ في كلِّ الأمورِ، كما أمَرَ بعَمَلِ الطّاعاتِ بقَدْرِ الاستطاعةِ دونَ تكلُّفٍ أو تشدُّدٍ. وفي هذا الحديثِ يقولُ ثَوبانُ رضِيَ اللهُ عَنه: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «استَقيموا»، وهذا أمرٌ بالاستِقامةِ على الطَّريقِ المستقيمِ طريقِ الهُدى، ورُوي في تفســـــــيرِ قــوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا} [فصلت: ٣٠] أنَّ الاستِقامَةَ هي الإقامةُ عَلى قَولِ: لا إلهَ إلّا اللهُ، بِإيفاءِ حَقِّه، وأداءِ أوامِرِه، والانتهاءِ عمّا نَهى عنْه، والرِّضا بما يَكونُ مِنه، ويَحتمِلُ أن يَكونَ مَعنى قَوْلِه: «اسْتَقيموا»، عَلى ما أقرَرْتُم في الذَّرِّ الأوَّلِ

٤. خروج الخطايا وغفران الذنوب وتكفير السيئات الماضية؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ الصُّنَابِحِيّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "إذا تَوضَّأَ العبدُ المؤمِنُ فتَمضْمَضَ خَرجتِ الخَطايا من فيه، فإذا اسْتنْثَر خَرجَتِ الخَطايا من أَنْفِه، فإذا غَسَلَ وجْهَهُ خَرَجَتِ الخَطايا من وجْهِهِ، حتى تَخْرُجَ من تحتِ أَشْفارِ عَينَيْهِ، فإذا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتِ الخطايا من يديه، حتى تَخْرُجَ من تحتِ أَظْفارِ يَدَيْهِ فإذا مَسَحَ بِرأسِه خَرَجَتِ الخَطايا من رأْسِهِ حتى تَخْرُجَ من أُذُنَيْهِ، فإذا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الخَطايا من رِجَلَيْهِ حتى تَخْرُجَ من تَحتِ أَظْفارِ رِجْلَيْهِ ثُم كان مَشْيُهُ إلى المسْجِدِ وصلاتُه له نافِلَةً" [١٦٤]، وعن أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه

حينَ أَجَبتُم رَبَّكم عزَّ وجلَّ بقَولِكم حين قال لَكم: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ}، أي: اسْتَقيموا عَلى قَولِكم: «بَلى»، «ولَن تُحْصوا»، أي: ولن تَستطيعوا أن تَعُدُّوا وتَستكمِلوا كلَّ وُجوهِ الخيرِ والطّاعات، بِحَولِكم وقُوَّتِكم، ولا بِاجتِهادِكم واسْتِطاعَتِكم، بل لنْ تُطيقوه، وأحرى ألّا تُطيقوهُ، وإنْ بَذَلتم مَجْهودَكم. وقيل: المعنى لَن تُحْصوا ثَوابَها، وكلُّ ذلك يتَطلَّبُ الاستقامةَ مع الاستعانةِ باللهِ وحُسْنِ الرَّجاءِ فيه مع الخوفِ مِنه. ثُمَّ قال صلى الله عليه وسلم: «واعْلَموا أنَّ خيرَ أعمالِكم الصَّلاةُ»؛ لِما فيها مِن الإقبالِ على اللهِ والخُشوعِ والتَّذلُّلِ له بالوجهِ والأعضاءِ والجَوارِحِ خاشِعةً للهِ، وهي مِن أفضَلِ الأعمالِ، وأتَمِّها دَلالةً عَلى الاسْتِقامَةِ، والانقِطاعِ إليه عَمّا سِواه، والإقبالِ عَلَيه، والانصِرافِ عمّا سِواه، والاشتِغالِ بِه عمَّن دونَه، «ولا يُحافِظُ على الوضوءِ إلّا مؤمِنٌ»، أي: ولا يُحافِظُ مُسلِمٌ على إدامةِ الوضوءِ والطَّهارةِ مِن الحَدَثِ، إلّا وقد اكتَمَل إيمانُه وتصديقُه؛ لأنَّ الوضوءَ من أشرفِ الطاعاتِ، وفيه مَشقَّة، وخاصَّةً في الشِّتاءِ وفي حِينِ الشُّغلِ؛ فلا يحافظُ عليه إلا مُصدِّقٌ باللهِ وبرسُلِه وبفَضيلةِ ما أُمِرَ به. {وفي الحديثِ: الحثُّ على الاستِقامةِ على الطَّريقِ المستقيمِ معَ طلَبِ العونِ مِن اللهِ. وفيه: أنَّ المحافظةَ على الوضوءِ مِن شِيَمِ المؤمِنين. وفيه: أنَّ المحافظةَ على الصَّلاةِ مِن أفضَلِ الأعمالِ الدّالَّةِ على الاستقامةِ}.

١٦٤ حـــديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٤٤٩؛ أخرجه النسائي (١٠٣) واللفظ له، وابن ماجه (٢٨٢)، وأحمد (١٩٠٩١)، ومالك في «الموطأ» (٣٠)؛ وفي رواية: "إذا تَوضَّأَ العبدُ المؤمنُ ، فتمضمضَ خرجتِ الخطايا من فيهِ ، فإذا استَنثرَ خرجتِ الخطايا من أنفِه فإذا غسلَ وجهَه خرجتِ الخطايا من وجهِه حتَّى تخرجَ من تحتِ أشفارِ عينيهِ فإذا غسلَ يدَيهِ خرجتِ الخطايا من يدَيهِ حتَّى تخرجَ من تحتِ أظفارِ يدَيهِ فإذا مسحَ برأسِه خرجتِ الخطايا من رأسِه حتَّى تخرجَ من أُذُنيهِ فإذا غسلَ رجليهِ خرجتِ الخطايا من رجليهِ حتَّى تخرجَ من تحتِ أظفارِ رجليهِ ثمَّ كانَ مشيُه إلى المسجدِ وصلاتُه نافلةً لَه" [حـــديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَيُّمَا رَجُلٍ قَامَ إِلَى وَضُوئِهِ يُرِيدُ الصَلَاةَ، ثُمَّ غَسَلَ كَفَّيْهِ؛ نَزَلَتْ خَطِيئَتُهُ مِنْ كَفَّيْهِ مَعَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ؛ نَزَلَتْ خَطِيئَتُهُ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ مَعَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ. فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ،

الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح النسائي ١٠٣؛ أخرجه النسائي (١٠٣) واللفظ له، وابن ماجه (٢٨٢)، وأحمد (١٩٠٩١)، ومالك في «الموطأ» (٣٠)].

للوضوءِ والمحافظةِ عليه فضلٌ عظيمٌ، وثوابٌ جَزيلٌ، وفي هذا الحديثِ يُبيّنُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فضائِلَ كلِّ فِعلٍ مِن أفعالِ الوُضوءِ، فيقولُ: "إذا توضَّأ العبدُ المؤمنُ"، أي: إذا توضَّأ وأتى بالوُضوءِ على الوجهِ الأكملِ له، وأعطى كلَّ عضوٍ حقَّه من الماءِ، وهو الإسباغُ مع مُراعاةِ الآدابِ بلا إسرافٍ، وهذا فِعلُ المؤمنِ، والإيمانُ شرْطٌ فيمَن يَحصُل له الأجرُ، "فتَمضمَض، خرَجَتْ الخطايا من فيه"، أي: خرجَت الذُّنوبُ الَّتي ارتكَبَها بفَمِه مثلَ الأقوالِ المحرَّمةِ؛ مِثلَ: المواعدَةِ على المعصيَةِ، وتَذوُّقِه لِمَا نُهي عن أكْله وشُربِه، وتلفُّظه بالسيِّئِ مِن القولِ كالسَّبِّ ونَحوِه، وغيرِ ذلك من الصَّغائرِ، "فإذا استنثَر خرجَتِ الخَطايا من أنفِه"، أي: خرجَتِ الذُّنوبُ الَّتي لها عَلاقةٌ بالأنفِ مِثلَ شمِّ المحرَّماتِ، "فإذا غسَلَ وجهَه خرجَت الخَطايا من وَجهِه" كالنَّظرِ إلى ما لا يَحلُّ قصدًا، "حتَّى تَخرجَ من تحتِ أشفارِ عَينَيْه"، والأشفارُ هي حروفُ العينِ الَّتي ينبُت عليها الشَّعرُ، والشَّعرُ يُسمَّى الهُدْبَ، وخُصَّت العينُ بالذِّكرِ هنا؛ لأنَّ كلًّا من الفمِ والأنفِ والأُذنِ له طَهارةٌ مَخصوصةٌ خارجةٌ عن طَهارةِ الوجهِ؛ فكانت مُتكفِّلةً بإخراجِ خطاياه، بخِلافِ العَينِ، فإنَّه ليس لها طَهارةٌ إلَّا في غَسْلِ الوجهِ، فخُصَّت خَطيئَتُها بالخروجِ عندَ غَسلِه دون غيرِها ممَّا ذُكِرَ، ويَحتمِلُ أنَّه إشارةٌ إلى عِظَمِ ما يَفعلُه الوضوءُ بالوجهِ حتَّى إنَّه لا يَترُكُ أثرًا للذُّنوبِ وإنْ صَغُرت ودقَّ موضعُ وجودِها، "فإذا غَسل يَديْهِ"، أي: إلى المِرفَقينِ، "خرجَتِ الخَطايا من يديْه حتَّى تخرُجَ من تحتِ أظفارِ يَديْهِ"، أي: تَخرُج الخَطايا الَّتي ارتكَبَها بيدِه كاللَّمسِ لما لا يجوزُ، أو البَطشِ ظُلمًا، "فإذا مَسَحَ بِرَأسِه خَرجتِ الخَطايا من رأسِه حتَّى تخرُجَ من أُذنيْه"، كالاستِماعِ إلى ما لا يَحِلُّ، كالأغاني، والأحاديثِ التي يُعصَى اللهُ بها، مِن الغِيبةِ والنَّميمةِ والتَّجسُّسِ وغيرِ ذلك، "فإذا غَسَل رِجليْه خرجَت الخَطايا من رجليْه حتَّى تخرجَ من تحت أظفارِ رجليْه"، أي: خرجَت الخَطايا الَّتي ارتكَبها بِرِجليه كالمشيِ فيما لا يَنبَغي. "ثمَّ كان مشيُه إلى المسجدِ وصَلاتِه"، سواء كانتْ صَلاةَ فَريضةٍ أو غيرِها، "نافلةً له"، أي: تكونُ زائدةً على تَكفيرِ السَّيِّئاتِ وهي لرَفعِ الدَّرجاتِ، أو زائدةً عن تَكفيرِ سيِّئاتِ أعضاءِ الوضوءِ؛ فهي لِسيِّئاتٍ أُخَرَ إنْ وُجِدت، وإلَّا فهي لتَخفيفِ الكَبائرِ، ثمَّ لرفْعِ الدَّرجاتِ. وهذا التَّكفيرُ يشمَلُ صَغائرَ الذُّنوبِ دُون كبائِرِها؛ فإنَّ الكبائرَ لا يُكفِّرُها إلَّا التوبةُ. {وفي الحديثِ: بيانُ فضلِ الوُضوءِ، والحثُّ عليه. وفيه: بيانُ عظيمِ فَضلِ اللهِ على عِبادِه، وإعطائِهم من فَضلِه بغُفرانِ الذُّنوبِ مع كلِّ غَسْلِ كلِّ عُضوٍ من أعضاءِ الوضوءِ}.

وَرِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ؛ سَلِمَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ هُوَ لَهُ، وَمِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ، كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، فَإِذَا قَامَ إِلَى الصَلَاةِ، رَفَعَه اللهُ عزَّ وجلَّ بِهَا دَرَجَةً، وَإِنْ قَعَدَ، قَعَدَ سَالِمًا" [١٦٥]، وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ" [١٦٦]، وهذا الثواب يكون لمن توضأ وأحسن الوضوء.

٥. تفتح أبواب الجنة الثمانية لمن يحافظون على الوضوء وأذكاره؛ فعَنْ عقبة بن عامر

١٦٥ حـــديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٢٧٢٤.

الوُضوءُ من أعْظَمِ أسْبابِ طَهارةِ المُسْلِمِ الحِسِّيَّةِ والمَعْنويَّةِ؛ فإنَّه يُطَهِّرُهُ ظاهرًا بالماءِ، وباطنًا بتَكْفيرِ الذُّنوبِ والخَطايا، ثم تأتي الصَّلاةُ لتُرَقِّيَهُ في دَرَجاتِ النَّعيمِ. وفي هذا الحَديثِ يقولُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «أيُّما رَجُلٍ»، والمُرادُ الرَّجُلُ والمَرْأةُ، وإنَّما خَرَجَ الكلامُ مَخْرَجَ الغالبِ في التعبيرِ عن المجموعِ بالذُّكورِ، «قام إلى وُضوئِهِ»، أي: توجَّه إلى الوُضوءِ بالماءِ «يُريدُ الصَّلاةَ»، أي: كان وُضوؤُهُ هذا؛ لأجْلِ الصَّلاةِ، «ثم غَسَلَ كَفَّيْهِ، نَزَلَتْ خَطيئتُه من كَفَّيْهِ مع أوَّلِ قَطْرَةٍ»، أي: يَغْفِرُ اللهُ له ذُنوبَهُ التي اكْتَسَبَها بكَفَّيْهِ مع نُزولِ أوَّلِ قَطْرَةِ ماءٍ، وهكذا في باقي أعْضاءِ الوُضوءِ؛ كُلَّما غَسَلَ عُضْوًا غَفَرَ اللهُ له الذي اقْتَرَفَهُ هذا العُضْوُ، «فإذا غَسَلَ وجْهَهُ، نَزَلَتْ خَطيئتُهُ من سَمْعِهِ وبَصَرِهِ مع أوَّلِ قَطْرَةٍ؛ فإذا غَسَلَ يَدَيْهِ إلى المِرْفَقَيْنِ» والمِرْفَقُ: المِفْصَلُ الذي في مُنْتَصفِ الذِّراعِ، «وَرِجْلَيْهِ إلى الكَعبينِ» والكَعْبُ: هو العَظْمُ البارِزُ عندَ مُلْتَقى السّاقِ والقَدَمِ، «سَلِمَ من كُلِّ ذَنْبٍ هو له ومن كلِّ خَطيئةٍ كهَيْئَتِهِ يوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»، أي: محا اللهُ عنه ذُنوبَه وأعمالَه الفاسِدَةَ وهو خاصٌّ بغُفْرانِ ما دُونَ الكَبائِرِ؛ لأنَّ لتَكْفيرِ الكبيرةِ شأْنًا آخَرَ؛ فإنَّها لا تُغفَرُ إلّا بالتوبةِ أو بعَفوِ اللهِ تعالى، «فإذا قامَ إلى الصَّلاةِ»، أي: بهذا الوُضوءِ، «رَفَعَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ بها دَرَجَةً»، أي: أعْطاهُ اللهُ مَنْزِلَةً رَفيعةً عاليةً في الجَنَّةِ، أو زادَهُ بها حَسَنَةً، «وإنْ قَعَدَ»، أي: لم يَقُمْ إلى الصَّلاةِ بهذا الوُضوءِ، «قَعَدَ سالِمًا»، أي: من الخَطايا. ويَنْبَغي للمُتَطَهِّرِ أنْ يَسْتَحْضِرَ مع غَسْلِ أعْضائِهِ ذُنوبَه وخَطاياه، ويَعْزِمَ على التَّوْبَةِ منها، فيُطَهِّرَ بدنَهُ ظاهرًا وباطنًا، ويَصْلُحَ للوُقوفِ بين يَدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ. {وفي الحَديثِ: فَضْلُ الوُضوءِ وأنَّه يُكفِّرُ الذُّنوبَ}.

١٦٦ حديث صحيح: صحيح مسلم ٣٣ - ٢٤٥.

في هذا الحَديثِ يَقولُ عُثمانُ بنُ عَفّانَ رَضيَ اللهُ عنه: إنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: مَن تَوضَّأَ فأحسَنَ الوُضوءَ، أي: أجادَه مَع مُراعاةِ سُنَنِه وَآدابِه، خَرجَتْ خَطاياهُ مِن جَسدِهِ، وهو تَصويرٌ لِبَراءتِه عَنِ الذُّنوبِ كُلِّها، وهذا خاصٌّ بالصَّغائِرِ. حتّى تَخرُجَ مِن تَحتِ أظفارِه، أي: حتّى تَخرُجَ جَميعُ ذُنوبِه الَّتي اكتَسبَها مِن تَحتِ أظفارِهِ. {في الحَديثِ: فَضلُ الوُضوءِ وأنَّه يُكفِّرُ الذُّنوبَ. وفيه: الحثُّ عَلى مُراعاةِ آدابِ وَسُننِ الوُضوءِ}.

رضي الله عنه قال: كانَتْ علينا رِعايَةُ الإبِلِ فَجاءَتْ نَوْبَتي فَرَوَّحْتُها بعَشِيٍّ فأدْرَكْتُ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قائِمًا يُحَدِّثُ النّاسَ فأدْرَكْتُ مِن قَوْلِهِ: "ما مِن مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عليهما بقَلْبِهِ ووَجْهِهِ، إلّا وجَبَتْ له الجَنَّةُ" قالَ: فَقُلتُ: ما أجْوَدَ هذِه! فإذا قائِلٌ بيْنَ يَدَيَّ يقولُ: الَّتي قَبْلَها أجْوَدُ، فَنَظَرْتُ فإذا عُمَرُ، قالَ: إنِّي قدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنِفًا، قالَ: "ما مِنكُمْ مِن أحَدٍ يَتَوَضَّأُ فيُبْلِغُ، أوْ فيُسْبِغُ، الوَضُوءَ ثُمَّ يقولُ: أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا عبدُ اللهِ ورَسولُهُ؛ إلّا فُتِحَتْ له أبْوابُ الجَنَّةِ الثَّمانِيَةُ يَدْخُلُ مِن أيِّها شاءَ". وفي رواية: فَذَكَرَ مِثْلَهُ غيرَ أنَّه قالَ: "مَن تَوَضَّأَ فقالَ أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسولُهُ" [١٦٧].

١٦٧ حديث صحيح: صحيح مسلم ١٧ - ٢٣٤.

رحمةُ الله واسعةٌ، ومُكافأةُ الله عزَّ وجلَّ لعِبادِهِ تأتي من أقلِّ القليلِ، وفي هذا الحديثِ يحكي عُقْبَةُ بنُ عامِرٍ رَضِيَ الله عنه، فيقولُ: كانتْ علينا رِعايةُ الإبِلِ، أي: تتبادلُ رِعايتَها؛ إشارةً إلى أنَّهم لم يكنْ معهم خَدَمٌ يَرْعَوْنَ لهم إبِلَهم؛ فجاءتْ نَوْبَتي، أي: دَوْري في الرِّعايةِ، فَرَوَّحْتُها بِعَشِيٍّ، أي: رَدَدْتُ الإبِلَ إلى مَراحَها في آخِرِ النَّهار، فلمّا انتهى عُقْبَةُ من رِعايته للأبِلِ، يقول: فأدركتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، أي: وَجدْتُه، قائِمًا يُحدِّث النّاس، أي: يَخطُب فيهم، فأدركتُ من قولِه، أي: من خُطبتِه: ما من مُسلمٍ يتوضَّأُ فيُحسِن وضوءَه، أي: يُسبغ وضوءَه ويُعطي كلَّ عُضوٍ حقَّه من الماءِ، ثُمَّ يقوم فيُصلِّي رَكعتَينِ مُقبِلٌ عليهما بقَلبِه ووجهِه، أي: يُخلِص ويَخشَع فيهما لله تعالى، إلّا وَجَبَتْ له الجَنَّةُ، أي: كان حقًّا على الله بفعلِه هذا أنْ يُدخِله الجنَّة، فقال عُقْبَةُ مُعْجَبًا ومُسْتَحْسِنًا تلك البُشْرى: ما أَجْوَدَ هذه! يعني: ما أجودَ هذه الكلمةَ أو البِشارةَ، وجَودَتُها جَمعُها بين سُهولةِ العملِ وعظيمِ الأجرِ. قال: فإذا قائِلٌ بين يَدَيَّ، أي: رَجلٌ جالِسٌ من أمامِه يُكلِّمه، يقول: الَّتي قَبلَها، أي: الكلمةُ الَّتي قَبلَ الَّتي سَمِعتَها، أَجْوَدُ، أي: لِما فيها من الخيرِ والأجرِ، قال عُقْبَةُ: فنظرتُ فإذا عُمَرُ، أي: هو الَّذي يَجلِسُ أمامي ويَتكلَّم معي، قال له عُمَرُ: إنِّي قد رأيتُك جِئْتَ آنِفًا، أي: حضرتَ من قريبٍ ولم تَسمعْ كلَّ ما قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، فأخبرَه عُمَرُ بقول النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: ما منكم من أحدٍ يتوضَّأ فيبلُغ، أو فيُسْبِغ الوُضوءَ، أي: يُتِمُّه ويُعطي كلَّ عُضوٍ حقَّهُ من الماءِ، ثُمَّ يقول: أشهدُ أنْ لا إله إلّا الله، أي: لا مَعْبودَ بِحقٍّ إلّا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا عبدُ الله ورسولُه، إلّا، أي: إلّا كان الجزاءُ، أنْ فُتِحَتْ له أبوابُ الجنَّةِ الثَّمانِيةُ، يَدخلُ من أيِّها شاءَ، أي: من أبوابِ الجنَّة أراد أنْ يَدخُل دخلَ. {وفي الحديثِ: عَظيمُ فَضلِ اللهِ تعالى بإعطائِه

٦. أهل الجنة يحلَّون بحلية الجنة؛ أساور من ذهب وفضة ونحو ذلك، فبلوغ حلية المؤمن يوم القيامة على قدر إحسان وضوئه؛ فعَنْ سلمة بن دينار المدني أَبِي حَازِمٍ قَالَ: "كُنْتُ خَلْفَ أَبِي هُرَيْرَةَ وهو يَتَوَضَّأُ لِلصَّلاةِ، فَكانَ يَمُدُّ يَدَهُ حتّى تَبْلُغَ إِبْطَهُ فَقُلتُ له: يا أبا هُرَيْرَةَ ما هذا الوُضُوءُ؟ فقالَ: يا بَنِي فَرُّوخَ أنتُمْ هاهُنا؟ لو عَلِمْتُ أَنَّكُمْ هاهُنا ما تَوَضَّأْتُ هذا الوُضُوءَ، سَمِعْتُ خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم يقولُ: تَبْلُغُ الحِلْيَةُ مِنَ المُؤْمِنِ، حَيْثُ يَبْلُغُ الوَضُوءُ" [١٦٨]، وقَالَ الْقَاضِي عِيَاض: وَإِنَّمَا

الأَجْرَ الكَبيرَ على العَملِ اليَسير. وفيه: فَضلُ الوُضوءِ والذِّكرِ الواردِ بَعدَه، وفَضلُ الرَّكعتَينِ بعدَ الوُضوءِ بالصِّفةِ المذكورةِ، والحثُّ على ذلِك. وفيه: حِرْصُ الصَّحابةِ على الخَيرِ مِنْ تَعلُّم العلمِ ونَشْرِه}.

١٦٨ حديث صحيح: صحيح مسلم ٤٠ - ٢٥٠، وفي صحيح النسائي: "كنتُ خلفَ أبي هريرةَ وَهوَ يتوضَّأُ للصَّلاةِ، وَكانَ يغسلُ يدَيهِ حتّى يبلغَ إبطيهِ فقلتُ يا أبا هريرةَ ما هذا الوضوءُ فقالَ لي: يا بني فرُّوخَ ! أنتُم ها هنا؟ لَو علمتُ أنَّكم ها هنا ما تَوضَّأتُ هذا الوُضُوءَ سمعتُ خليلي صلى الله عليه وسلم يقولُ: تبلغُ حليةُ المؤمنِ حيثُ يبلغُ الوضوءُ" [حـــديـثٌ صحيـحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح النسائي ١٤٩]

الوُضوءُ والطَّهارةُ من شَعائرِ المؤمنينَ، وأثَرُ الوُضوءِ يظهَرُ على المسلمين نورًا يومَ القيامةِ، وبه يَعرفُهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم عندَ حَوْضِهِ، وفي هذا الحديثِ يقولُ أبو حازمٍ الأشجعيُّ: «كُنْتُ خَلْفَ أبي هُرَيْرَةَ، وهوَ يَتَوَضَّأُ للصَّلاةِ، فَكانَ يَمُدُّ يَدَهُ حَتّى تَبْلُغَ إِبْطَه»، أي: كانَ يغْسِلُ يديْهِ وذِراعيْهِ إلى آخِرِهما إلى أن يبلُغَ الإِبْطَيْنِ؛ مبالغةً ورغبةً في غسل أطولِ جُزءٍ من الذِّارعَيْنِ، فقلتُ لهُ: «يا أَبا هُرَيْرَةَ، ما هذا الوُضُوءُ؟»، أي: ما هذا الوُضوءُ الغُريبُ الذي لم نَعهَدْهُ؟ فقالَ أبو هُريرةَ: «يا بَنِي فرُوخَ، أَنْتُم هاهُنا؟ لو عَلِمْتُ أَنَّكُمْ هاهُنا ما تَوَضَّأْتُ هذا الوُضوءَ»، أي: لو أعلمُ أنَّ أحدًا يَراني ما توضَّأتُ هذا الوضوءَ [لأنّ فيه فتنة لبعض الناس]؛ وبَنو فرُّوخَ: هم العَجَمُ، وقيلَ: إنَّ فرُّوخَ مِن ولدِ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ وهُو أخو إسماعيلَ وإسحاقَ، ومن ولدِهِ العَجَمُ [قَالَ صَاحِب الْعَيْن هو الخليل بن أحمد الفراهيدي: (فَرُّوخ) بَلَغَنَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ وَلَد إِبْرَاهِيم صلى الله عليه وسلم مِنْ وَلَدٍ كَانَ بَعْد إِسْمَاعِيل وَإِسْحَاق، كَثُرَ نَسْلُه وَنَمَا عَدَدُه، فَوَلَدَ الْعَجَمَ الَّذِينَ هُمْ فِي وَسَطِ الْبِلَاد، وأَرَادَ أَبُو هُرَيْرَة هُنَا: الْمَوَالِي، وَكَانَ خِطَابُهُ لِأَبِي حَازِم. {شرح النووي على مسلم (٣/ ١٤٠)}]. ثم قالَ أبو هُرَيْرَةَ: "سمِعتُ خليلي صلى الله عليه وسلم يقولُ: «تبلُغُ الحِليةُ منَ المؤْمِنِ حَيْثُ يبلُغُ الوُضوءُ»، والمقصودُ أنَّ المؤمنَ يُحلّى في الجنَّةِ وتكونُ هذه الحِليةُ إلى حيثُ يبلُغُ الوضوءُ، فتبلُغُ الحليةُ في اليدينِ إلى المِرْفقَيْنِ؛ لأنَّ الوضوءَ يبلُغُ إلى المِرْفَقينِ؛ فكان مرادُ أبي هريرةَ أنْ يَبلُغَ بوضوئه أبعدَ ما يَستطيعُ من أعضائه، ليَبلُغَ به الحِليةَ في الجَنَّةِ.

أَرَادَ أَبُو هُرَيْرَة بِكَلَامِهِ هَذَا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ يُقْتَدَى بِهِ إِذَا تَرَخَّصَ فِي أَمْرٍ لِضَرُورَةٍ، أَوْ تَشَدَّدَ فِيهِ لِوَسْوَسَةٍ، أَوْ لِاعْتِقَادِهِ فِي ذَلِكَ مَذْهَبًا شَذَّ بِهُ عَنْ النَّاسِ أَنْ يَفْعَلَهُ بِحَضْرَةِ الْعَامَّة الْجَهَلَة، لِئَلَّا يَتَرَخَّصُوا بِرُخْصَتِهِ لِغَيْرِ ضَرُورَة، أَوْ يَعْتَقِدُوا أَنَّ مَا تَشَدَّدَ فِيهِ هُوَ الْفَرْضُ اللَّازِم [١٦٩]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنهُ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ" [١٧٠]، وفي رواية: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ قَالَ: "نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ" [١٧١]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ: "السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا". قَالُوا أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ يَا

١٦٩ شرح النووي على مسلم (٣/ ١٤٠).

١٧٠ حديث صحيح متفق عليه: أخرجه البخاري ١٣٦ واللفظ له، ومسلم ٢٤٦.

جَعَل اللّٰهُ تعالى للمُؤمِنِينَ سِماتٍ وصِفاتٍ تُمَيِّزُهم عن غَيرِهِمْ في الآخِرةِ، وبها يَعرِفُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أتْباعَه يَومَ القِيامةِ، كعَلاماتِ الإيمانِ والإسلامِ، ومِثلِ أثَرِ الوُضوءِ الذي يكونُ نُورًا ظاهرًا على أعضاءِ الوُضوءِ. وفي هذا الحديثِ يَحكي نُعَيْمٌ المُجْمِرُ أنَّه صَعِدَ مع أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللّٰهُ عنه على ظَهْرِ المَسجِدِ النَّبويِّ، فتَوضَّأَ وُضوءًا كاملًا وأسْبَغَه، وأعْطى كلَّ عُضْوٍ حَقَّه مِن الماءِ والغَسلِ، ثمَّ أخبَرَ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بَشَّر أُمَّتَه الذين اسْتَجابوا له بأنَّ اللّٰهَ تعالى يُمَيِّزُهم بعَلامةٍ يومَ القِيامةِ، ويُنادَوْنَ على رُؤوسِ الأشهادِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِن آثارِ الوُضوءِ، والغُرَّةُ: بَياضٌ في الجَبهةِ، والمرادُ بها هنا النُّورُ الكائنُ في وُجوهِ أُمَّةِ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، والتَّحجيلُ: بَياضٌ في السّاق، والمرادُ به هنا أيضًا النُّورُ؛ فإنَّ الوُضوءَ يَترُكُ أثرًا في الوجْهِ والسّاقِ واليَدينِ يكونُ بَياضًا ونُورًا يومَ القِيامةِ، تَختصُّ به هذه الأُمَّةُ مِن بيْنِ الأُمَمِ، ولَمّا كان للوُضوءِ هذا الأثَرُ، أوْصى أبو هُريرةَ رَضيَ اللّٰهُ عنه بإطالةِ الغُرَّةِ، فقال: «فمَنِ اسْتَطاعَ مِنكُم أنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ، فلْيَفعَلْ»، ولْيُطِلِ الغُرَّةَ والتَّحجيلَ، واقتَصَرَ على ذِكرِ الغُرَّةِ لدَلالتِها على الأُخرى. وقيل: اقتَصَرَ على ذِكرِ الغُرَّةِ دونَ التَّحجيلِ؛ لأنَّ مَحلَّ الغُرَّةِ أشرَفُ أعضاءِ الوُضوءِ، وأوَّلُ ما يقَعُ عليه النَّظرُ مِن الإنسانِ، على أنَّ في رِوايةِ مُسلمٍ ذِكرَ الأمْرينِ، ولَفظُه: «فلْيُطِلْ غُرَّتَه وتَحجيلَه».

١٧١ حديث صحيح: أخرجه مسلم ٣٦ - ٢٤٦.

رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ" . فَقَالُوا كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: "أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَىْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟". قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلاَ لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلاَ هَلُمَّ. فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا" [١٧٢].

١٧٢ حديث صحيح: أخرجه مسلم ٣٩ - ٢٤٩.

جَعَل اللهُ تعالى للمُؤمنِينَ سِماتٍ وصِفاتٍ تُمَيِّزُهم عن غَيرِهِمْ في الآخِرةِ، وبها يَعرِفُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أتْباعَه يَومَ القِيامةِ، كعَلاماتِ الإيمانِ والإسلامِ مثلِ أثرِ الوُضوءِ الذي يكونُ نورًا ظاهرًا على أعضاءِ الوُضوءِ، وفي هذا الحديثِ يقولُ أبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: "إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أتى المَقْبرَةَ"، أي: مكانَ القُبورِ الذي يُدفَن فيه المسلمونَ في البقيعِ، فحَيَّا الأمواتَ وقالَ: «السَّلامُ عَلَيْكمْ دارَ قومٍ مُؤمنينَ، وإنَّا إن شاءَ اللهُ بِكمْ لاحِقونَ»، أي: أنتمْ سَبَقْتم الأحياءَ في الموتِ لانقضاءِ آجالِكمْ، ونحنُ الأحياءُ سنلْحَقُ بكمْ إن شاءَ اللهُ حين تَنقضي آجالُنا في الدُّنيا، ثم قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «ودِدتُ أنَّا قَدْ رَأَيْنا إخْوَانَنا»، وهذا تَمَنٍّ من النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بأنْ يرَى ويلْقى إخوانَه الذينَ لم يأتوا بعدُ، وهذا تَوضيحٌ بأنَّ من لقِيَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فهوَ مِنْ أصحابِهِ، أما مَن لم يرَه منَ المسلمينَ فهُم إخْوةٌ في الدِّينِ والإسلامِ. فقال الصَّحابةُ رضي اللهُ عنهم: "كيفَ تعرِفُ مَنْ لم يأتِ بعدُ مِن أمَّتِكَ يا رَسولَ اللهِ؟"، أي: كيفَ تعرِفُهم في الآخِرةِ، وأنتَ لم ترَهم في الدُّنيا؟ فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «أرَأيتَ لو أنَّ رجلًا لهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلةٌ بينَ ظَهْرَيْ خَيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ ألا يَعرِفُ خَيلَهُ؟" الغُرَّةُ هيَ البياضَ في الوَجهِ، والتَّحْجيلُ هو البَياضُ في الأقدامِ، والخَيلُ البُهْمُ الدُّهْمُ، أي: السَّوداء، فإذا اختلَطَتْ هذه الخيولُ تَمَيَّزَ بعضُها عن بعضٍ بِبَياضِ الغُرَّةِ والتَّحْجيلِ، فكذَلكَ المُسلِمونَ يومَ القيامةِ؛ "فإنَّهمْ يأتونَ غُرًّا مُحَجَّلينَ مِنَ الوُضوءِ، وأنا فرَطُهُمْ على الحَوْضِ"، أي: وأنا سابِقُهم ومتقدِّمهم على الحوضِ يومَ القيامةِ، وهو حوضُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الذي يَسقي فيه الواردينَ عليهم مِن أُمَّتِه. "ألَا ليُذادَنَّ رِجالٌ عَنْ حَوْضي كما يُذادُ البَعِيرُ الضَّالُّ"، أي: سوفَ تُبعِد الملائكةُ وتَطرُدُ عنِ الحوضِ أُناسٌ وهُم مُقبلونَ علَيه ومُتوجِّهونَ إليه، وهمْ من المسلِمينَ، كما يَمنَع ويَطرُد صاحبُ الإبلِ الجملَ الذي ليس من إبلِه، وهو يُزاحِمها في الطَّعامِ والشَّرابِ، «أُنادِيهِمْ: أَلا هَلُمَّ!"، أي: أُنادِيهِمْ لِيأتوا إلى الحوضِ، قَبل أن أعرِفَ لماذا يُطرَدونَ؟ فيُقالُ: إنَّهم قدْ بدَّلوا بعدَكَ. أي: غيَّروا الدِّينَ أو حرَّفوه وانحرفوا بعدَك عنِ الحقِّ، فأقولُ: «سُحقًا سُحقًا»، أي: بُعْدًا لهم وهُو دُعاءٌ من النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم علَيهِمْ بالإبعادِ عن حَوضِه أو

٧. بالوضوء في البيت والذهاب إلى المسجد رفعة الدرجات؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مَنْ بُيُوتِ اللهِ؛ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً" [١٧٣].

٨. إنّها كتاب في عليين؛ فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ؛ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ، ومَن خرجَ إلى تسبيحِ الضُّحى لا ينصبُه إلّا إيّاهُ فأجرُه كأجرِ المعتمرِ وصلاةٌ على أثرِ صلاةٍ لا لغوَ بينَهما كتابٌ في علّيّينَ" [١٧٤]، وفي رواية: "مَن مَشى إلى صَلاةٍ مَكتوبةٍ وهو مُتطهّرٌ، كان له كأجْرِ الحاجِّ المُحرِمِ، ومَن مَشى إلى سُبْحةِ الضُّحى، كان له كأجْرِ المُعتمِرِ، وصَلاةٌ على إثرِ صَلاةٍ لا لَغوَ بيْنَهما كِتابٌ في عِلّيِّينَ، وقال أبو أُمامةَ: الغُدوُّ والرَّواحُ إلى هذه المساجدِ مِن

عن الرَّحمةِ. {وفي الحديثِ: زيارةُ المقبرةِ، وما يُقالُ عندها. وفيه: حبُّ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لأتْباعِه وشَوقُه إليهم. وفيه: فَضلُ الوُضوءِ. وفيه: بيانُ جَزاءِ التَّبديلِ والانحرافِ عن دِينِ اللهِ، وأنَّه سببٌ للإبعادِ عن حوض النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يومَ القِيامةِ}.

١٧٣ حديث صحيح: صحيح مسلم ٢٨٢ - ٦٦٦.

لمّا كانتِ الصَّلاةُ مِن أَفضلِ الأَعمالِ، كانَ للمَشْي لها فضلٌ عظيمٌ، ويَعظُم هذا الفضلُ إذا كانَ المَشْي في طهارةٍ، كما بيَّنَ هذا الحَديثُ، حيثُ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن تَطهَّر في بيتِه» بأيِّ نوعٍ مِن أنواعِ الطَّهارَةِ، «ثمَّ مَشى إلى بيتٍ مِن بيوتِ اللهِ»، أي: خرَجَ قاصِدًا مَسجدًا مِن المَساجدِ، «ليَقضيَ فريضةً مِن فرائضِ اللهِ»، أي: ليُؤدِّي صلاةً مِن الصَّلواتِ التي فرَضَها اللهُ عزَّ وجلَّ كانتْ «خُطوَتاه»، مُثنّى خُطوة- بالضمِّ- وهي ما بَينَ القَدَمينِ، أو خَطْوة- بالفَتْح- واحدُ الخَطْو، وهو رفْعُ القدَمِ للسَّير، «إحداهُما تَحطُّ خطيئةً»، أي: تَمحو ذنبًا، وتَغفِرُ إثمًا، وتُكفِّرُ خَطيئةً «والأُخرى ترفَعُ درجةً»، أي: والخُطْوةُ الأُخرى تَستوجِبُ حسَنةً ترفَعُ منزلتَهُ العاليَةَ في الجنَّةِ. {وفي الحَديثِ: فضْلُ السَّيرِ إلى المَسجْدِ لأَداءِ المَكتوبَةِ}.

١٧٤ حـــديثٌ حسنٌ: حسَّنَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح أبي داود ٥٥٨؛ أخرجه أبو داود (٥٥٨) واللفظ له، وأحمد (٢٢٣٠٤).

الجِهادِ في سَبيلِ اللهِ" [١٧٥].

١٣. المَوْطِنُ الثَّالِثَ عَشَرَ: **"التّقوى"** [١٧٦]: قَالَ اللَّهُ تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ

١٧٥ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ شعيب الأرنؤوط تخريج المسند ٢٢٣٠٤؛ أخرجه أبو داود (٥٥٨)، وأحمد (٢٢٣٠٤) واللفظ له.

يُرشِدُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في هذا الحديثِ إلى فَضلِ الذَّهابِ إلى المساجِدِ لأداءِ صَلاةِ الجَماعةِ، ويُبيّنُ الثَّوابَ المُعَدَّ لِمَن اعتادَ الذَّهابَ إليها، فيُخبِرُ أبو أُمامةَ الباهِليُّ رضِيَ اللهُ عنه عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قالَ: «مَن مَشى إلى صَلاةٍ مَكْتوبةٍ» خرَجَ من بَيتِهِ، أو سُوقِهِ، أو شُغلِهِ قاصِدًا صَلاةَ الفَريضةِ في المَسجِدِ، «وهو مُتطهِّرٌ» بالوُضوءِ أو الاغتِسالِ لِمَن عليه غُسلٌ، «كان له كأجْرِ الحاجِّ المُحرِمِ»يَستوفي أجْرَ مَن قَدَّمَ حَجَّةً، وشُبِّه بالحاجِّ المُحرِمِ لِكَونِ التَّطهُّرِ من الصَّلاةِ بمَنزِلةِ الإحْرامِ من الحجِّ؛ لعَدَمِ جَوازِهما بدُونِهما ثُمَّ إنَّ الحاجَّ إذا كان مُحرِمًا كان ثوابُهُ أتمَّ، فكذلِكَ الخارِجُ إلى الصَّلاةِ إذا كان مُتطهِّرًا كان ثوابُهُ أفضَلَ، «ومَن مَشى إلى سُبْحةِ الضُّحى» يُريدُ به صَلاة الضُّحى، وكُلُّ صَلاةٍ يَتطوَّعُ بها فهي تَسبيحٌ وسُبْحةٌ، «كان له كأجْرِ المُعتَمِرِ»، فيَستَوفي أجْرَ من قَدَّمَ عُمْرةً، «وصَلاةٌ على إثْرِ صَلاةٍ» وانتَظَرَ الصَّلاةَ بعدَ الصَّلاةِ حتى يؤديها، «لا لَغْوَ بيْنَهما» يعني لم يَشغَلْهُ شيءٌ من شَواغِلِ الدُّنيا عنها، بل يجتهِدُ في الذِّكرِ والدُّعاءِ، «كِتابٌ في عِلِّيينَ»، أي: إنَّ مُداوَمةَ الصَّلاةِ بعدَ الصَّلاةِ من غَيرِ تَخلُّلِ ما يُنافيها من الباطِلِ، عَمَلٌ مَكْتوبٌ تَصعَدُ به الملائِكةُ المُقرَّبونَ إلى عِلِّيينَ لكَرامةِ المُؤمِنِ وعَمَلِهِ الصّالِحِ، وإشارةٌ إلى رَفعِ دَرَجةِ الصَّلاةِ وقَبولِها، وعِلِّيونُ: عُلوٌ في عُلوٍ مضاعف، كأنَّه لا نهاية له. قال أبو أُمامةَ رضِيَ اللهُ عنه: «الغُدُوُّ والرَّواحُ إلى هذه المساجِدِ من الجِهادِ في سَبيلِ اللهِ»، والغُدُوُّ هو الوَقتُ بيْنَ صَلاةِ الصُّبحِ إلى شُروقِ الشَّمسِ، والرَّواحُ مِن زَوالِ الشَّمسِ إلى اللَّيلِ، والمَقْصودُ ليس هَذَينِ الوَقتَينِ بخُصوصِهِما، وإنَّما المَقْصودُ المُداوَمةُ على الذَّهابِ إلى المَسجِدِ، والمَعْنى: أنَّ مَنِ اعتادَ الذَّهابَ إلى المَساجِدِ؛ فإنَّ اللهَ تَعالى يَكتُبُ له بذلِكَ أجْرَ المُجاهِدِ في سَبيلِ اللهِ تَعالى. {وفي الحَديثِ: حَثٌّ على شُهودِ الجَماعاتِ، والمُواظَبةِ على حُضورِ المَساجِدِ للصَّلواتِ}.

١٧٦ التقوى في اللّغة: الصيانة والحذر والحماية والحفظ. "لسان العرب".

وفي الشـــــرع: "كال توقي الإنسان عمّا يضره يوم القيامة، وذلك بفعل المأمورات وتجنب المحرمات والمنهيات" [غرائب القرآن؛ للنيسابوري]، وقيل: "التقوى أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تراه فإنه يراك" [وهذا تعريف الإحـــــــسان]، وقـال علي رضي الله عنه: "التقوى ترك الإصرار على المعصية، وترك الاغترار بالطاعة" [تفسير الرازي]، وقال أيضاً: "الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل"، وقيل: "أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية" [المحرر الوجيز]، وقيل: "ألاّ يراك (الله) حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك" [روح المعاني للألوسي]، وقال ابن كثير رحمه الله: "وأصل التقوى التوقي مما يكره،

وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ٧٦] [١٧٧]، وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالتقوى، فقال سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً} [الأحزاب: ١]، كما أمر بها

لأن أصلها وقوى من الوقاية"، وقال طلق بن حبيب: إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى. قالوا: يا أبا علي: وما التقوى؟ قال: "أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخشى عقاب الله" [جامع العلوم وتصنيف ابن أبي شيبة]، وقال بعض السلف: "لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس" [تهذيب مدارج السالكين]، وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "وقد قيل إنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبي بن كعب عن التقوى، فقال له: أما سلكت طريقاً ذا شوك. قال: بلى. قال: فما عملت. قال: شمرت واجتهدت. قال: فذلك التقوى، وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال: خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى، واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى، لا تحقرن صغيرة إنّ الجبال من الحصى"، وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "عن عبد الله -هو ابن مسعود- {اتقوا الله حق تقاته}، قال: أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر"، وحقيقة التقوى فعل المأمورات واجتناب المنهيات، فالتقوى هي أن يجعل الإنسان بينه وبين عذاب الله وعقابه وقاية، وذلك بفعل المأمورات وترك المحظورات، فكل من فعل ما أمره الله به وانزجر عما نهاه الله عنه فقد اتقى ربه، والناس يتفاوتون في التقوى بحسب التزامهم بذلك، فكلما زاد إيمان الشخص زاد تقواه، وكلما ضعف إيمانه ضعف تقواه، والإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي. وقال الإمام ابن القيم في "الرسالة التبوكية" (ص١٥): حقيقة التقوى: العمل بطاعة الله إيمانًا واحتسابًا، أمرًا ونهيًا، فيفعل ما أمره الله به إيمانًا بالأمر وتصديقًا بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيمانًا بالنهي، وخوفًا من وعيده، ثم ذكر أثر طلق بن حبيب السابق، ثم قال: وهذا من أحسن ما قيل في حد التقوى. وقال الحافظ ابن رجب في "جامع العلوم والحكم"، تحت الحديث الثامن عشر: وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقايةً تَقيه منه. ونَقَلَ عن عمر بن عبد العزيز: أنه قال: ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرَّم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيرًا، فهو خير إلى خير.

١٧٧ العهد يشمل العهد الذي بين العبد وبين ربه، وهو جميع ما أوجبه الله على العبد من حقه، ويشمل العهد الذي بينه وبين العباد، والتقوى تكون في هذا الموضع، ترجع إلى اتقاء المعاصي التي بين العبد وبين ربه، وبينه وبين الخلق، فمن كان كذلك فإنّه من المتقين الذين يحبهم الله تعالى، المتقين الذين أعدت لهم الجنة، وكانوا أفضل خلق الله وأجلهم. [تفسير السعدي؛ بتصرف].

المؤمنين خصوصاً، فقال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، وقال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} [الأحزاب: ٧٠-٧١]، وقال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر: ١٨]، وأمر الله جميع الخلق بتقواه، فقال تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ} [النساء: ١٣١]، وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النساء: ١]، وأخبر سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ أن التقوى هي خير الزاد للآخرة قال تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} [البقرة: ١٩٧]، والتقوى شأنها عظيم، ونفعها عميم، لها فضائل لا تحصى، وثمراتٌ لا تعد، ولها أهمية كبرى، وثمرات جليلة، وفضائل عظيمة، وأسرار بديعة، وهي طريق النجاة، وسلم الوصول، ومنهاجُ القاصدين، ومطية الصالحين في سيرهم إلى رب العالمين، ومما ورد في فضائل وثمار التقوى وآثارها [وهو غَيْضٌ من فيض ونقطةٌ من بحر]:

١. التقوى خير لباس يتزين به العبد؛ قال تعالى: {يَابَنِيَ آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلّهُمْ يَذّكّرُونَ} [الأعراف: ٢٦]. لباس التقوى العمل الصالح، وامتثال الأوامر واجتناب النواهي، أن يراك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك.
٢. المتقون هم أولياء الله؛ قال سبحانه وتعالى: {أَلآ إِنّ أَوْلِيَآءَ اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتّقُونَ} [يونس: ٦٢-٦٣]، وقال تعالى: {إِنّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ اللّهِ شَيْئاً وَإِنّ الظّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَاللّهُ وَلِيّ الْمُتّقِينَ} [الجاثية: ١٩]، فالمتقون هم أصحاب الولاية حقاً.

٣. الفوز بمعية الله تعالى، ومن كان معه الله فمن عليه؛ قال تعالى: {وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنّ اللّهَ مَعَ الْمُتّقِينَ} [البقرة: ١٩٤]، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٨].

٤. الفوز بمحبة الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ؛ قال تعالى: {بَلَىَ مَنْ أَوْفَىَ بِعَهْدِهِ وَاتّقَى فَإِنّ اللّهَ يُحِبّ الْمُتّقِينَ} [آل عمران: ٧٦]، والآيةُ دليلٌ أوفى على أنّ التقوى من أسباب نيل حب الله تعالى، ووالله الذي لا إله غيرُه لو لم يكن للتقوى من الفضائل إلا نيل حب الله تعالى لكفى بذلك فضلاً وكفى بذلك فوزاً عظيما، لأنّ نيلَ حب الله تعالى "هو منتهى أملُ العبد وأقصى غايته وغايةُ النهاية"، "وأنت إذا نِلت حبَ الله تعالى فقد فُزْتَ بمعيةِ الله تعالى، ومن كان معه الله فمن عليه؟، وكانت جوارحك معصومةً من الزلل ومُوَفَقَةٌ لصالح العمل، وأحبك أهل السماء وكنت مقبولاً بين الناس في الأرض"، و"إذا نِلت حب الله تعالى وفقك الله لفعلِ المأمور وترك المحظور وأن تتذكر البعث والنشور"، و"إذا نِلت حب الله تعالى جعلك تخشى الرحمن وتمثل القرآن وعصمك من العصيان والخذلان واستحواذ الشيطان"، و"إذا نِلت حب الله تعالى وفقك لحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وأن تذكر الموت والبلى فتستحي من الله حق الحياء" بفضل الله تعالى ، وتأمل في الحديثين الآتيين بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيهما واجعل لهما من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيهما من غرر الفوائد، ودرر الفرائد: {فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:إِنَّ اللَّهَ قَالَ: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي

لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ" [١٧٨] }، إذا أحبك الله فزت بمعية الله تعالى فصارت أعضاءك معصومةً من الزلل موفقةً لصالح العمل، {وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ" [١٧٩] }.

١٧٨ حديث صحيح: صحيح البخاري ٦٥٠٢.

يَحكي أبو هُرَيرَة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: مَن عادى؛ أي: آذى، لي وليًّا، وهو مَن يتولّى اللهُ سبحانه وتعالى أمْرَه ولا يَكِلُه إلى نفْسه لحظةً، بل يتولّى الحقُّ رعايتَه، أو هو الذي يتولّى عبادةَ الله وطاعته، فعباداته تَجري على التَّوالي من غير أنْ يتخلَّلها عصيان، فقد آذنتُه أي: أعلَمتُه بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه؛ أي: أوجبتُه عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل مع الفرائض كالصَّلاة والصِّيام؛ حتى أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يَسمَع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطِش بها، ورِجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه ما سأل، ولئِن استعاذني لأُعيذنَّه ممّا يخاف، وما تردَّدتُ عن شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن نفْسِ المؤمن؛ وليس هذا التردد من أجل الشك في المصلحة، ولا من أجل الشك في القدرة على فعل الشيء، بل هو من أجل رحمة هذا العبد المؤمن، ولهذا قال في نفس الحديث: يكره الموت، وأكره إساءته، ولا بد له منه؛ يَكره الموت؛ لِما فيه من الألَمِ العظيم، وأنا أكره مَساءَتَهُ؛ لِما يَلْقى المؤمن من الموتِ وصُعوبته. {في الحديث: النَّهي عن إيذاء أولياء الله. وفيه: التَّرغيب في حبِّ أولياء الرَّحمن، والاعتراف بفضلهم. وفيه: أنَّ أحبَّ الأعمالِ فِعلُ الفرائض، وأفضلُ القُرُبات بَعدَها فِعلُ النَّوافل}.

١٧٩ حديث صحيح متفق عليه: أخرجه البخاري ٦٠٤٠، ومسلم ١٥٧ - ٢٦٣٧، وفي رواية: "إِذا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نادى جِبْرِيلَ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فأَحْبِبْهُ، فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فيُنادِي جِبْرِيلُ في أَهْلِ السَّماءِ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فأَحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّماءِ، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأَرْضِ" [حديث صحيح متفق عليه: صحيح البخاري ٣٢٠٩؛ أخرجه البخاري ٦٠٤٠، ومسلم ١٥٧ - ٢٦٣٧].

في هذا الحَديثِ بَيانُ فَضلِ تَحصيلِ مَحبَّةِ اللهِ تعالى وما يَترَتَّبُ عليها مِنَ الجَزاءِ في الدُّنيا، فَضلًا على ما يَترَتَّبُ عليها مِن نَعيمِ الآخِرةِ؛ فيُبيِّنُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّه سُبحانَه وتعالى إذا أحَبَّ عَبدًا -بسَببِ طاعَتِه له- نادى الحَقُّ تَبارَكَ وتعالى جِبريلَ عليه السَّلامُ، وقال: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا، فأحْبِبْه، فيُحِبُّه جِبريلُ، ثمَّ يُنادي

٥. التوفيق للعلم فالتقوى مِفتاح العلم؛ لقوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٨٢]، فيعلمكم الحلال والحرام ومصالحكم وحفظ أموالكم وما أمركم وما نهاكم عنه ويعلمكم كل ما تحتاجون إليه، ومن أسباب نقصان العلم ونقص الحفظ وذهاب المسائل وعدم انفتاح النفس للعلم وعدم الحماسة للعلم؛ المعاصي فهي تصد النفس عن العلم. ومن أسباب تحصيل العلم وانفتاح الذهن والقلب والحماس له؛ التقوى، فتقوى الله هي مِفتاحُ مغاليقِ القلوب والعقول، وتقوى الله وسيلةٌ إلى حصول العلم، قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (إنما قَصر بنا عن علمِ ما جهلنا؛ تقصيرُنا في العمل بما عَلِمنا. ولو عَمِلْنا ببعض ما عَلِمْنا؛ لأورثنا عِلْمًا لا تقوم به أبدانُنا، قال الله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ}) [١٨٠].

٦. الهداية للصواب والتفريق بين الحق والباطل؛ لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الأنفال: ٢٩]، أي: عِلْمًا تُفَرِّقون به بين الحقائقِ، والحقِّ والباطل [١٨١]، فهذا وَعْدٌ من الله تعالى بأنَّ مَن اتَّقاه -بِفِعْلِ أوامرِه وترك زواجِرِه- جَعَلَ في قلبه نوراً يَفهم به ما يُلقى إليه، وجَعَلَ له فَيْصَلاً يَفْصِلُ به بين الحق والباطل، ووفَّقَه

جِبريلُ في أهلِ السَّماءِ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحِبُّوه، فيُحِبُّه أهلُ السَّماءِ، والمُرادُ بأهلِ السَّماءِ المَلائِكةُ، ثمَّ يُوضَعُ له القَبولُ في الأرضِ عِندَ أكثَرِ مَن يَعرِفُه مِنَ المُؤمِنينَ، ويَبْقى له ذِكرٌ صالِحٌ، ويُقالُ: مَعناه: يُلقي في قُلوبِ أهلِها مَحَبَّتَه مادِحينَ له، فتَميلُ إليه القُلوبُ وتَرضى عنه. وصِفةُ المَحبَّةِ ثابِتةٌ للهِ سُبحانَه على ظاهِرِها على ما يَليقُ بجَلالِ اللهِ سُبحانَه وتعالى، وحُبُّ جِبريلَ والمَلائكةِ يَحتَمِلُ وَجهَيْنِ؛ أحَدُهما: استِغفارُهم له، وثَناؤُهم عليه، ودُعاؤُهم، والوَجْهُ الآخَرُ: أنَّ مَحَبَّتَهم على ظاهِرِها المَعروفِ مِنَ المَخلوقينَ، وهو مَيلُ القَلبِ إليه، واشتياقُه إلى لِقائِه، وسَبَبُ حُبِّهم إيّاه كَونُه مُطيعًا للهِ تَعالى، مَحبوبًا منه.

١٨٠ تفسير القرطبي ١٣/ ٣٢٤.

١٨١ تفسير السعدي ص ٩٦١.

لمعرفة الحقِّ من الباطل، والهدى والضلال، والحلال والحرام، فكان ذلك سبب نَصره ونَجاته ومَخْرجه من أمور الدنيا، وسعادته يوم القيامة، وتَكْفير ذنوبه وسترها عن الناس؛ بل ينال المُتَّقي أجراً عظيماً، وثواباً جزيلاً.[١٨٢]

٧. تكفير الذنوب والسيئات، وزيادةِ الحسنات والمغفرة وتعظيم أجر المتقين؛ لقوله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً} [الطلاق: ٥].

٨. المخرج من كل ضيق وكرب، والرزق من حيث لا يحتسب المتقي؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَمَن يَتّقِ اللّهَ يَجْعَل لّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢-٣]، فالله تعالى يَسُوق الرِّزقَ للمُتَّقِي من وجهٍ لا يحتسبه، ولا يشعر به.

٩. تيسير الأمور بتيسير الله الذي لا يُضَاهَى؛ لقوله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً} [الطلاق: ٤].

١٠. التقوى سبب قبول العمل، الذي هو منتهى أمل العبد وأقصى غايتة وغاية النهاية؛ قال تعالى: {إِنّمَا يَتَقَبّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتّقِينَ} [المائدة: ٢٧]، وهم الذين (يكون عملُهم خالِصاً لوجه الله، مُتَّبِعين فيه لِسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم)[١٨٣]. قال عامر: (لَحَرْفٌ في كتاب الله أُعْطاه أحبُّ إليَّ من الدنيا جميعاً. فقيل له: وما ذاك يا أبا عمرو؟ قال: أنْ يجعلني اللهُ من المتقين؛ فإنّه قال: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ})[١٨٤]. وأمَّا غير المُتَّقين، فيُقال لهم: {أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ} [التوبة: ٥٣]، فما منا من أحدٍ إلا منتهى أمله وأقصى غايتة وغاية النهاية أن يتقبل الله عمله وأن لا يكون في

١٨٢ انظر: تفسير ابن كثير ٤٣/٤؛ تفسير السعدي ص ٣١٩.

١٨٣ تفسير السعدي ص ٢٢٨.

١٨٤ الطبقات الكبرى لابن سعد ١٠٦/٧.

جملة من قال الله سبحانه وتعالى فيه: {وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَآءً مَّنثُوراً} [الفرقان: ٢٣]، وجَاءَ سَائِلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ فَقَالَ لِابْنِهِ أَعْطِهِ دِينَارًا فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْكَ يَا أَبَتَاهُ فَقَالَ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ مِنِّي سَجْدَةً وَاحِدَةً أَوْ صَدَقَةَ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ، أَتَدْرِي مِمَّنْ يَتَقَبَّلُ اللَّهُ {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}، وعن فضالة بن عبيد قال: لأن أكون أعلم أنّ الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردل أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها؛ لأنّ الله يقول: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}.

١١. التقوى وِقايةٌ من الذنوب، وسبب لحسن العاقبة والمآب، ومَنجاةٌ من المهالك ومن عذاب الدنيا والآخرة، وللحصول على المنزلة العالية يوم القيامة، ودخول الجنة؛ قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [سورة الأعراف: ٢٠١]، يُخبر تعالى عن عباده المتقين أنّهم إذا مسَّهم طائِفٌ من الشيطان بالوسوسةِ أو الهمِّ بالمعصية أو ارتكابِها؛ تذكَّروا عِقابَ الله، وجزيلَ ثوابه، فتابوا وأنابوا، واستعاذوا بالله تعالى، ورجعوا إليه من قريب، {فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} أي: قد استقاموا، وصَحَوا ممَّا كانوا فيه [١٨٥]، وقال تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: ٨٣]، وقال تعالى: {وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ} [ص: ٤٩]، وقال سبحانه وتعالى عزّ وجلّ: {وَنَجّيْنَا الّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يتّقُونَ} [فصلت: ١٨]، وقال تعالى: {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف: ٦٧]، وقال تعالى: {ثُمّ نُنَجّي الّذِينَ اتّقَواْ وّنَذَرُ الظّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً} [مريم: ٧٢]، فإذا (مَرَّ الخلائِقُ كلُّهم على النار، وسَقَطَ فيها مَنْ سَقَطَ من الكفار، والعُصاةِ ذوي المعاصي بِحَسَبِهم؛ نجَّى اللهُ تعالى المؤمنين المُتَّقين

١٨٥ تفسير ابن كثير، (٣/ ٥٣٤).

منها بِحَسَبِ أعمالهم. فجَوَازُهم على الصِّراط وسرعتُهم بِقَدْرِ أعمالهم التي كانت في الدنيا) [١٨٦]، وقال تعالى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى} [الليل: ١٧]، وقال تعالى: {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [البقرة: ٢٢٢]، وقال سبحانه وتعالى: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [سورة القلم: ٣٤]، وقال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [سورة آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [الزمر: ٦٠-٦١]. (لَمَّا ذَكَرَ حالةَ المُتكبِّرين، ذَكَرَ حالةَ المتقين، فقال: {وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ}، أي: بنجاتهم؛ وذلك لأنَّ معهم آلَةَ النجاة، وهي تقوى الله تعالى، التي هي العُدَّة عند كلِّ هولٍ وشدة) [١٨٧].

١٢. حصول الفلاح؛ لقوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [البقرة: ١٨٩].

١٣. الحصول على الهداية والانتفاع بالقرآن؛ قال سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ٢].

١٤. الحفظ من الشيطان ووساوسه؛ قال سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ} [الأعراف: ٢٠١].

١٥. الحفظ من كيد الكفار؛ قال سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً} [آل عمران: ١٢٠].

١٦. انتفاء الخوف والحزن وزوالهما؛ قال سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {فَمَنِ اتَّقَىٰ

١٨٦ تفسير ابن كثير ٥/٢٥٦.

١٨٧ تفسير السعدي ص ٧٢٨.

وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأعراف: ٣٥].

١٧. التقوى سببٌ لِجَلْبِ بَرَكات السماء والأرض، والبركة تكثير القليل، الكثرة، الزيادة، الخير، العافية؛ قال تعالى: {وَلَوْ أَنّ أَهْلَ الْقُرَىَ آمَنُواْ وَاتّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مّنَ السّمَآءِ وَالأرْضِ} [الأعراف: ٩٦]، أي: لو آمنوا بقلوبهم إيماناً صادِقاً صدَّقَتْه الأعمالُ، واتقوا اللهَ تعالى؛ لَفَتَحَ عليهم بركاتٍ السماء والأرض، فأرسلَ السماءَ عليهم مِدراراً، وأنبتَ لهم من الأرض ما به يعيشون، في أَخْصَبِ عَيشٍ وأغزَرِ رِزق. [١٨٨]

١٨. حفظ الأبناء من بعدهم؛ قال تعالى: {وَلْيَخْشَ الّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرّيّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتّقُواْ اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً} [النساء: ٩]، فأرشد الله الآباء الذين يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى في سائر شؤونهم لكي يحفظ أبناءهم، ويغاثون بالرعاية الإلهية بل يحفظ فروع الفروع..!، قال تعالى: {وَأَمّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مّن رّبّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عّلَيْهِ صَبْراً} [الكهف: ٨٢]، والأمر المهم هو: {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً}.

١٩. التقوى نورٌ يُضيءُ الطريق؛ قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحديد: ٢٨]. قال ابن عثيمين رحمه الله: (وفي هذا دليلٌ على أن التقوى من أسباب حصول العلم، وما أكثر الذين يَنْشُدون العلم، وينشدون الحِفْظ، ويطلبون الفهم؛ فنقول: إنَّ تحصيله يسير، وذلك بتقوى الله عز وجل وتحقيقِ الإيمان، الذي هو مُوجِبُ العلم، فاعملْ بما عَلِمْتَ؛ يحصلْ لك عِلْمُ ما

١٨٨ انظر: تفسير السعدي ص ٢٩٨.

لم تعلم، فتقوى الله عز وجل من أسباب زيادة العلم ولا شك، ولهذا قال: {وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ} أي: تَسِيرون به، أي: بسببه سَيْراً صحيحاً، يوصِلُكم إلى الله عز وجل) [189].

٢٠. التقوى عُنوانُ الكرامة، وبالتقوى يُصبح المرءُ كريماً عند الله تعالى؛ قال سبحانه: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣]. فالمُتَّقون درجات، وعلى حسب تفاوتهم في التقوى؛ يتفاضلون في الكرامة عند الله تعالى. فأكرُمهم عند الله أشدُّهم اتِّقاءً له؛ بأداء الفرائض واجتناب المعاصي، والله عليمٌ بالمتقين، خبير بهم [190].

٢١. البشرى للمُتقين فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ؛ لقوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [يونس: ٦٣-٦٤].

٢٢. الشهادة لهم بالصدق؛ قال سبحانه وتعالى: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٧].

٢٣. قبول الصدقة منهم؛ قال سبحانه وتعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧].

١٨٩ تفسير ابن عثيمين ٥٥/١٥.

١٩٠ قوت القلوب، لأبي طالب المكي (٢/ ٨٣).

٢٤. التقوى خَيرُ زاد؛ قال تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ} [البقرة: ١٩٧]. أمَرَ اللهُ تعالى بالتَّزود لسفر الحج، وأمَّا الزاد الحقيقي المستمر نفعُه لصاحبه في دنياه وأُخراه، فهو زاد التقوى، الذي هو زادٌ إلى دار المتقين الجنة، وهو المُوصِلُ لأكملِ لَذَّة، وأجلِّ نعيم، فهذا مدحٌ للتقوى [١٩١].

٢٥. تكريمُ الله تعالى للمتقين؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا} [مريم: ٨٥]. يَحشر اللهُ تعالى المتقين إلى موقف القيامة مُكَرَّمين، مُبَجَّلين مُعَظَّمين، وُفُوداً إليه، والوافِدُ لا بد أنْ يكون في قلبه من الرجاء، وحُسْنِ الظنِّ بالوافِدِ إليه ما هو معلوم. فالمُتَّقون يَفِدون إلى الرحمن، راجين منه رحمتَه، وعَظِيمَ إحسانه، والفوزَ بعطاياه في دار رضوانه، واثِقين بفضله سبحانه [١٩٢].

٢٦. الجنةُ دار المُتقين؛ فالقرآن مليءٌ بالآيات الدالة على أنَّ أهل الجنة هم أهلُ التُّقى؛ من مثل قوله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ} [النحل: ٣٠-٣١]؛ وقوله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ} [القمر: ٥٤-٥٥]، وقوله وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا} [النبأ: ٣١]، أي: إن للمتقين مَنجَى من النار إلى الجنة، ومخلصا منها لهم إليها، وظفرا بما طلبوا.

٢٧. عز الفوقية للمتقين على الخلق؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [البقرة: ٢١٢]، أي: فوق الذين كفروا يوم

١٩١ تفسير السعدي ص ٩١.

١٩٢ تفسير السعدي ص ٥٠٠.

القيامة، بإدخال المتقين الجنة، وإدخال الذين كفروا النار، والله يعطي الذين اتقوا يوم القيامة من نعمه وكراماته وجزيل عطاياه، بغير محاسبة منه لهم على ما منّ به عليهم من كرامته.

٢٨. ومن شرف التقوى أن الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ أمر بالتعاون من أجلها؛ قال سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرّ وَالتَّقْوَىَ وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتّقُواْ اللّهَ إِنّ اللّهَ شَدِيدُ آلْعِقَابِ} [المائدة: ٢].

اللهم آتِ نُفوسَنا تقواها، وزَكِّها أنتَ خيرُ مَنْ زكَّاها، أنتَ وليُّها ومَولاها.

١٤. المَوْطِنُ الرَّابِعَ عَشَرَ: **"التوكل على الله"**: قَالَ اللَّهُ سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩] [١٩٣]، والتوكل على الله من أهمّ أعمال القلوب، وهو من

١٩٣ إنّ التوكل على الله عبادةٌ أمر الله بها عباده المؤمنين، وحقيقته تكون بالثقة بما عند الله عز وجل وصدق الاعتماد عليه واللجوء إليه في جميع الأمور وترك الاختيار لله تبارك وتعالى؛ [فاختيار الله عز وجل وتدبيره للعبد أفضل من تدبير العبد لنفسه فهو الأعلم بمصلحته وأرحم به من نفسه وهو القادر على نفعه]، واليأس بما في أيدي الناس، والثقة بأنّ الله جالب المصالح ودافع المضارّ، وتحقيق التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب، فكما أنّ التوكل عبادةٌ فالأخذ بالأسباب عبادةٌ أيضاً، فالمسلم يأخذ بالأسباب التي قدرها الله تبارك وتعالى. قال سعيد بن جبير رحمه الله: "التوكل على الله نصف الإيمان". والتوكل عمل قلبي ليس من أعمال الجوارح قال الإمام أحمد رحمه الله: "التوكل عمل القلب". وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين بالتوكل فقال: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} [الشعراء: ٢١٧-٢١٩]، وقال تعالى: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣]. وقد ورد في السنة الأمر بالتوكل وعظم منزلته، فقال صلى الله عليه وسلم: "لو أنَّكم كنتُم توكلونَ على اللهِ حقَّ توَكلِه لرزقتُم كما يرزقُ الطَّيرُ تغدو خماصًا وتروحُ بطانًا" [حديث صحيح صححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي ٢٣٤٤؛ أخرجه الترمذي (٢٣٤٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (٢٠٥)؛ فقد حثَّ الشَّرعُ على التوكُّلِ على اللهِ تعالى والأخْذِ بالأسبابِ، وأنْ يكونَ المسلِمُ مُستعينًا باللهِ تعالى معترِفًا بأنَّ اللهَ بيدِه كلُّ شيءٍ، وأنَّه هو الَّذي يقدِّرُ الأشياءَ. وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لو أنَّكم كُنتم تَوَكَّلون على اللهِ حقَّ توكُّلِه»، أي: لو حقَّقتُم معنى التَّوكُّلِ على اللهِ، واعتمَدتُم عليه بصِدقٍ، وأخَذتُم بما تيَسَّر لكم مِن أسبابٍ، وعَلِمتم أنَّ اللهَ بيَدِه العطاءُ والمنعُ، وأنَّ تَكَسُّبَكم

العبادات التي يؤجَر عليها صاحبها، كما أنّه سببٌ في زيادة إيمان العبد، وهو صفةٌ من صفات المؤمنين؛ لقول الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال: ٢]، يقول سهل بن عبد الله: "من طعَن في الاكتساب، فقد طعَن في السُّنَّة، ومن طعَن في التوكل، فقد طعن في الإيمان"، ويقول ابن عباس: "التوكّل جماع الإيمان، والدليل على أهميّة التوكل على الله أن الله أمر به نبيّه والأنبياء من قبله"، وللتوكل على الله فضائل

وسعيَكم مِن أسبابِ اللهِ، وليسَت قوَّتُكم هي الرّازِقةَ لكم، «لَرُزِقتُم»، أي: لرزَقَكم اللهُ ويسَّر لكم الأسبابَ، «كما يرزُقُ الطَّيرَ»، أي: كما يَأتي بالرِّزقِ إلى الطَّيرِ عندما «تَغدو»، أي: تذهَبُ بُكرةً في أوَّلِ نَهارِها، «خِماصًا»، أي: جِياعًا وبطونُها فارِغةٌ، «وتروحُ»، أي: وتأتي في آخِرِ النَّهارِ إلى بَياتِها «بِطانًا»، أي: وقد مُلِئَتْ بُطونُها بالطَّعامِ، وهذا نوعٌ مِن أنواعِ الأسبابِ في السَّعيِ لطلَبِ الرِّزقِ دون التَّواكُلِ والتَّكاسُلِ، والجلوسِ والزُّهدِ الكاذِبِ في الدُّنيا، لكنْ يَنبَغي على العبدِ الأخذُ بأسبابِ الرِّزقِ مع اليَقينِ في اللهِ وعدَمِ الانشغالِ بالدُّنيا عن الآخرَةِ.]، والتوكل على الله معناه في الأصل أن يفوض العبد أمره لله ويسلم حاله له وأن يعتمد على ربه في قضاءِ حاجته ويثق به. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "التوكل هو الثقة بالله، وصدق التوكل أن تثق في الله وفيما عند الله، فإنه أعظم وأبقى مما لديك في دنياك". وقال الإمام أحمد رحمه الله: "وجملة التوكل تفويض الأمر إلى الله جل ثناؤه والثقة به". وقال ابن رجب رحمه الله: "هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها". ومن مقتضى التوكل وشرط صحته العمل بالأسباب النافعة المأذون بها شرعاً؛ لأن الشارع الحكيم ربط بين التوكل والعمل بالأسباب، فلا يُجزئ التوكل، ولا ينفع العبد إلا بالأخذ بالأسباب، ولا تنافي مطلقاً بين التوكل والعمل بالأسباب. قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك:١٥]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ} [النساء من الآية:٧١].

فحقيقة التوكل في المفهوم الشرعي إذن؛ اعتماد القلب على الله مع تعاطي الأسباب بالجوارح فهذان هما رُكنا التوكل لا يصح التوكل إلا بهما. أما الاعتماد على الله والإعراض عن الأسباب فقدح في الشرع ونقص في العقل وأما الاقتصار فقط على العمل بالأسباب دون الاعتماد على الله فشرك في الأسباب. قال ابن القيم رحمه الله: "فإن تركَها عجزاً ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصولِ ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع ما يضرّه في دينه ودنياه ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزاً".

وثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة لا يدركها إلا من فوض أمره لله سبحانه، ومن ثمرات وفضائل التوكل على الله [١٩٤]:

١. تحقيق الإيمان؛ قال الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: ٢٣].

٢. كفاية الله المتوكل جميع شؤونه؛ لقول الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر: ٣٦]، وقال سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣]، قال ابن القيم: "أي كافيه ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا بأذى لا بد منه: كالحر والبرد والجوع والعطش وأما أن يضره بما يبلغ به مراده فلا يكون أبداً" [١٩٥].

٣. يورث محبة الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ للعبد؛ لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩].

٤. يقوي العزيمة والثبات على الأمر؛ قال سبحانه وتعالى عزّ وجلّ: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: ٥١]، وأورد ابن كثير في تفسيره: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا وقعتمْ في الأمرِ العظيمِ فقولوا: {حَسْبُنا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}" [١٩٦].

٥. يقي من تسلُّط الشيطان؛ قال تعالى: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [النحل: ٩٩]، وفي حديث: "إذا خرج الرجلُ من بيتِهِ فقال:

١٩٤ التوكل على الله؛ أ. د. سليمان بن قاسم بن محمد العيد [بتصرف].

١٩٥ المجموع القيم من كلام ابن القيم في الدعوة والتربية وأعمال القلوب؛ منصور بن محمد المقرن؛ ج١ ص ٣٣٥-٣٣٦.

١٩٦ حديث ضعيف جدا، ضعّفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة ٧٠٠٢؛ أخرجه ابن مردويه كما في «تفسير القرآن» لابن كثير ١٧٠/٢.

بِسْمِ اللهِ، توكلتُ على اللهِ، لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ. قال: يُقالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ وكُفِيتَ ووُقِيتَ، فتَتَنَحّى له الشياطينُ، فيقولُ شيطانٌ آخَرُ: كيف لك برجلٍ قد هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ؟" [١٩٧].

٦. من أسباب دفع السحر والحسد والعين؛ قال تعالى: {وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} [يوسف: ٦٧].

٧. يورث الرضا بالقضاء؛ قال ابن القيم: "فإنّه إذا توكل حق التوكل، رضِي بما يفعله وكيلُه".

٨. سبب في دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب؛ لحديث ابن عباس في السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب [١٩٨].

١٩٧ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود ٥٠٩٥؛ أخرجه أبو داود (٥٠٩٥) واللفظ له، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٩١٧) باختلاف يسير.

١٩٨ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: خَرَجَ عَلَيْنَا النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النبيُّ معهُ الرَّجُلُ، والنبيُّ معهُ الرَّجُلَانِ، والنبيُّ معهُ الرَّهْطُ، والنبيُّ ليسَ معهُ أحَدٌ، ورَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فقِيلَ: هذا مُوسَى وقَوْمُهُ، ثُمَّ قيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، ومع هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بغيرِ حِسَابٍ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ ولَمْ يُبَيَّنْ لهمْ، فَتَذَاكَرَ أصْحَابُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالوا: أمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا في الشِّرْكِ، ولَكِنَّا آمَنَّا باللَّهِ ورَسولِهِ، ولَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لا يَتَطَيَّرُونَ، ولَا يَسْتَرْقُونَ، ولَا يَكْتَوُونَ، وعلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فَقَامَ عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: أمِنْهُمْ أنَا يا رَسولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أمِنْهُمْ أنَا؟ فَقَالَ: سَبَقَكَ بهَا عُكَاشَةُ. [حديث صحيح؛ أخرجه البخاري؛ صحيح البخاري ٥٧٥٢]، وفي صحيح مسلم: "يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِن أُمَّتي سَبْعُونَ ألْفًا بغيرِ حِسابٍ، قالوا: مَن هُمْ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: هُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، ولا يَتَطَيَّرُونَ، ولا يَكْتَوُونَ، وعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ". [حديث صحيح؛ أخرجه مسلم؛ صحيح مسلم ٢١٨].

يَحكي ابنُ عَبَّاس رضي اللَّه عنهما، أَنَّهُ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم عُرِضَتْ عليه الأُمَمُ، فجعَلَ يَمُرُّ النَّبيُّ ومعه الرَّجُلُ، والنَّبيُّ ومعه الرَّجُلانِ، والنَّبيُّ ومعه "الرَّهْطُ"، وهوَ ما دونُ العَشَرةِ مِن الرِّجالِ، والنَّبيُّ يَمُرُّ لَيسَ مَعَهُ أحَدٌ

٩. هم أول من يدخل الجنة؛ لحديث ابن عباس في السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يومَ القِيامَةِ، ونَحْنُ أَوَّلُ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبْلِنا، وأُوتِيناهُ مِن بَعْدِهِمْ، فاخْتَلَفُوا، فَهَدانا اللَّهُ لِما اخْتَلَفُوا فيه مِنَ الحَقِّ، فَهذا يَوْمُهُمُ الذي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدانا اللَّهُ له، قالَ: يَوْمُ الجُمُعَةِ، فالْيَومَ لَنا، وغَدًا لِلْيَهُودِ، وبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصارى" [١٩٩]، وفي رواية: "نحن الآخِرونَ السّابِقونَ يومَ القيامةِ، أَوَّلُ زُمرةٍ مِن أُمَّتي يَدخُلون الجَنَّةَ سَبعونَ أَلْفًا لا حِسابَ عليهم، صورةُ كُلِّ رَجُلٍ منهم على صورةِ القَمرِ لَيلةَ البَدرِ، ثم الذين يَلونهم على أَشَدِّ ضَوءٍ كَوكَبٍ في السَّماءِ، ثم هم بَعدَ ذلك مَنازِلُ" [٢٠٠].

مِمَّنْ أخبَرَهُم عن اللَّهِ؛ لِعَدَمِ إيمانِهِم. ثُمَّ رَأى صلَّى اللَّه عليه وسلَّم سَوادًا يَسُدُّ "الأُفُقَ" وَهِيَ: نَواحي السَّماءِ والأرضِ، فَرَجَا أنْ تَكونَ أُمَّتَه، فَقيلَ: هذا موسى وَقَومُه، ثُمَّ قيلَ له انظُر فَرَأى سَوادًا كَثيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقيلَ له: انظُر هَكَذا وَهَكَذا، فَنَظَرَ فَرَأى سَوادًا كَثيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقيلَ له: هَؤُلاءِ أُمَّتُكَ الَّذينَ آمَنوا بِكَ، وَمَعَ هَؤُلاءِ سَبعونَ أَلفًا يَدخُلونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِساب، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ ولَمْ يُبَيّن لهم صلَّى اللَّه عليه وسلَّم السَّبعونَ أَلفًا، فَتَذاكَرَ أصحابُ النَّبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، فَقالوا: أمَّا نَحنُ فَوُلِدْنا في الشِّركِ، ولكِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسولِهِ، وَلَكِنْ هؤلاءِ هُم أبناؤُنا الَّذينَ وُلِدوا في الإسلامِ، فَبَلَغَ قَولُهُم النَّبيَّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، فَقالَ الدَّاخِلونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسابٍ هُم الَّذينَ "لا يَتَطَيَّرونَ"، أي: لا يَتَشاءَمونَ، "وَلا يَكْتَوونَ"، أي: لا يَطلُبونَ مِن أحَدٍ أن يَكويَهُم إذا مَرِضوا، "وَلا يَسْتَرْقونَ"، أي: لا يَطلُبونَ مِن أحَدٍ أن يَقرَأَ عليهم؛ لِأنَّهُم مُعتَمِدونَ عَلى اللَّهِ؛ ولأنَّ الطَّلَبَ فيه شَيءٌ مِن الذُّلِّ. وعلى رَبِّهِم يَتَوَكَّلونَ، أي: يُفَوِّضونَ أَمْرَهم إلَيه تعالى، في تَرتيبِ الأسبابِ عَلى المُسَبِّباتِ، أو يَتْرُكونَ ذلك مُطلَقًا على ظاهِرِ اللَّفظِ. فَقامَ عُكَّاشةُ بنُ مِحْصَنٍ فَقالَ: أَمِنْهُم أنا يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: نَعَمْ، أنتَ مِنهُم، فَقامَ آخَر فَقالَ: أَمِنْهُم أنا يا رَسول اللَّهِ؟ فَقالَ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: سَبَقَك بِها عَكَّاشةُ. {في الحَديثِ: أنَّ تَرْكَ الرُّقيةِ والكَيِّ تَوَكُّلًا عَلى اللَّهِ تَعالى أفضَلُ مِن فِعْلِهما. وفيه: النَّهيُ عَن الطِّيَرةِ. وفيه: فَضيلةُ موسى عليه السَّلامُ وَقَومِه. وفيه: إخبارُهُ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم عَن الغَيبِيَّاتِ}.

١٩٩ حديث صحيح متفق عليه: أخرجه مسلم ٢٠ - ٨٥٥، والبخاري ٨٧٦.

٢٠٠ حديث صحيح: صححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند ١٠٥٤٨؛ أخـــرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤)، والترمذي (٢٥٣٧)، وابن ماجه (٤٣٣٣) مطولاً باختلاف يسير، وأحمد (١٠٥٤٨) واللفظ له.

١٠. دخول الجنة بوجوه مضيئة على صفة القمر؛ حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ علَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، والذينَ علَى إثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ علَى قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ، لا اخْتِلَافَ بيْنَهُمْ ولَا تَبَاغُضَ، لِكُلِّ امْرِئٍ منهمْ زَوْجَتَانِ، كُلُّ واحِدَةٍ منهما يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِن ورَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الحُسْنِ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وعَشِيًّا، لا يَسْقَمُونَ، ولَا يَمْتَخِطُونَ، ولَا يَبْصُقُونَ، آنِيَتُهُمُ الذَّهَبُ والفِضَّةُ، وأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، ووَقُودُ مَجَامِرِهِمُ الأَلُوَّةُ - قالَ أَبُو اليَمَانِ: يَعْنِي العُودَ-، ورَشْحُهُمُ المِسْكُ. [٢٠١]

٢٠١ حديث صحيح: أخرجه البخاري؛ صحيح البخاري ٣٢٤٦.

كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَصِفُ الجَنَّةَ وما فيها مِن النَّعيمِ؛ حثًّا للنَّاسِ على الاجتهادِ في الطَّاعاتِ حتَّى يَنالوا الجَنَّةَ، كما كان يُبيِّنُ أسبابَ الأسبقيَّةِ في دُخولِها. وفي هذا الحديثِ يَصِفُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أهلَ الجَنَّةِ جَميعًا بالحُسنِ والجَمالِ، وأنَّهم يَتفاوَتونَ في ذلك حسَبَ دَرَجاتِهم وأعمالِهم؛ فأوَّلُ طائفةٍ تَدخُلُ الجَنَّةَ تكونُ كالقمَرِ لَيلةَ البدْرِ، وهي لَيلةُ الرَّابعَ عشَرَ حِين تَكمُلُ استدارتُه، ويَتمُّ نُورُه، فيكونُ أكثرَ إشراقًا، وأعظَمَ حُسنًا وبَهاءً. وفي رِوايةٍ عندَ البُخاريِّ: «يَدخُلُ الجَنَّةَ مِن أُمَّتي سَبْعون ألْفًا تَضِيءُ وُجوهُهم إضاءةَ القمَرِ لَيلةَ البدْرِ». أمَّا الطَّائفةُ الثَّانيةُ فإنَّها تُشبِهُ في صُورتِها أقْوى الكواكبِ نُورًا وضِياءً، وقد ورَدَ في هذا المعْنى ما يَقْتضي ما هو أبلَغُ مِن ذلك؛ فرَوى التِّرمذيُّ مِن حَديثِ سَعْدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رَضيَ اللهُ عنه مرفوعًا: «لو أنَّ رجُلًا مِن أهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَع، فبَدا أساورُه؛ لَطمَسَ ضَوءَ الشَّمسِ، كما تَطمِسُ الشَّمسُ ضَوءَ النُّجومِ». أمَّا صِفاتُهم النَّفسيَّةُ والخُلقيَّةُ، فهمْ كما وصَفَهم صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: على قَلْبِ رجُلٍ واحدٍ، أي: في غايةِ الاجتماعِ والاتِّفاقِ، حتَّى كأنَّ قُلوبَهم جميعًا قلْبٌ واحدٌ، لا اختِلافَ بيْنهم ولا تَباغُضَ؛ فإنَّ نُفوسَهم صافيةٌ نقيَّةٌ خاليةٌ مِن العَداوةِ والبَغضاءِ، عامرةٌ بالحُبِّ والمودَّةِ؛ لطَهارةِ قُلوبِهم عن الأخلاقِ الذَّميمةِ، وفي رِوايةِ مُسلمٍ: «ثمَّ هم بعْدَ ذلك مَنازِلُ»؛ أي: إنَّ دَرَجاتِهم في إشراقِ اللَّونِ مُتفاوِتةٌ بحَسبِ عُلوِّ دَرَجاتِهم، وتَفاوُتِ فضْلِهم. وأخبَرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ لكلِّ واحدٍ منهم زَوجتينِ، وفي الصَّحيحينِ: «أنَّهما مِن الحُورِ العِينِ»، وأنَّهما في غايةِ الحُسنِ والصَّفاءِ، حتَّى إنَّه يَرى الرَّائي مُخَّ ساقِها مِن وَراءِ اللَّحمِ؛ مِن الحُسنِ، فهي -لِصَفاء جَسدِها، ورِقَّة بَشَرَتِها- جِسمٌ شفَّافٌ يَكشِفُ عمَّا بداخِلِه، فيَرى النَّاظرُ إليها مُخَّ عِظامِ ساقِها مِن وَراءِ لَحْمِها؛ قال تعالَى: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن: ٥٨]. ثمَّ أخبَرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ أهْلَ الجَنَّةِ يُسبِّحونَ اللهَ بُكرةً وعَشيًّا، أي: في أوَّلِ النَّهارِ وآخِرِه مُتلذِّذينَ بالتَّسبيحِ، والمرادُ أنَّهم يُسبِّحونَ في وقْتِهما؛ وإلَّا فلا بُكرةَ في الجَنَّةِ ولا عَشيَّةَ، أمَّا

١١. الثبات على الحق؛ قال سبحانه وتعالى: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ} [النمل: ٧٩].

١٢. يطرد التطيُّر؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطيرة شرك". قال ابن مسعود: وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ. [٢٠٢]

١٣. يورث الصبر والتحمل؛ قال سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [النحل: ٤٢]: ذكر وصف أوليائه فقال: {الَّذِينَ صَبَرُواْ} على أوامر الله وعن نواهيه، وعلى أقدار الله المؤلمة، وعلى الأذية فيه والمحن {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} أي: يعتمدون عليه في تنفيذ محابّه، لا على أنفسهم. وبذلك تنجح

هذا التَّسبيحُ فإنَّه ليس عن تَكليفٍ؛ وإنَّما يُلهَمونَه كما يُلهَمونَ النَّفَسَ. ولا يَمرَضونَ فيها، ولا يَمْتخِطونَ ولا يَبصُقونَ؛ لأنَّ اللهَ طَهَّرَ أهلَ الجَنَّةِ مِن هذه الأقذارِ، وبَعضُ آنِيتِهم مِن فِضَّةٍ، وبَعضُها مِن ذَهَبٍ، وأمشاطُهم مِن الذَّهبِ الخالِصِ، ووَقُودُ مَجامِرِهم الأَلُوَّةُ؛ يعني أنَّ بَخُورَهم الَّذي تتَّقدُ به مَجامرُهم هو العُودُ الهِنديُّ، الَّذي هو مِن أطيبِ الطِّيبِ وأَزكى البَخورِ، ورَشْحُهُمُ الَّذي يَعرَقونَه هو المِسْكُ، فالطَّعامُ الَّذي يَأكُلونه يَخرُجُ منهم عَرَقًا تَفوحُ منه رائحةٌ ذَكيَّةٌ كَرائحةِ المِسكِ، كما جاء في حَديثِ مُسلمٍ عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضيَ اللهُ عنهما، قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «يَأكُلُ أهلُ الجَنَّةِ فيها ويَشرَبون، ولا يَتغوَّطون ولا يَمتخَّطون ولا يَبولونَ، ولكنْ طَعامُهم ذلك جُشاءٌ كرَشْحِ المِسكِ». (وفي الحديثِ: أنَّ أهْلَ الجَنَّةِ يَتنعَّمون بكلِّ مَظاهرِ النَّعيمِ والتَّرَفِ. وفيه: أنَّ الجَنَّةَ مُطهَّرةٌ عن الأقذارِ. وفيه: دَليلٌ على دُخولِ أهْلِ الجَنَّةِ إليها جَماعةً بعْدَ جَماعةٍ، وقد صُرِّحَ به في قولِه تعالَى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا} [الزمر: ٧٣]).

٢٠٢ حديث صحيح صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب ٣٠٩٨؛ أخرجه أبو داود (٣٩١٠) واللفظ له، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وأحمد (٣٦٨٧).

الطِّيَرةُ هي التشاؤُمُ بالشيءِ وقد ذكَرها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديثِ ثلاثًا مُحذِّرًا مِنها، فقال: «الطِّيَرةُ شِركٌ الطِّيَرةُ شِركٌ .. ثلاثًا»، وإنَّما كانتِ الطِّيَرةُ شِركًا؛ لأنَّها من أعمالِ أهلِ الشِّركِ، ولأنَّها سوءُ ظنٍّ في اللهِ عزَّ وجلَّ. وقولُه: (وما مِنّا إلّا)، أي: ما منّا أحدٌ إلّا يَعتريه التطيُّرُ، ولكنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُذهب عنه هذا الفِعلَ الذي هو مِن شِيَمِ أهل الجاهليَّةِ بالتوكُّلِ على اللهِ وحْدَه، مع فِعلِ الأسبابِ ثم تَرْكِ الأمرِ للهِ سُبحانَه وهو يُقدِّره حيثُ شاءَ وكيفَما شاءَ. {وفي الحديثِ: الأمرُ بالتوكُّلِ على اللهِ وحدَه وتعلُّق القلبِ به سُبحانَه}.

أمورهم وتستقيم أحوالهم، فإن الصبر والتوكل ملاك الأمور كلها، فما فات أحدا شيء من الخير إلا لعدم صبره وبذل جهده فيما أريد منه، أو لعدم توكله واعتماده على الله [٢٠٣].

١٤. يورث النصر والتمكين؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: ١٦٠].

١٥. يُورث سعة الرزق؛ قال صلى الله عليه وسلم: "لو أنَّكم توَكَّلتم على اللهِ حقَّ توَكُّلِهِ، لرزقَكم كما يرزقُ الطَّيرَ، تغدو خماصًا، وتروحُ بطانًا" [٢٠٤]، وفي رواية: "لو أنَّكم كنتُم توَكلونَ على اللهِ حقَّ توَكلِه لرزقتُم كما يرزقُ الطَّيرُ تغدو خماصًا وتروحُ بطانًا" [٢٠٥].

١٦. من أقوى الأسباب لدفع أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، فمن تعرض للأذى والظلم

٢٠٣ تفسير السعدي.

٢٠٤ حديث صحيح صححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه ٣٣٧٧؛ أخرجه الترمذي (٢٣٤٤) باختلاف يسير، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (٣٧٠) واللفظ لهما.

٢٠٥ حديث صحيح صححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي ٢٣٤٤؛ أخرجه الترمذي (٢٣٤٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (٢٠٥).

حَثَّ الشَّرعُ على التوكُّلِ على اللهِ تعالى والأخْذِ بالأسبابِ، وأنْ يكونَ المسلِمُ مُستعينًا باللهِ تعالى معترِفًا بأنَّ اللهَ بيدِه كلُّ شيءٍ، وأنَّه هو الَّذي يقدِّرُ الأشياءَ. وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لو أنَّكم كُنتم تَوَكَّلون على اللهِ حقَّ توكُّلِه»، أي: لو حقَّقتُم معنى التَّوكُّلِ على اللهِ، واعتمَدتُم عليه بصِدقٍ، وأخَذتُم بما تيَسَّر لكم مِن أسبابٍ، وعَلِمتم أنَّ اللهَ بيَدِه العطاءُ والمنعُ، وأنَّ تَكَسُّبَكم وسعيَكم مِن أسبابِ اللهِ، وليسَت قوَّتُكم هي الرّازِقةَ لكم، «لَرُزِقتُم»، أي: لرزَقَكم اللهُ ويسَّر لكم الأسبابَ، «كما يرزُقُ الطَّيرَ»، أي: كما يَأتي بالرِّزقِ إلى الطَّيرِ عندما «تَغدو»، أي: تذهَبُ بُكرةً في أوَّلِ نَهارِها، «خِماصًا»، أي: جِياعًا وبطونُها فارِغةٌ، «وتروحُ»، أي: وتأتي في آخِرِ النَّهارِ إلى بَياتِها «بِطانًا»، أي: وقد مُلِئَتْ بُطونُها بالطَّعامِ، وهذا نوعٌ مِن أنواعِ الأسبابِ في السَّعيِ لطلَبِ الرِّزقِ دون التَّواكُلِ والتَّكاسُلِ، والجلوسِ والزُّهدِ الكاذِبِ في الدُّنيا، لكنْ يَنبَغي على العبدِ الأخذُ بأسبابِ الرِّزقِ مع اليَقينِ في اللهِ وعدَمِ الانشغالِ بالدُّنيا عن الآخرَةِ.

فلجأ إلى الله تعالى وقال: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، أتاه العون من الله تعالى والنصر مهما طال زمن أو قصر وقد أرشدنا الله إلى الاعتصام به والتوكل عليه إذا ادلهمت علينا الخطوب وضاقت علينا الأمور وبين أنّ العاقبة للمتقين فقال تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

١٧. يطرد داء العُجب والكِبر؛ فالمتوكل على الله يتسم بسمت التواضع، وتبرز هذه السمة عنده نتيجة لتواضعه لله عزّ وجل بعبادته، وإطاعة أمره، ورؤية ما يراه الله، وليس ما تراه نفسه، لأنّ الباعث على طاعة الله عنده باعث المحبة لله عزّ وجلّ والثقة به، فتواضعه لله عزّ وجلّ تواضع اطمئنان وأمن، كما أنّه يتواضع للدين بقبوله بكل ما جاء به النبيّ صلى الله عليه وسلم قبول اطمئنان؛ علاوة على تواضعه لإخوانه المسلمين [٢٠٦].

١٨. من أقوى الأسباب في جلْب المنافع ودفع المضار؛ قال ابن رجب رحمه الله: "هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها" [٢٠٧]، قال الله تعالى: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ} [النمل: ٧٩]، قال السعدي: "أي: اعتمد على ربك في جلب المصالح ودفع المضار، وفي تبليغ الرسالة، وإقامة الدين، وجهاد الأعداء".

١٩. الثقة بالله، وعدم اليأس، والثبات على الحق، وصدق الجهاد، والإقدام على معالي الأمور، ويورث قوة القلب وشجاعته، وارتياحه وسكونه، وثباته وتحدّيه

٢٠٦ التوكل وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى طالبات الجامعة الإسلامية بغزة؛ رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة: تغريد شريف نصر الداية؛ إشراف الدكتور: سامي أبو إسحاق؛ ص٧٢ [بتصرف].

٢٠٧ جامع العلوم والحكم ٣٤٦/٣.

للأعداء، ويورث الأمل وطُمَأنينة النفس والقوة الروحية؛ فالمتوكل على الله شجاع قوي بالله إن سُئِلَ عن علم صدع بالحق، ولم يخشَ إلا الله، وفوض أمره لله، وأيقن أنه لن يصيبه ضر إلا بأمر كتبه الله عليه، فلا يخاف الشيطان وأوليائه متأسِّياً بتوكل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كاده الكفار، ففي الحديث الصحيح عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ رضي الله عنهما قال: "حَسْبُنا اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ، قالَها إبْراهِيمُ عليه السَّلامُ حِينَ أُلْقِيَ في النّارِ، وقالَها مُحَمَّدٌ صلّى اللهُ عليه وسلَّم حِينَ قالوا: {إنَّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إيمانًا وَقالُوا حَسْبُنا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣]" [٢٠٨]، وفي الحديث: "منْ سرَّهُ أنْ يكونَ أقوى الناسِ؛ فلْيتوكلْ على اللهِ" [٢٠٩].

١٥. المَوْطِنُ الخَامِسَ عَشَرَ: **"العدل والقسط"** [٢١٠]: قَالَ اللَّهُ سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ:

٢٠٨ حديث صحيح: أخرجه البخاري؛ صحيح البخاري ٤٥٦٣.

مِن صِدقِ الإيمانِ أنْ يَتيقَّنَ المؤمنُ أنَّ اللهَ هوَ كافيه فيما أهمَّه وألَمَّ بِه، وأنَّه نِعْمَ الكافي لِذلكَ، ويَتمثَّلُ هذا في القَولِ بِصدقِ: حَسبُنا اللَّهُ ونِعْمَ الوَكيلُ؛ فهوَ حَسبُنا وكافينا ونِعمَ المَولى ونِعمَ النَّصيرُ. وفي هذا الحَديثِ يَقولُ ابنُ عَبّاسٍ: «حَسبُنا اللَّهُ ونِعمَ الوَكيلُ»، أي: هوَ الكافي في الشُّؤونِ كُلِّها؛ فَما مِن سوءٍ إلّا هو قادرٌ على أنْ يُبعِدَه، وَما مِن خَيرٍ إلّا هوَ قادرٌ أنْ يُقرِّبَه. قالَها، أي: قال هذه الجملة «حَسبُنا اللَّهُ ونِعمَ الوَكيلُ» إبراهيمُ عليه السَّلامُ حينَ أُلْقِيَ في النّارِ يَعني: عِندَما رَماهُ قَومُه في النّارِ بَعدَ أنْ حَطَّمَ أصنامَهُم، فَكانتِ النّارُ بَردًا وسَلامًا عليه، وقالَها مُحَمَّدٌ صلّى اللهُ عليه وسلَّم حينَ قالوا: إنَّ النّاسَ قَد جَمعوا لَكُمْ فاخْشَوْهُم فَزادَهُم إيمانًا وَقالوا حَسبُنا اللَّهُ ونِعْم الوَكيلُ، وَكانَ ذَلكَ عَقِبَ غَزوَةِ أُحدٍ؛ حَيثُ قيلَ: إنَّ المُشركينَ سَيَرجِعونَ إليكُم لِيُكمِلوا حَربَهُم، فَقالَ النَّبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلَّم: حَسبُنا اللهُ ونِعمَ الوَكيلُ، فكفاهُ اللهُ ذَلكَ؛ فمَنِ انتَصَرَ بِاللهِ نَصرَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، ومَن تَوكَّلَ على اللهِ فهوَ حَسبُه. {وفي الحديثِ: أهميَّةُ التوكُّلِ الصّادقِ على اللهِ تعالى، وحُسنِ اللُّجوءِ إليه وأنَّ فيه النجاةَ}.

٢٠٩ حديث ضعيف جداً: ضعّفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة ٤٦٠٢.

٢١٠ معنى العدل لغةً: {العدل خلاف الجور، وهو القصد في الأمور، وما قام في النفوس أنه مستقيم، مِن عَدَلَ يَعْدِلُ فهو عادل من عُدولٍ وعَدْلٍ، يقال: عَدَلَ عليه في القضية فهو عادِلٌ. وبسط الوالي عَدْلَهُ [الصحاح في اللغة؛ للجوهري (١٧٦٠/٥)، لسان العرب؛ لابن منظور (٤٣٠/١١)، القاموس المحيط؛ للفيروزآبادي (ص١٠٣٠)،

{وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: ٩]، وقال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠]، وقال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: ٥٨]، يقول ابن القيم: (إنّ الله سبحانه أرسل رسله وأنزل كتبه؛ ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات، فإذا ظهرت أمارات العدل، وأسفر وجهه بأي طريق كان؛ فثم شرع الله ودينه، والله سبحانه أعلم وأحكم وأعدل أن يخصَّ طرق العدل وأماراته وأعلامه بشيء، ثم ينفي ما هو أظهر منها وأقوى دلالة وأبين أمارة فلا يجعله منها، ولا يحكم عند وجودها وقيامها بموجبها، بل قد بيَّن سبحانه بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة العدل بين عباده، وقيام الناس بالقسط، فأي طريق استخرج بها العدل والقسط فهي من الدين وليست مخالفة له) [٢١١]، وأرسل الله سبحانه وتعالى رسله وأنزل معهم ميزان العدل؛ ليقوم الناس بالقسط، وما ذلك إلا لأهميته، قال سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد: ٢٥]،

المصباح المنير؛ للفيومي (٣٩٦/٢)]}، ومعنى العدل اصطلاحًا: {العدل هو: (أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه) [الأخلاق والسير؛ لابن حزم (ص ٨١)، وقيل هو: (عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينًا) [التعريفات؛ للجرجاني (ص ١٤٧)]، وقيل هو: (استعمال الأمور في مواضعها، وأوقاتها، ووجوهها، ومقاديرها، من غير سرف، ولا تقصير، ولا تقديم، ولا تأخير) [تهذيب الأخلاق؛ المنسوب للجاحظ (ص ٢٨)]}.

الفرق بين العدل والقسط: {(القسط: هو العدل البيّن الظاهر، ومنه سمي المكيال قسطًا، والميزان قسطًا؛ لأنه يصور لك العدل في الوزن حتى تراه ظاهرًا، وقد يكون من العدل ما يخفى، ولهذا قلنا: إن القسط هو النصيب الذي بينت وجوهه، وتقسط القوم الشيء تقاسموا بالقسط) [الفروق اللغوية؛ لأبي هلال العسكري (ص ٤٢٨)]}.

٢١١ الطرق الحكمية ص ١٩.

وللعدل فضائل وثمرات وفوائد، منها:

١. بالعدل يستتب الأمن في البلاد، وتحصل الطمأنينة في النفوس، ويشعر الناس بالاستقرار، وبذلك يُقضى على المشكلات الاجتماعية والاضطرابات التي تحدث في الدول، بسبب الظلم.

٢. بالعدل يعم الخير في البلاد؛ فالعدل سبب في حصول الخير والبركة إذا كان منتشرًا بين الولاة، وبين أفراد المجتمع، يقول ابن الأزرق: "إنَّ نية الظلم كافية في نقص بركات العمارة فعن وهب بن منبه قال: إذا هم الولي بالعدل أدخل الله البركات في أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق وإذا هم بالجور أدخل الله النقص في مملكته حتى في الأسواق والأرزاق" [٢١٢]، فقيام العـدل في الأرض كالمطر الوابل، بل هو خير من خصب الزمان كما قيل، فمن كلامهم: "سلطان عادل خير من مطر وابل، وقالوا عدل السلطان خير من خصب الزمان، وفي بعض الحكم: ما أمحلت أرض سال عدل السلطان فيها ولا محيت بقعة فاء ظله عليها" [٢١٣].

٣. ظهور رجحان العقل به؛ قيل لبعضهم: مَن أرجح الملوك عقلًا، وأكملهم أدبًا وفضلًا؟ قال: من صحب أيامه بالعدل، وتحرَّز جهده من الجور، ولقي الناس بالمجاملة، وعاملهم بالمسألة، ولم يفارق السياسة، مع لين في الحكم، وصلابة في الحقِّ، فلا يأمن الجريء بطشه، ولا يخاف البريء سطوته [٢١٤].

٤. العدل أساس الدول والملك وبه دوامهما؛ فبالعدل يدوم الملك، ويستقر الحاكم في حكمه، و(في بعض الحِكم: أحقُّ الناس بدوام الملك وباتصال الولاية،

٢١٢ بدائع السلك؛ لابن الأزرق (٢٢٧/١).

٢١٣ بدائع السلك؛ لابن الأزرق (٢٣٢/١).

٢١٤ بدائع السلك؛ لابن الأزرق (٢٣١/١).

أقسطهم بالعدل في الرعية، وأخفهم عنها كلًّا ومؤونة، ومن أمثالهم: من جعل العدل عُدَّة طالت به المدة) [٢١٥].

٥. من قام بالعدل نال محبة الله سبحانه؛ قال تعالى: {وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: ٩].

٦. بالعدل يحصل الوئام بين الحاكم والمحكوم.

٧. بالعدل يسود في المجتمع التعاون والتماسك.

٨. من قام بالعدل فإنّه ينال منزلة التقوى؛ قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: ٨]؛ أي: كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به، كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل كملت التقوى [٢١٦].

٩. المُقْسِطونَ عِنْد اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزّ وَجَلّ؛ فعَنْ عَبْد اللهِ بْنِ عَمْرو رَضيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "إنّ المُقْسِطِينَ عِنْد اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزّ وَجَلّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ

٢١٥ بدائع السلك؛ لابن الأزرق (٢٣١/١).

٢١٦ أي {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ} بما أُمِرُوا بالإيمان به، قوموا بلازم إيمانكم، بأن تكونوا {قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ} بأن تنشط للقيام بالقسط حركاتكم الظاهرة والباطنة. وأن يكون ذلك القيام لله وحده، لا لغرض من الأغراض الدنيوية، وأن تكونوا قاصدين للقسط، الذي هو العدل، لا الإفراط ولا التفريط، في أقوالكم ولا أفعالكم، وقوموا بذلك على القريب والبعيد، والصديق والعدو. {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ} أي: لا يحملنكم بغض {قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُواْ} كما يفعله من لا عدل عنده ولا قسط، بل كما تشهدون لوليكم، فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم فاشهدوا له، ولو كان كافرا أو مبتدعا، فإنّه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق، لأنه حق لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله، فإنّ هذا ظلم للحق. {اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} أي: كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به، كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل كملت التقوى. {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} فمجازيكم بأعمالكم، خيرها وشرها، صغيرها وكبيرها، جزاء عاجلا، وآجلا. [تفسير السعدي].

يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا" [٢١٧].

١٦. المَوْطِنُ السَّادِسَ عَشَرَ: "حسن الخلق" [٢١٨]: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

٢١٧ حديث صحيح؛ رواه مسلم: صحيح مسلم ١٨٢٧.

يُبيّن النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ العادِلِينَ في حُكمِهم وخِلافَتِهم في أَهلِيهم وفِيمَن ولّاهم اللهُ عليه؛ عند الله، مُقرَّبون إليه ومُكرَّمون لَدَيْهِ؛ مُرتَفِعون على مَنابِرَ (وهي الأماكِن العالِيَةُ الغالِيَةُ) مِن نُورٍ، أي: خُلِقَتْ مِن نُورٍ؛ عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وكِلْتا يَدَيْهِ سُبحانَه يَمِينٌ. وقد رَوى مُسلِم في صحيحِه من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضِيَ اللهُ عنه مرفوعًا: " يَطوِي اللهُ عَزَّ وجَلَّ السَّمواتِ يومَ القيامةِ، ثُمَّ يَأخُذُهُنَّ بيدِه اليُمنى، ثُمَّ يقولُ: أنا المَلِكُ! أين الجبّارون؟ أين المتكبّرون؟ ثُمَّ يَطوِي الأَرَضِينَ بِشِمالِه، ثُمَّ يقول... "، فاللهُ سُبحانَه تُوصَفُ يَداه باليَمِين والشِّمالِ مِن حيثُ الاسْمِ، كما في حديثِ ابنِ عُمَرَ، وكِلْتاهُما يَمِينٌ مُبارَكَةٌ مِن حيثُ الشَّرَفِ والفضلِ، كما في هذا الحديثِ. {في الحديثِ: فضلُ العَدْلِ في الأهلِ، وكذلك في الأولاد، وكذلك أيضًا في كلِّ مَن ولّاك اللهُ عليه. وفيه: ثُبوتُ صِفَةِ اليَدَيْنِ للهِ عزَّ وجلَّ}.

٢١٨ معنى الأخلاق لغة: جمع خلق، والخُلُق -بضمّ اللام وسكونها- هو الدِّين والطبع والسجية والمروءة، وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها [القاموس المحيط؛ للفيروزآبادي ص ٨٨١، لسان العرب؛ لابن منظور ٨٦/١٠]، وقال الرَّاغب: (والخَلْقُ والخُلُقُ في الأصل واحد... لكن خص الخَلْق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلُق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة) [مفردات ألفاظ القرآن الكريم؛ للراغب الأصفهاني ص ٢٩٧].

معنى الأخلاق اصطلاحًا: عرَّف الجـــرجـــاني الخلق بأنَّه: (عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويَّة، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقًا سيئًا) [التعريفات؛ للجرجاني ص ١٠١]، وعرفه ابن مسكويه بقوله: (الخلق: حال للنفس، داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رويَّة، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيًّا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، أو كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكًا مفرطًا من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتمُّ ويحزن من أيسر شيء يناله. ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالرويَّة والفكر، ثم يستمر أولًا فأولًا، حتى يصير ملكة وخلقًا) [التعريفات؛ للجرجاني ص ١٠١]، وقد عرف بعض الباحثين الأخلاق في نظر الإسلام بأنّها عبارة عن (مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه) [التربية

الأخلاقية الإسلامية؛ لمقداد يالجين (ص ٧٥) كما في ((نضرة النعيم)) لمجموعة باحثين (ص ٢٢)].

فالخُلق كما يقول أهل العلم: هو صورة الإنسان الباطنة؛ ومنها صورة حسنة ومنها صورة سيئة، ومنها ما بين ذلك، وهذا ما يعبر عنه بالخُلق، وكما يكون الخُلق طبيعة فإنه يكون كسبا، بمعنى أنّ الإنسان كما يكون مطبوعا على الخُلق الحسن الجميل قد يحصل على الخُلق عن طريق الكسب والمرونة، فالأخلاق الفاضلة تكون طبعا وتكون تطبعا، ولكن الطبع بلا شك أحسن من التطبع، لأنّ الخُلق إذا كان طبيعيا صار سجية للإنسان وطبيعة له لا يحتاج في ممارسته الى التكلف، ولا يحتاج في ممارسته الى التصنع، ولكن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن حرم هذا "أي من حرم الخلق"، على سبيل الطبع فإنّه يمكنه أن يناله على سبيل التطبع وذلك بالمرونة والممارسة، وحُسْن الخُلق يكون: في معاملة الخالق {بتلقي اخبار الله تعالى عزّ وجلّ بالتصديق، وتلقي احكامه بالتنفيذ والتطبيق، وتلقي اقداره بالصبر والرضى}، وفي معاملة الخَلق {بكف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه}. وقد روي عن السلف تفسير حسن الخلق، فعن الحسن قال: "حسن الخلق الكرم والبذلة والاحتمال"، وعن الشعبي قال: "حسن الخلق البذلة والعطية والبشر الحسن"، وعن عبد الله بن المبارك قال: "هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى"، وقال الإمام أحمد: "حسن الخلق أن لا تغضب ولا تحقد"، وعنه أنّه قال: "حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس"، وقال إسحاق بن راهويه: "هو بسط الوجه وأن لا تغضب"، ونحو ذلك قال محمد بن نصر، وقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: "حسن الخلق كظم الغيظ لله وإظهار الطلاقة والبشر إلا للمبتدع والفاجر، والعفو عن الزالين إلا تأديبا، وإقامة الحد، وكف الأذى عن كل مسلم ومعاهد إلا تغيير منكر وأخذا بمظلمة لمظلوم من غير تعد" [جامع العلوم والحكم؛ ابن رجب الحنبلي - ٣: ٥٤٣ - ٥٤٤؛ بتصرف]، وقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: "حَقِيقَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ بَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ"، وقال القاضي عياض: "هو مخالطة الناس بالجميل والبشر، والتودد لهم، والإشفاق عليهم، واحتمالهم، والحلم عنهم، والصبر عليهم في المكاره، وترك الكبر والاستطالة عليهم، ومجانبة الغلظ والغضب، والمؤاخذة"، وسئل بعض العلماء عن علامات حسن الخلق فقال: "هو أن يكون كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان، قليل الكلام كثير العمل، قليل الزلل قليل الفضول، براً وصولاً وقوراً صبوراً شكوراً رضياً حكيماً رفيقاً عفيفاً شفيقاً، لا لعاناً ولا سباباً ولا نماماً ولا مغتاباً ولا عجولاً ولا حقوداً ولا بخيلاً ولا حسوداً، بشاشاً هشاشاً يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق"، وحُسن الخُلق يقوم على أربعة أركان، قال ابن القيم: "أولا: الصبر، ثانياً: العفة، ثالثاً: الشجاعة، ورابعاً: العدل، وأما الأخلاق السافلة فمجتمعة في أربعة أركان: الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب".

ويقول السفاريني: "حسن الخلق القيام بحقوق المسلمين، وهي كثيرة منها: أن يحب لهم ما يحب لنفسه، وأن يتواضع لهم ولا يفخر عليهم ولا يختال، فإنّ الله لا يحب كل مختال فخور، ولا يتكبر ولا يعجب فإنّ ذلك من

"إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الخُلُقِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ وصَائِمِ النَّهَارِ" [٢١٩]، وصاحب الخلق الحسن من أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقربهم إليه مجلسا يوم القيامة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنَكُم أخلاقًا" [٢٢٠]، ومن فضائل وثمرات وفوائد الأخلاق الحسنة:

١. الأخلاق الحسنة من أسباب دخول الجنة؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنَّةِ لمن تَرَكَ المِراءَ وإن كان مُحِقًّا، وببيتٍ في

عظائم الأمور، وأن يوقر الشيخ الكبير، ويرحم الطفل الصغير، ويعرف لكل ذي حق حقه مع طلاقة الوجه وحسن التلقي ودوام البشر ولين الجانب وحسن المصاحبة وسهولة الكلمة، مع إصلاح ذات بين إخوانه وتفقد أقرانه وإخوانه، وأن لا يسمع كلام الناس بعضهم في بعض وأن يبذل معروفه لهم لوجه الله لا لأجل غرض مع ستر عوراتهم وإقالة عثراتهم وإجابة دعواتهم، وأن يحلم عن من جهل عليه ويعفوا عن من ظلم" [غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب؛ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني؛ ج١ / ٣٧٠].

وحسن الخلق يكون بمخالطة الناس، وبمعاملتهم بما تحب أن يعاملوك به مما هو مباح شرعا وفي حدود شريعة الله، وبأن تحمل نفسك وتكلفها على معاشرتهم بجميل المعاشرة، من طلاقة الوجه وسلامة الصدر والسماحة والحلم والصبر والصدق والرحمة والعفة والزهد والكيس والنشاط والمروءة والإخلاص والأناة والحياء والجود والكرم والشجاعة والعزيمة والثبات والعدل والإنصاف والبرّ والوفاء بالعهد والإيثار والشكر والأمانة والقناعة والاستقامة وكظم الغيظ والعفو والصفح والرفق والشفقة وخفض ولين الجانب والتواضع، وعدم ظن السوء بهم، والستر عليهم، وتنفيس كربهم، والتيسير عليهم، وإزالة الأذى عن طريقهم، والتواضع لهم، ومحبتهم، ودلالتهم على الخير، والدعاء لهم بظهر الغيب، وعيادة مريضهم، وكفالة يتيمهم، والتودد إلى كبيرهم وصغيرهم، والتلطف في سياستهم، وكف الأذى عنهم، وتحمّل أذاهم، ومقابلة الإساءة بالإحسان، وحِفظ حُقُوق الجَار والكفّ عن أذاه، وإصلاح ذات البين، وأن يملك نفسه عند الغضب، ونحو ذلك، ومن حسن الخُلق صلة الرحم، ومجاملة الزوجة والأهل ومعاشرتهم والتوسعة عليهم، والإحسان إلى البنات، وإلى أهل داره، وإلى الأقارب والأصحاب والأصدقاء بقدر ما يمكنه في حدود شريعة الله حتى يكون أحب الناس إليهم، ومن حسن الخُلق اِرْضَاء الزَّوجَةِ لِزَوجِهَا، ومن حسن الخُلق الرحمة بالحيوان. [انظر: سَنَابِلُ الْحَسَنَاتِ؛ الأَعْمَالُ ذَوَاتُ الأُجُورِ المُضَاعَفَاتِ: جاسم محمد عبد؛ ص ٥٧-٦٦، ٧٥، ٧٨، ٧٩].

٢١٩ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ٢٦٤٣.

٢٢٠ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ٢٠١٨.

وسطِ الجنةِ لمَن تركَ الكذبَ وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنّةِ لمن حَسُنَ خُلُقُه" [٢٢١]، وسُئِلَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ عَن أَكثَر ما يُدخِل الناس النار؟ قال: "الفمُ والفَرْجُ". وسُئلَ عن أكثرِ ما يُدْخِلُ النّاسَ الجنَّةَ؟ قال: "تَقوى اللهِ، وحُسْنُ الخُلُقِ" [٢٢٢].

٢٢١ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ٢٦٤٨ وصحيح أبي داود ٤٨٠٠.

حُسنُ الخلقِ يَرقى بِصاحِبه إلى أعلى المراتبِ في الدُّنيا والآخِرةِ، وفي هذا المعنى يقولُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «أنا زَعِيمٌ»، أي: ضامِنٌ وكفيلٌ، «بِبَيتٍ»، أي: قَصرٍ، «في رَبَضِ الجَنَّةِ»، أي: نواحِيها وأطرافِها، «لِمَنْ تَرَكَ المِراءَ»، أي: الجِدالَ، «وإن كانَ مُحِقًّا»، أي: فِيما يقولُ؛ وهذا لِما فيهِ من الحِفاظِ على النفوسِ وما يَتسبَّبُ فيهِ المراءُ من خِلافٍ وشَقٍّ للصفوفِ. «وبِبَيتٍ في وسطِ الجَنَّةِ لِمَن تركَ الكذِبَ»، والكذبُ هو الإخْبارُ بِخلافِ الواقعِ، «وإنْ كانَ مازِحًا»، أي: هازِلًا لا يقصدُ الجِدَّ. «وبِبَيتٍ في أعلى الجَنَّةِ»، وهي أعلى الدَّرَجاتِ، «لِمَن حسَّنَ خُلقَه»، أي: للذي يُحسن خُلقَه مع اللهِ عزَّ وجلَّ بالرِّضا بقضاءِ اللهِ وقَدرِه، والصَّبرِ والحمدِ عندَ البَلاءِ، والشُّكرِ له عندَ النِّعمةِ والعطاءِ، ويكونُ حَسَنَ الخُلقِ مع الناسِ بكفِّ الأذى عنهم، وبَذْلِ العطاءِ لهم، وطلاقةِ الوَجهِ مع الصَّبرِ على آذاهم.

٢٢٢ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ١٧٢٣؛ أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وأحمد (٧٨٩٤) باختلاف يسير. وفي رواية: {سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ: ما أكثرُ ما يُدخلُ الناسَ الجنةَ؟ قال: "تقوى اللهِ، وحُسْنُ الخُلُقِ". قيل: ما أكثرُ ما يُدْخِلُ الناسَ النارَ؟ قال: "الأَجْوَفانِ: الفمُ والفرجُ". [حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الموارد ١٦١٥؛ أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وأحمد (٩٠٨٥) باختلاف يسير]}، وفي رواية: {سُئِلَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ عن أَكْثرِ ما يُدخلُ النَّاسَ الجنَّةَ؟ فقالَ: "تَقوى اللَّهِ وحُسنُ الخلُقِ"، وسُئِلَ عن أَكْثرِ ما يُدخِلُ النَّاسَ النَّارَ، قالَ: "الفَمُ والفَرجُ". [حديثٌ إسناده حسنٌ: حَسَّنَ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ إسناده فِي صحيح الترمذي ٢٠٠٤؛ أخرجه الترمذي (٢٠٠٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وأحمد (٩٠٨٥)]}.

اهتمَّ النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم اهتِمامًا شديدًا بتَعليمِ أمَّتِه الأمورَ الَّتي تُقرِّبُ النَّاسَ مِن رَبِّهم عزَّ وجلَّ، وتُحسِّنُ عَلاقاتِهم بَعضِهم ببعضٍ، ووعَظَنا بذلك، وكان صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم يَجمَعُ المواعِظَ البليغةَ في الكَلماتِ القليلةِ. وفي هذا الحَديثِ يقولُ أبو هُريرةَ رَضِي اللهُ عَنه: "سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم عن أكثرِ ما يُدخِلُ النَّاسَ الجنَّةَ؟"، أي: أكثرِ شيءٍ مِن الأقوالِ أو الأفعالِ أو الأحوالِ الَّتي تُقرِّبُ العبد إلى ربِّه عزَّ وجلَّ، وتَجعَلُه يَفوزُ بدُخولِ الجنَّةِ، "فقال"، أي: النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم: "تَقْوى اللهِ"، أي: أكثَرُ شيءٍ يُقرِّبُ العبدَ

٢. الأخلاق الحسنة سبب في محبة الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لعبده؛ وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ محبته لمن يتخلق بالأخلاق الحسنة، والتي منها الصبر والإحسان والعدل وغير ذلك، فقد قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥]، وقال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: ١٤٦]، وقال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطين} [المائدة: ٤٢]، وقال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَحَبُّ

مِن ربِّه عزَّ وجلَّ، ويَجعَلُه يَفوزُ برِضا اللهِ عزَّ وجلَّ، ويُدخِلُه الجنَّةَ أن يتَّقِيَ اللهَ عزَّ وجلَّ في أقوالِه وأفعالِه وأحوالِه، والتَّقوى هي الخوفُ مِن اللهِ مع مُراقَبتِه جلَّ جلالُه، "وحُسنُ الخُلُقِ"، أي: وأكثرُ شيءٍ أيضًا يُقرِّبُ العبدَ مِن ربِّه عزَّ وجلَّ ويَجعلُه يَفوزُ برِضا اللهِ عزَّ وجلَّ، ويُدخِلُه الجنَّةَ بعدَ التَّقوى- أن يَكونَ حَسَنَ الخُلقِ، وأن يُعامِلَ النَّاسَ بخُلقٍ حسَنٍ؛ بحيثُ لا يُؤذِي أحَدًا بقولٍ أو فعلٍ، ولا يَنطِقُ إلَّا بما يُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ، فيكونُ المعنى أنَّ أكثَرَ أسبابِ السَّعادةِ الأبَديَّةِ الجَمْعُ بينَ تَقْوى اللهِ وحُسنِ الخلقِ. "وسُئل"، أي: النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم، "عن أكثَرِ ما يُدخِلُ النَّاسَ النَّارَ"، أي: أكثَرِ شيءٍ يَكونُ سببًا في دخولِ النَّارِ سواءٌ مِن الأقوالِ أو الأفعالِ أو الأحوالِ؟ "قال"، أي: النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم: "الفَمُ"؛ وذلك لأنَّه رُبَّما كان سَبيلًا لأكلِ الحرامِ، والنُّطقِ بالحرامِ، فيَكونُ فيه هلاكُ الإنسانِ، مع أنَّ الفمَ يُمكِنُ أن يَكونَ سَبيلًا إلى الجنَّةِ؛ لأنَّه مُشْتَمِلٌ عَلَى اللِّسَانِ، وَبه يتمُّ حِفْظُ أَمْرِ الدِّينِ كُلِّه، وإذا أَكَل الحلالَ فهذا رأسُ التَّقْوى، "والفَرْجُ"؛ وذلك لأنَّه ربَّما كان سبيلًا لارتِكابِ الفَواحِشِ، والوُقوعِ في المُحرَّماتِ، فكان مِن أكثَرِ الأشياءِ سببًا في هَلاكِ العبدِ، ودُخولِه النَّارَ، مع أنَّ صَوْنَه مِنْ أَعْظَمِ مَراتِبِ الدِّينِ كما قال تَعالى عن المفلِحين مِن المؤمِنين: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} [المؤمنون: ٥]، فيَصيرُ معنى هذا أنَّ أكثرَ أسبابِ الشَّقاوةِ السَّرمَديَّةِ الجَمْعُ بينَ عدَمِ حفظِ الفمِ وما فيه، وعدَمِ حِفظِ الفَرجِ عن الفواحشِ. وفي "تَقْوى اللهِ" إشارَةٌ إلى حُسْنِ المُعامَلَةِ معَ الخالِقِ بأَنْ يَأْتِيَ جَميعَ ما أَمَرهُ به، ويَنتهِيَ عَمَّا نَهى عنه، وفي "حُسْن الخُلُقِ" إشارَةٌ إلى حُسْنِ المُعامَلَةِ معَ الخَلْقِ، وهاتَانِ الخَصْلَتانِ مُوجِبَتانِ لِدُخولِ الجَنَّةِ، ونَقيضُهُما النَّارُ، فأَوقَعَ الفَمَ والفَرْجَ مُقابِلًا لَهُما. {وفي الحديثِ: اهتمامُ الصَّحابةِ رضِيَ اللهُ عنهم بالسُّؤالِ عمَّا يُنجِّيهم في الدُّنيا والآخِرةِ. وفيه: الحثُّ على اتِّقاءِ اللهِ وتَحسينِ الخُلُقِ؛ لأنَّهما من أسبابِ دُخولِ الجنَّةِ. وفيه: التَّحذيرُ مِن خُطورةِ الفمِ والفرجِ؛ حيث إنَّهما من أسبابِ دُخولِ النَّارِ}.

عبادِ اللهِ إلى اللهِ أحسَنُهُمْ خُلُقًا" [٢٢٣].

٣. الأخلاق الحسنة من أسباب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لصاحبها؛ قال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنَكُم أخلاقًا، وإنَّ مِن أبغضِكُم إليَّ وأبعدِكُم منِّي يومَ القيامةِ الثَّرثارونَ والمتشدِّقونَ والمتفيهِقونَ، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، قد علِمنا الثَّرثارينَ والمتشدِّقينَ فما المتفيهقونَ؟ قالَ: المتكبِّرونَ" [٢٢٤].

٢٢٣ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٧٩؛ أخرجه الطبراني (١٨٢/١) (٤٧٣)، والحاكم (٨٢١٤). وفي رواية: {كنا جلوسًا عند النَّبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ كأنما على رؤوسنا الطيرُ ما يتكلم منا مُتكلِّمٌ إذ جاءه أناسٌ فقالوا من أَحَبُّ عبادِ اللهِ إلى اللهِ تعالى قال: "أَحسنُهم خُلُقًا" [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ٢٦٥٢؛ أخرجه ابن ماجه (٣٤٣٦)، وأحمد (١٨٤٥٤) باختلاف يسير مطولاً]}.

حُسنُ الخُلُقِ يَرْقى بِصاحِبِه إلى أعلى المراتِبِ في الدُّنيا والآخِرةِ، وفي هذا الحَديثِ يَقولُ أُسامةُ بنُ شَريكٍ رَضيَ اللهُ عنه: «كُنّا جُلوسًا عِندَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، كَأنَّما على رُؤوسِنا الطَّيرُ»، بمَعنى جَلَسْنا ساكِنينَ مُتأدِّبينَ مُتَواضِعينَ، بحيثُ يَكادُ يَقعُدُ الطَّيرُ على رُؤوسِنا مِنَ السَّكَنِ والطُّمأنينةِ التي كُنّا عليها، «ما يَتكَلَّمُ مِنّا مُتكلِّمٌ، إذْ جاءَه أُناسٌ، فقالوا: مَن أحَبُّ عِبادِ اللهِ إلى اللهِ تَعالى؟»، وهذا سُؤالٌ عن أكثَرِ النّاسِ حُبًّا، أو أحَبِّ المَحبوبينَ الذين يُحِبُّهمُ اللهُ سُبحانَه أكثَرَ مِن غَيرِهم، «قالَ: أحسَنُهم خُلُقًا»، وهذه صِفةٌ لِلشَّخصِ الذي يُحِبُّه اللهُ، وهو الذي حَسُنَ خُلُقُه، سَواءٌ فيما بَينَه وبَينَ اللهِ، بأنْ يُلَبِّيَ كُلَّ أوامِرِه ونَواهيهِ، أو فيما بَينَه وبَينَ النّاسِ مع اختِلافِ طَبائِعِهم وما يَتحَمَّلُه مِنهم ممّا ثَقُلَ عليه مِن أخلاقِ غَيرِه، وخُصوصًا تِلك الصِّفاتِ التي رُبَّما يَتميَّزُ بها الإنسانُ عن غَيرِه؛ كالصَّبرِ عِندَ المَكارِه، وبَذلِ الخَيرِ فيهم؛ حتى يَكونَ مُفيدًا في المُحيطِ الذي يَعيشُ فيه، فحُسنُ الخُلُقِ ليس بأنْ يَكُفَّ أذاه عنِ النّاسِ فَقَطْ، بل يَسْعى لِدَفعِ الأذى الذي يَقَعُ عليهم مِن غَيرِه، وكَمالُ الإيمانِ يُوجِبُ حُسنَ الأخلاقِ مع كُلِّ الخَلقِ. وهذا ليس على الإطلاقِ، ولكِنَّه نَوعٌ مِنَ التَّفضيلاتِ التي ذَكَرَها النبيُّ صلى الله عليه وسلم في أحاديثَ مُتعَدِّدةٍ يَتناسَبُ كُلٌّ مِنها مع الحالِ والمقامِ. وفي هذا الحَديثِ: الحَضُّ على التَّحَلّي بمَكارِمِ الأخلاقِ.

٢٢٤ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ٢٠١٨.

كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أحسَنَ النّاسِ خُلقًا، وقد أمَر بحُسنِ الخُلقِ، وبَيَّن أنَّ صاحِبَ الخُلقِ الحَسنِ له فَضلٌ كبيرٌ، وأجرٌ عظيمٌ، وفي هذا الحديثِ يقولُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لأصحابِه ولأُمَّتِه: «إنَّ مِن

٤. مكارم الأخلاق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة؛ قال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "ما من شيءٍ في المِيزانِ أثْقَلُ من حُسنِ الخُلُقِ" [٢٢٥].

أحَبِّكم»، أي: مِن أكثَرِ النّاسِ حُبًّا أو أحَبِّ المَحبوبين، «إليَّ» في الدُّنيا، «وأقرَبِكم منِّي مَجلِسًا»، أي: منزِلةً، يومَ القِيامةِ أحاسِنَكم" جمعُ أحسَنَ، أي: أفضَلَكم وأجمَلَكم «أخلاقًا»، أي: أصحابَ الخُلقِ الحسَنِ الجامِعِين للأخلاقِ الجَميلةِ الحسَنةِ بأنواعِها، «وإنَّ من أبغَضَكم إليَّ»، أي: أكثَرَ مَن أكرَهُهم مِن النّاسِ في الدُّنيا، «وأبعَدَكم منِّي» مَجلِسًا ومَنزِلةً، «يومَ القيامةِ الثَّرثارون»، الَّذين يُكثِرون الكَلامَ ويتَكلَّفون فيه بغيرِ حقٍّ بالسَّجعِ والحَشْوِ وغيرِه، ويُرَدِّدونه كثيرًا، «والمتشدِّقون» الَّذين يتَوسَّعون في الكلامِ، ويَلْوون ألسِنتَهم به، ويَفتخِرون به بغيرِ حقٍّ، وقيل: معناه: الَّذين يَستهزِئون بالناسِ بلَيِّ أشْداقِهم، والشِّدقُ هو جانِبُ الفمِ، «والمتفيهِقون»، مِن الفَهْقِ وهو الامتِلاءُ والاتِّساعُ، أي: الَّذين يتَوسَّعون في الكلامِ ويَفتَحون به أفواهَهم وهذا لكِبْرِهم ورُعونتِهم، «قالوا»، أي: الحاضِرون مِن أصحابِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «يا رسولَ اللهِ، قد عَلِمْنا» وفَهِمنا مَعنى الثَّرثارينَ وأنَّهم هم الَّذين يُكثِرون الكلامَ ويتَكلَّفون فيه، ومعنى المتشدِّقين وأنَّهم هم الَّذين يتكلَّمون بمِلْءِ أشداقِهم تَفاصُحًا واستعظامًا لكلامِه، «فما» معنى «المتفيهِقون؟ قال» رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «المتكبِّرون» الَّذين يتَكبَّرون على النّاسِ بكَلامِهم وبالاستِعلاءِ عليهم بفَصاحتِهم في أقوالِهم وبيانِ عَظمتِهم في أفعالِهم. {وفي الحديثِ: بيانُ فضلِ الخُلقِ الحسَنِ. وفيه: التَّحذيرُ من التَّكلُّفِ في الكلامِ أو تَرديدِه والتَّفاخرِ به؛ لِيَميلَ بقلوبِ النّاسِ وأسماعِهم إليه. وفيه: أنَّ الشَّخصَ الواحِدَ قد يَجتمِعُ فيه المحبَّةُ والبُغضُ؛ فيَكونُ مَحبوبًا من وجهٍ، مبغوضًا من وجهٍ آخَرَ}.

٢٢٥ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٥٧٢١؛ أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، وأحمد (٢٧٥١٧) باختلاف يسير، والترمذي (٢٠٠٢) مطولاً، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٠) واللفظ له. {وفي رواية: "ما مِن شيءٍ يوضَعُ في الميزانِ أثقلُ من حُسنِ الخلقِ، وإنَّ صاحبَ حُسنِ الخلقِ ليبلُغُ بِهِ درجةَ صاحبِ الصَّومِ والصَّلاةِ". [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ٢٠٠٣؛ أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، وأحمد (٢٧٥١٧) مختصراً، والترمذي (٢٠٠٣) واللفظ له]}.

لحُسنِ الخُلقِ أجرٌ كبيرٌ، وهو يرفَعُ صاحِبَه إلى أعلى الدَّرَجاتِ والمنازِلِ في الدُّنيا والآخِرةِ، وقد بعَثَ اللهُ تعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم هاديًا ومُبشِّرًا ونَذيرًا، ولِيُتمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ. وفي هذا الحديثِ يَقولُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «ما مِن شيءٍ»، أي: لا يُوجَدُ شَيءٌ مِن أفعالِ البِرِّ والإحسانِ، «يُوضَعُ» بصِيغةِ المفعولِ، أي: يضَعُه اللهُ تَعالى أو يَأمُرُ الملائكةَ بوَضعِه، «في الميزانِ» وهو ميزانُ الأعمالِ يومَ القيامةِ، وهو ميزانٌ حقيقيٌّ له كِفَّتانِ حِسيَّتانِ، «أثقَلُ» في كِفَّةِ الحسَناتِ، «مِن حُسْنِ الخُلقِ»، أي: مِن ثَوابِ الأخلاقِ الحسَنةِ؛ لأنَّها سببُ كلِّ خيرٍ، وتؤدِّي إلى المعامَلاتِ والأفعالِ الحَسَنةِ معَ الغيرِ مِن الأقاربِ والأجانبِ، والأخلاقُ هي

٥. الأخلاق الحسنة تضاعف الأجر والثواب؛ قال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الرجلَ لَيُدرِكُ بحُسنِ خُلُقِه، درجاتِ قائمِ الليلِ صائمِ النَّهارِ" [٢٢٦]، وقال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إنَّ المسلِمَ المسَدَّدَ لَيُدْرِكُ درجَةَ الصوّامِ القَوّامِ بآياتِ اللهِ، بِحُسْنِ خُلُقِهِ وكَرَمِ ضَرِيبَتِهِ [٢٢٧] " [٢٢٨].

أوصافُ الإنسانِ الَّتي يُعامِلُ بها غيرَه، «وإنَّ صاحِبَ حُسنِ الخلقِ لَيَبلُغُ به»، أي: يَصِلُ بحُسنِ خُلقِه «درَجةَ»، أي: مَنزِلةَ «صاحِبِ الصَّومِ والصَّلاةِ»، أي: المُكثِرِ مِن صيامِ النَّفْلِ وصلاةِ التَّطوُّعِ؛ وذلك لأنَّ صاحِبَ الخلقِ الحسَنِ لا يَحمِلُ غيرُه أثقالَه، ويتَحمَّلُ هو أثقالَ غيرِه وخُلقَهم. هذا وقد اختُلِفَ في كيفيَّةِ وَزنِ الأعمالِ ووَضعِها في الميزانِ؛ وأقربُ الأقوال: أنَّ الأعمالَ تُجسَّدُ ثمَّ تُوزَنُ، وقيل: إنَّ الأعمالَ بنَفسِها وقِيمتِها هي الَّتي تُوزَنُ، وقيل: إنَّما تُوزَنُ الصُّحفُ المدوَّنةُ فيها الأعمالُ، وقيل: إنَّ الذي يُوزَنُ هو العاملُ نفْسُه بمقدارِ إيمانِه وعَمَلِه، لا بضَخامةِ جِسمِه، وقيل: إنَّ كُلًّا مِن العامِلِ وعَمَلِه وصَحيفةِ عَمَلِه يُوزَنُ؛ جمعًا بين الأحاديثِ في ذلك، كما في حَديثِ البِطاقةِ، وكيفيَّةُ وزْنِ الأعمالِ تكونُ كيفَ شاءَ اللهُ سبحانَه وتعالى.

وفي الحديثِ: الحثُّ على حُسنِ الخُلقِ. وفيه: إثباتُ الميزانِ يومَ القيامةِ.

٢٢٦ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٦٢٠. {وفي رواية: "إن المؤمنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درجةَ الصائمِ القائمِ". [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح أبي داود ٤٧٩٨]}.

في هذا الحديثِ يقولُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: إنّ المؤمِنَ لَيُدركُ بحُسنِ خُلقِه دَرجةَ الصّائمِ القائمِ؛ وذلك لأنَّ الذي يُحسِّن خُلَقه مع الناسِ مع اختِلافِ طَبائعِهم يُجاهِدُ نفوسًا كثيرةً، وذلك بكَفِّ الأذى عنهم، وبَذْلِ العَطاءِ لهم، وطلاقةِ الوَجهِ مع الصَّبرِ على آذاهم، والصائمُ القائمُ يُجاهِدُ نفسَه؛ لذلكَ يُدركُ المؤمنُ بحُسِن خلُقِه دَرجةَ- أي: منزلةَ وثوابَ- الصائمِ، أي: المتطوّع بالصَّومِ بالنهارِ، القائمِ، أي: المتهجّد بالليل؛ فالصّائمُ القائمُ عِندَه من التَّعبِ والمشقَّةِ لقيامِه الليلَ بصَلاةِ التطوُّعِ، بعدَ صِيامِه للنَّهار؛ فكونُ صاحِبِ حُسنِ الخُلقِ يكون في دَرجةِ هؤلاء إنَّما هو لمُجاهدتِه الناسَ بحُسنِ المعاملةِ فيهم وإنْ قَسَوْا عليه؛ فيكون الصبرُ مِفتاحَه فيهم.

وفي هذا الحديثِ: الحضُّ على العَملِ بمكارمِ الأخلاقِ وأحسنِها.

٢٢٧ ضريبته: طبيعته وسجيته.

٢٢٨ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٩٤٩.

حُسْنُ الخُلُقِ يرْقى بصاحِبِهِ إلى أعْلى المراتِبِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، كما يُبيّن هذا الحديثُ، وفيه يقولُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ المُسْلمَ المُسدَّدَ»، والمرادُ بالمسدّد المُقتصِدُ والمُعْتدِلُ في أُمورِه، أو هو المُوفَّقُ الذي وفَّقه ربُّه لحُسْنِ الخُلُقِ، وطاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وطاعةِ رسولِهِ صلى الله عليه وسلم «لَيُدْرِكُ»، أي: يبْلُغُ، «دَرجةَ

٦. الأخلاق الحسنة من خير أعمال العباد؛ قال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "عليْكَ بحسْنِ الخُلُقِ، وطولِ الصمْتِ، فوالذي نَفْسِي بيدِهِ ما تَجَمَّلَ الخلائِقُ بِمِثْلِهما" [٢٢٩]، وفي رواية: "عليك بحُسنِ الخُلقِ، وطولِ الصَّمتِ، فوالذي نفسي بيدِه ما عمِل الخلائقُ بمثلِهما" [٢٣٠].

٧. الأخلاق الحسنة تزيد في الأعمار وتُعَمِّر الديار؛ فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: قال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أنَّه مَن أُعطِيَ [حَظَّهُ مِنَ] الرِّفْقِ؛ فقد أُعْطِيَ حَظَّه مِن خَيرِ الدُّنيا والآخِرَةِ، وصِلَةُ الرَّحِمِ وحُسْنُ الجِوارِ- أو: حُسْنُ الخُلُقِ- يُعَمِّرانِ الدِّيارَ، ويَزِيدانِ في الأعمارِ" [٢٣١]، وفي رواية: "أنَّه مَن أُعطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفقِ، فقد أُعطِيَ حَظَّهُ مِن خَيْرِ الدُّنيا والآخِرَةِ. وصِلَةُ الرَّحِمِ، وحُسْنُ الخُلُقِ، وحُسْنُ الجِوارِ، يُعَمِّرُ الدِّيارَ، ويَزِيدانِ في الأعمارِ" [٢٣٢].

الصَّوّامِ القَوّامِ بآياتِ اللهِ»، أي: مَن يُداوِمُ على صوْمِ النَّهارِ وقِيامِ اللَّيْلِ بالقُرْآنِ، وذلك «بحُسْنِ خُلُقِهِ وكَرَمِ ضَرِيبَتِهِ»، أي: أنَّ طبيعتَهُ كريمةٌ وسمحةٌ وسهلةٌ؛ والمعنى: أنَّ الذي يُحسِّن خُلُقَهُ مع الناسِ مع اختِلافِ طَبائعِهم يُجاهِدُ نفوسًا كثيرةً؛ وذلك بكَفِّ الأذى عنهم، وبَذْلِ العَطاءِ لهم، وطلاقةِ الوَجهِ مع الصَّبرِ على آذاهم، والصائمُ القائمُ يُجاهِدُ نفسَه؛ لذلكَ يُدركُ المؤمنُ بحُسْنِ خُلُقِه دَرجةَ -أي: منزلةَ وثوابَ- الصائمِ المتطوّعِ بالصَّومِ القائمِ باللَّيْلِ؛ فالصّائمُ القائمُ عِندَه من التَّعبِ والمشقَّةِ لقيامِه الليلَ بصَلاةِ التطوُّعِ، بعدَ صِيامِه للنَّهار؛ فكونُ صاحِب حُسْنِ الخُلقِ في دَرجةِ هؤلاء إنَّما هو لمُجاهدتِه الناسَ بحُسنِ المعاملةِ فيهم، وإنْ قَسَوْا عليه؛ فيكون الصبرُ مِفتاحَه فيهم. {وفي هذا الحديثِ: الحَضُّ على العَملِ بمكارمِ الأخلاقِ وأحسنِها}.

٢٢٩ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٤٠٤٨.

٢٣٠ حديثٌ حسنٌ لشواهده: حَسَّنَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ لشواهده فِي السلسلة الصحيحة ١٩٣٨؛ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٥٥٤)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (٢)، وأبو يعلى (٣٢٩٨).

٢٣١ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ٢٥٢٤.

٢٣٢ حديثٌ إسناده صحيحٌ: صَحَّحَ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ إسناده فِي السلسلة الصحيحة ٥١٩.

الرِّفقُ واللِّينُ في الأمْرِ كلِّه مِن الخيرِ العَظيمِ، وعاقِبتُه جميلةٌ ومَحمودةٌ، وبه يُدرِكُ الإنسانُ ما لا يُدرِكُه بالشِّدَّةِ. وفي هذا الحَديثِ يقولُ الرَّسولُ صلى الله عليه وسلم: «إنَّه مَن أُعطِيَ حظَّه مِن الرِّفقِ»، أي: نَصيبَه مِن اللُّطفِ واللِّينِ والسَّماحَةِ في تَعامُلِه مع النّاسِ، «فقد أُعطِيَ حظَّه مِن خيرِ الدُّنيا والآخرةِ»، أي: الرِّفقُ خيرٌ

٨. الأخلاق الحسنة علامة على كمال الإيمان؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا، وخيارُكم خيارُكم لنسائِهم" [٢٣٣]، وفي حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه، قال: أتَيتُ رسولَ اللَّهِ

كلُّه؛ فإنَّ العبْدَ يَرفُقُ بالنّاسِ في الدُّنيا، فيَرفُقُ اللهُ به في الآخرةِ جزاءً وِفاقًا، «ومَن حُرِمَ حظَّهَ مِن الرِّفقِ»، أي: مُنِعَ نَصيبَه مِن اللُّطفِ واللِّينِ والسَّماحَةِ في تَعامُلِه مع النّاسِ، «فقد حُرِمَ حظَّه مِن الخيرِ»؛ فبِهِ تُدرَكُ الدُّنيا والآخرةُ، وبِفَوتِه يَفوتانِ؛ لأنَّ عَكْسَه العُنفُ، وهو أمرٌ غيرُ محمودٍ، ولا يَحصُلُ به خيرٌ في الدُّنيا ولا في الآخرةِ، فمَن أعطاهُ اللهُ الرِّفقَ، فَلْيَحمَدِ اللهَ على ما أعطاهُ مِن الخيرِ؛ إذ بالرِّفقِ يَنالُ مَطالِبَ الدِّينِ والدُّنيا، «وصِلَةُ الرَّحِمِ» بالبِرِّ والإحسانِ إلى الأهْلِ والأقاربِ، «وحُسنُ الخُلقِ»، أي: ومُعامَلةُ الخَلْقِ بأفضلِ الأخلاقِ، «وحُسنُ الجِوارِ»، أي: بمَنْعِ الأذى عن الجارِ وإيصالِ النَّفعِ إليه، «يُعمِّرانِ الدِّيارَ»، أي: بالبركةِ والخيرِ، «ويَزيدانِ في الأعمارِ» بالبركةِ فيها؛ بحيث يُوفِّقُه اللهُ لعمَلِ الخيرِ الكثيرِ والطّاعاتِ ذاتِ الفضْلِ العظيمِ، أو الزِّيادةُ حقيقيةٌ بتَطويلِ العُمرِ، وظاهرُ الحديثِ يُعارِضُ قولَه تعالى: {فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف: ٣٤]، والجمْعُ بينهما مِن وَجهينِ:

أحدِهما: أنَّ هذه الزِّيادةَ كِنايةٌ عن البركةِ في العُمرِ بسَببِ التَّوفيقِ إلى الطّاعةِ وعِمارةِ وقْتِه بما يَنفَعهُ في الآخرةِ، وصِيانتِه عن تَضْييعِه في غيرِ ذلك، وحاصِلُه: أنَّ هذه الأعمالَ الطَّيِّبةَ تكونُ سببًا للتَّوفيقِ للطّاعةِ والصِّيانةِ عن المعصيةِ، فيَبْقى بعْدَه الذِّكرُ الجميلُ، فكأنَّه لم يَمُتْ.

ثانيهما: أنَّ الزِّيادةَ على حَقيقتِها، وذلك بالنِّسبةِ إلى عِلْمِ المَلَكِ المُوكَّلِ بالعُمرِ، وأمّا الأوَّلُ الَّذي دلَّت عليه الآيةُ فبالنِّسبةِ إلى عِلْمِ اللهِ؛ كأنْ يُقالَ للمَلَكِ مثلًا: إنَّ عُمرَ فُلانٍ مِئةٌ إنْ وصَلَ رَحِمَه، وسِتُّونَ إنْ قطَعَها، وقد سبَقَ في عِلْمِ اللهِ أنَّه يَصِلُ أو يَقطَعُ؛ فالَّذي في عِلْمِ اللهِ لا يَتقدَّمُ ولا يتأخَّرُ، والَّذي في عِلْمِ المَلَكِ هو الَّذي يُمكِنُ فيه الزِّيادةُ والنَّقصُ، وإليه الإشارةُ بقولِه سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {يَمْحُو اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ} [الرعد: ٣٩]. {وفي الحديثِ: الحثُّ على الرِّفقِ، وأنَّه أقصرُ الطُّرقِ للوُصولِ إلى الخيرِ. وفيه: بَيانُ الأثَرِ العظيمِ للطّاعاتِ}.

٢٣٣ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ: قال الشيخ الْأَلْبَانِيُّ "حسنٌ صحيحٌ" فِي صحيح الترغيب ١٩٢٣ وصحيح الترمذي ١١٦٢؛ أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٢/ ٤٧٢) واللفظ له.

لقد حَثَّ الإسلامُ على التخلُّقِ بالأخلاقِ الحَسنةِ، ورفَع شأنَها، وبيَّن أهميتَها ومكانتَها العُظمى، وأيضًا حثَّ على العِشرةِ الطيّبةِ للأهلِ ومُعاملتِهم بالمعروفِ. وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «أكمَلُ المؤمنينَ إيمانًا»، أي: أكثرُهم اتِّصافًا بصِفاتِ الإيمانِ ومِن أكثرِهم تزوُّدًا مِن الطّاعاتِ، «أحسَنُهم خُلقًا»، أي: الَّذي

صلى الله عليه وسلم فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! مَن معَكَ على هذا الأمرِ؟! قالَ: "حرٌّ وعبدٌ"، قُلتُ: ما الإسلامُ؟! قالَ: "طيبُ الكلامِ، وإطعامُ الطَّعامِ". قلتُ: ما الإيمانُ؟! قالَ: "الصَّبرُ والسَّماحَةُ". قالَ: قلتُ: أيُّ الإسلامِ أفضلُ؟! قالَ: "مَن سلِمَ المسلِمونَ مِن لسانِهِ ويدِهِ". قالَ: قلتُ: أيُّ الإيمانِ أفضلُ؟! قالَ: "خُلُقٌ حسنٌ"... [٢٣٤]، وفي رواية: أتيتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقلتُ: يا رسولَ اللهِ من تَبِعك على هذا الأمرِ؟ قال: "حرٌّ وعبدٌ" قلتُ: ما الإسلامُ؟ قال: "طِيبُ الكلامِ وإطعامُ الطعامِ" قلتُ: ما الإيمانُ؟ قال: "الصبرُ والسماحةُ" قال: قلتُ: أيُّ الإسلامِ أفضلُ؟ قال: "من سلِم المسلمون من لسانِه ويدِه" قلتُ: أيُّ الإيمانِ أفضلُ؟ قال: "خُلُق حسنٌ" قال: قلتُ: أيُّ الصلاةِ أفضلُ؟ قال: "طولُ القنوتِ" قال: قلتُ: أيُّ الهجرةِ أفضلُ؟ قال: "أن تهجرَ ما كره ربُّك عزَّ وجلَّ" قال: قلتُ: فأيُّ الجهادِ أفضلُ؟ قال: "من عُقِر جوادُه وأُهريق دمُه" قال: قلتُ: أيُّ الساعاتِ أفضلُ؟ قال: "جوفُ الليلِ الآخِرِ" ... [٢٣٥].

١٧. المَوْطِنُ السَّابِعَ عَشَرَ: **"مَوَاطِنُ مُتَفَرِّقَةٌ أُخْرَى"**: وهي في الغالب يمكن إدراجها ضمن

يَمتَثِلُ بالخُلُقِ الحسَنِ بينَ النّاسِ جميعًا، فيُحسِنُ خلُقَه مع اللهِ عزَّ وجلَّ بالرِّضا بقَضاءِ اللهِ وقدَرِه، والصَّبرِ والحَمدِ في البلاءِ، والشُّكرِ عندَ النِّعمةِ، ويكونُ حَسَنَ الخُلُقِ مع النّاسِ بكفِّ الأَذى عنهم، وطَلاقةِ الوجهِ، والإحسانِ إليهم، وبَذْلِ العَطاءِ فيهم، مع الصَّبرِ على أذاهم؛ فكمالُ الإيمانِ يُوجِبُ حُسْنَ الخُلُقِ، والإحسانَ إلى النّاسِ كافَّةً. «وخيارُكم»، أي: أفضَلُكم وأحسَنُكم، «خيارُكم لنِسائِهم»، وفي رِوايةِ الترمذيِّ «ألْطفُهم بأهْلِه»، أي: في حُسنِ خلُقِه مَعهنَّ في المعاملَةِ والمعاشَرةِ، والمرادُ مِن النِّساءِ: أهلُه مِن النِّساءِ كزَوجتِه وبَناتِه وأخواتِه وقَريباتِه؛ لأنَّهنَّ مَحَلُّ الرَّحْمةِ لضَعفِهنَّ. {وفي الحديثِ: الحثُّ والتَّرغيبُ في حُسنِ الخُلُقِ. وفيه: الحثُّ والتَّرغيبُ في حُسنِ مُعاملةِ النِّساءِ. وفيه: إثباتُ أنَّ الإيمانَ يَزيدُ ويَنقُصُ}.

٢٣٤ حديثٌ إسناده ضعيفٌ: ضَعَّفَ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ إسناده في تخريج مشكاة المصابيح ٤٣؛ أخرجه أحمد (١٩٤٥٤)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٣٠٠) باختلاف يسير.

٢٣٥ حديثٌ إسناده ضعيفٌ: ضَعَّفَ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ إسناده في السلسلة الصحيحة ٩١/٢؛ أخرجه أحمد (١٩٤٥٤) واللفظ له، وعبد بن حميد في «مسنده» (٣٠٠) باختلاف يسير.

بعـض المَوَاطِـنِ السابقة؛ ولكن تم إدراجها وسـردها هنا بصـورة منفصـلة للفائدة، ومنها:

١. إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ: "إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ" [٢٣٦].

٢. إنَّ اللهَ يُحِبُّ أنْ تُؤتى رُخَصُه، كما يُحِبُّ أنْ تُؤتى عزائمُه، وكما يكرهُ أن تُؤتى معصيتُه: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ يُحِبُّ أنْ تُؤتى رُخَصُه، كما يُحِبُّ أنْ تُؤتى عزائمُه" [٢٣٧]، وقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إن اللهَ

٢٣٦ حديث صحيح: رواه مسلم ١١ - ٢٩٦٥. {كانَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقّاصٍ في إبِلِهِ، فَجاءَهُ ابنُهُ عُمَرُ، فَلَمّا رَآهُ سَعْدٌ قالَ: أَعُوذُ باللَّهِ مِن شَرِّ هذا الرّاكِبِ، فَنَزَلَ فَقالَ له: أَنَزَلْتَ في إبِلِكَ وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتَ النّاسَ يَتَنازَعُونَ المُلْكَ بيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ في صَدْرِهِ، فَقالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ. [حديث صحيح؛ رواه مسلم ١١ - ٢٩٦٥].

في هَذا الحديثِ أنَّ سَعدَ بنَ أَبي وَقّاصٍ كانَ في إبِلِه يَرعاها فَجاءَه ابنُه عُمرُ فَلمّا رَآه سَعدُ، قال: أَعوذُ باللهِ مِن شَرِّ هَذا الرّاكبِ؛ حَذرًا إنْ كانَ آتيَه بأَمرٍ فيه شرٌّ لَه. فَقال له ابنُه: أَنَزَلْتَ في إبِلكَ وغَنَمِك وتَركْتَ النّاسَ يَتنازَعون المُلكَ بَينَهم؟ فضَرَبَ سَعدٌ في صَدرِه وذَكَرَ لَه قَولَ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَقولُ: (إنَّ اللهَ يُحبُّ العَبدَ التَّقيَّ الغنيَّ الخَفيَّ)، والتَّقيُّ هُو الآتي بِما يَجبُ عَليه المُجتنِبُ لِما يَحرُمُ عليه، والغَنيُّ، أي: غَنيُّ النَّفْسِ؛ فصاحِبُ القَناعةِ هُو الغَنيُّ ولَيس كَثيرَ المالِ؛ فإنَّ الغِنى غِنى النَّفْسِ والخَفيُّ، أي: الخامِلُ المُنقطِعُ إلى العِبادةِ والاشتِغالِ بأُمورِ نَفسِه، والإشارَةُ بالخَفيِّ إلى خُمولِ الذِّكْرِ والشُّهرةِ عندَ النّاسِ، فالغالِبُ عَلى الخامِلِ السَّلامَةُ.

٢٣٧ حديـثٌ صـحيـحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي أصل صفة الصلاة ٥٢٣/٢، وفي صحيح الترغيب ١٠٦٠.

الدِّينُ يُسرٌ لا عُسرٌ، وقدْ أقَرَّ اللهُ سُبحانه وتعالى أحكامًا مُؤكَّدةً، وأحَبَّ مِن عِبادِه أنْ يَفعلُوها، كما أنَّه سُبحانه خفَّفَ عنهم، ورفَعَ الحرَجَ في أوقاتِ الضِّيقِ والضَّرورةِ، واللهُ سُبحانَه يُحِبُّ مِن عِبادِه المؤمنينَ أنْ يأْخُذوا بِتَخفيفِه ورُخَصِه، وهذا الحديثُ يُوضِّحُ ذلك، حيثُ يقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ أنْ تُؤتى رُخَصُه»، والرُّخَصُ هي التَّخفيفاتُ في الأحكامِ والعِباداتِ، والتسهيلُ فيها على المُكَلَّفِ لِعُذْرٍ، ومَحبَّةُ اللهِ لها؛ لِما فِيها مِن دَفْعِ التكبُّرِ والترفُّعِ عنِ استباحةِ ما أباحَهُ الشرعُ؛ فإنَّ مَن استكْبَرَ وأنِفَ ممّا أباحَهُ الشرعُ

يُحبُّ أن تُؤتى رُخصُه كما يكرهُ أن تُؤتى معصيتُه" [٢٣٨].

٣. إنَّ اللهَ يحبُّ أن يُحلَفَ به: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "احلِفوا باللهِ وبَرُّوا واصدُقوا، فإنَّ اللهَ يحبُّ أن يُحلَفَ به" [٢٣٩].

٤. إنَّ اللهَ كريمٌ يُحبُّ الكُرَماءَ، جوادٌ يُحبُّ الجَوَدَةَ، يُحِبُّ مَعاليَ الأخلاقِ، ويَكرَهُ سَفْسافَها، ويحبُّ الجمالَ، ويحبُّ مَعاليَ الأمورِ، ويكرهُ سَفسافَها: قال رَسولُ

وترفَّعَ عنه، فسَدَ دِينُه، «كما يُحِبُّ أنْ تُؤتى عَزائمُه» والعزائمُ هي الأُمورُ واجبةُ الفِعلِ؛ لأنَّ أمْرَ اللهِ فِي الرُّخَصِ والعزائمِ واحدٌ، وهذا للتَّحذيرِ مِن التنطُّعِ في الدِّينِ، والأخذِ بالتَّشديدِ في جميعِ الأُمورِ؛ فإنَّ دِينَ اللهِ يُسرٌ. وفي هذا تَطييبٌ لِقُلوبِ الضُّعفاءِ الذين يأْخُذون بِالرُّخَصِ لِعِلَّةٍ عِندَهم؛ حتى لا يَنتهيَ بهم ضَعفُهم إلى اليأْسِ والقُنوطِ مِن القُدرةِ على فِعْلِ العزائمِ، فيَتْرُكوا الـميسورَ مِن الخيرِ عليهم؛ لِعَجْزِهم عن الوصولِ لِـمُنتهى دَرجاتِ العزائمِ، وهذا الحديثُ يُوافِقُ قولَه تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥]، وهذا في عامَّةِ أُمورِ الدِّينِ.

٢٣٨ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي إرواء الغليل ٥٦٤.

الدِّينُ يُسرٌ لا عُسرٌ، وقد أقَرَّ اللهُ سبحانَه وتعالى أحكامًا مُؤكَّدةً، وأحَبَّ مِن عِبادِه أنْ يَفعَلُوها، كما أنَّه سبحانَه خفَّفَ عنهم، ورفَعَ الحرَجَ في أوقاتِ الضِّيقِ والضَّرورةِ، واللهُ سبحانَه يُحِبُّ مِن عِبادِه المؤمنينَ أنْ يأْخُذوا بِتَخفيفِه ورُخَصِه، وهذا الحديثُ يُوضِّحُ ذلك؛ حيثُ يقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ أنْ تُؤتى رُخَصُه»، والرُّخَصُ هي التَّخفيفاتُ في الأحكامِ والعِباداتِ، والتسهيلُ فيها على الـمُكَلَّفِ لِعُذْرٍ، ومَحبَّةُ اللهِ لها؛ لِما فيها مِن دَفْعِ التكبُّرِ والترفُّعِ عنِ استباحةِ ما أباحَهُ الشرعُ؛ فإنَّ مَن استكْبَرَ وأَنِفَ ممّا أباحَهُ الشرعُ وترَفَّعَ عنه، فسَدَ دِينُه، والإتيانُ بالرُّخصةِ يَدفَعُ عن النفسِ تكبُّرَها، ويَقهَرُها على قَبولِ ما جاءَ به الشرعُ؛ فإنَّه سُبحانَه يُحبُّ أنْ تُؤتى رُخَصُه «كما يَكرَهُ أنْ تُؤتى معصيتُه» بارتكابِ المحرَّماتِ؛ فإنَّه سبحانَه يُثيبُ على إتيانِ الرُّخصِ بشروطِها، كما يُعاقِبُ على ارتكابِ المعاصي. وفي هذا تطييبٌ لقُلوبِ الضُّعفاءِ الذين يأْخُذونَ بالرُّخصِ لِعِلَّةٍ عِندَهم؛ حتى لا ينتهيَ بهم ضعفُهم إلى اليأسِ والقنوطِ مِن القُدرةِ على فعلِ العزائمِ، فيترُكوا الميسورَ مِن الخيرِ عليهم لعجزِهم عن الوصولِ لمُنتهى درجاتِ العزائمِ، وهذا الحديثُ يُوافِقُ قولَه تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥]، وهذا في عامَّةِ أمورِ الدِّينِ.

٢٣٩ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٢١١؛ أخرجه الجرجاني في «تاريخ جرجان» (٥٩٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٦٧/٧) واللفظ له، والديلمي في «الفردوس» (٣٣٣)، من حديث ابن عمر.

اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعاليَ الأخلاقِ، ويَكرَهُ سَفْسافَها" [٢٤٠]، وقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ، ويحبُّ مَعاليَ الأمورِ، ويكرهُ سَفسافَها" [٢٤١]، وقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ كريمٌ يُحبُّ الكُرَماءَ، جوادٌ يُحبُّ الجَوَدَةَ، يُحبُّ معاليَ الأخلاقِ، ويكرَهُ سَفْسافَها" [٢٤٢]، وفي رواية: "إنَّ اللهَ كريمٌ يُحبُّ الكرمَ، يُحبُّ معاليَ الأخلاقِ،

٢٤٠ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٨٨٩.

٢٤١ حديثٌ إسناده لا بأس به في الشواهد: أخرجهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي السلسلة الصحيحة ١٦٧/٤، وقال عنه: إسناده لا بأس به في الشواهد.

أَرْشَدَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أُمَّتَه إلى مَعالِي الأُمورِ في الأقوالِ والأفعالِ، وحذَّرَها مِن رَذائلِها، كما في هذا الحَديثِ، حيثُ يَقولُ: «إنَّ اللهَ جميلٌ»، أي: إنَّ اللهَ سُبحانه جَميلُ الذّاتِ والأفعالِ، وله صِفاتُ الجَمالِ والكَمالِ، «يُحِبُّ الجَمالَ»، أي: ويُحِبُّ مِن عِبادِه الاتّصافَ بالجَمالِ في كلِّ شُؤونِهم، ويُحِبُّ أنْ يَرى أثَرَ نِعمتِه على عبْدِه مِن غَيرِ إسرافٍ ولا مَخيلةٍ، «ويُحِبُّ مَعاليَ الأُمورِ»، أي: يحبُّ الأمورَ عاليةَ الشأنِ ورفيعةَ القدْرِ التي ترفعَ قدْرَ صاحبِها، مِثلَ: عِزَّةِ الإيمانِ وقوَّتِه، والامتثالِ للهِ والرَّسولِ، «ويَكرَهُ سَفْسافَها»، أي: رَديئَها وحَقيرَها والتوافهَ التي تُنبئُ عن الخِسَّةِ والدناءةِ، وعدمِ المروءةِ، مِثلَ: الإصرارِ على الذُّنوبِ، والغِيبَةِ والنميمةِ، وتدَخُّلِ المرءِ فيما لا يَعنِيه. والاهتمامُ بالمَلبسِ، والمأكلِ، والمشرَبِ، وحُسْنِ المظهر في حُدودِ الشرعِ ليس مِن سَفْسافِ الأمورِ، لكن لا يَنبغي أنْ يكونَ ذلك أكبرَ همِّ المسلمِ، أو يَصِلَ به إلى حَدِّ التَّرفِ والإسرافِ، أو يكونَ على حِسابِ دِينه وأخلاقِه. {وفي الحديثِ: إثباتُ صِفةِ الحُبِّ للهِ سُبحانَه وصِفةِ الكُرهِ كذلك. وفيه: الحَثُّ على الاتّصافِ بالجَمالِ المادّيِّ والمعنويِّ. وفيه: الإرشادُ إلى الحِرصِ على فِعْلِ معالي الأمورِ في الدِّينِ والحياةِ، والابتعادِ عن الأفعالِ الدَّنيئةِ}.

٢٤٢ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٨٠٠.

حَثَّ الإسلامُ على التَحَلّي بالصِّفاتِ الطَّيِّبةِ والجَميلةِ، التي يُحِبُّها اللهُ سُبحانَه ويَرضاها نَبيُّه صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ. وفي هذا الحَديثِ يَقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ كَريمٌ»، والكَريمُ اسمٌ مِن أسماءِ اللهِ تَعالى الحُسنى، وهو يَتضَمَّنُ صِفَةَ الكَرَمُ على ما يليقُ بكَمالِ اللهِ تعالى، «يُحِبُّ الكُرَماءَ»، أي: يُحِبُّ عِبادَه الكُرَماءَ الذين يُكرِمونَ غَيرَهم مِن عِبادِ اللهِ، وهو سبحانَه «جَوادٌ»، أي: كَثيرُ الجُودِ والعَطاءِ لِعِبادِه؛ فيَفيضُ عليهم بالرَّحَماتِ والغُفرانِ والأرزاقِ، وغَيرِ ذلك مِنَ النِّعَمِ التي لا تُعَدُّ، «يُحِبُّ الجَوَدَةَ»، وهم أصحابُ البَذلِ والإنفاقِ، والذين يَتَّصِفونَ بسُهولةِ البَذلِ والإنفاقِ وتَجَنُّبِ ما لا يُحمَدُ مِنَ الأخلاقِ، وفي ذلك دَلالةٌ على أنَّ اللهَ سَيُثيبُ

ويكرَهُ سَفْسافَها" [٢٤٣]، وفي رواية: "إنَّ اللهَ تعالى جَميلٌ يحبُّ الجَمالَ، ويحبُّ مَعالِي الأَخلاقِ، ويكرَهُ سَفسافَها" [٢٤٤]، وفي رواية: "إنَّ اللهَ تعالى جَوادٌ يحبُّ الجُودَ، ويحبُّ مَعالِي الأَخلاقِ، ويكرَهُ سَفسافَها" [٢٤٥]، وقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ، ويحبُّ أن يَرى أثرَ نعمتِه على عَبدِه، ويُبغِضُ البؤسَ والتَّباؤسَ" [٢٤٦]، وقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "لا يَدْخُلُ

أصحابَ تلك الصِّفاتِ بأفضَلَ ممّا أنفَقوا وبَذَلوه لِغَيرِهم. ويُحِبُّ سُبحانَه وتعالى «معاليَ الأخلاقِ» وهي الأخلاقُ عاليةُ الشَّأنِ، ورَفيعةُ القَدْرِ التي تَرفَعَ قَدْرَ صاحِبِها، مِثلَ: عِزَّةِ الإيمانِ وقُوَّتِه، والامتِثالِ للهِ والرَّسولِ، «ويَكرَهُ سَفْسافَها» مِنَ الأخلاقِ رَديئَها وحَقيرَها، والتَّوافِهَ التي تُنبِئُ عن الخِسَّةِ والدَّناءةِ، وعَدَمِ المُروءةِ، مِثلَ: الإصرارِ على الذُّنوبِ، والغِيبةِ والنَّميمةِ، وتَدَخُّلِ المَرءِ فيما لا يَعنِيه. ولَيسَتْ صِفاتُ اللهِ كصِفاتِ الخَلقِ؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ليس كَمِثلِه شَيءٌ، وهو السَّميعُ البَصيرُ، ولكِنْ مَن تَخلَّقَ بِشَيءٍ مِن صِفاتِه ومَعاني أسمائِه الحُسْنى، كانَ مَحبوبًا له مُقَرَّبًا عِندَه. وفي الحَديثِ: إثباتُ صِفةِ المَحبَّةِ للهِ تَعالى، وبَيانُ بَعضِ أسبابِ نَيلِ مَحبَّتِه سُبحانَه. وفيه: الإرشادُ إلى الحِرصِ على فِعلِ مَعالي الأُمورِ في الدِّينِ والحَياةِ، والابتِعادِ عنِ الأفعالِ الدَّنيئةِ.

٢٤٣ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٨٠١.

٢٤٤ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٧٤٣.

٢٤٥ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٧٤٤.

٢٤٦ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٧٤٢.

أرشَدَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أُمَّتَه إلى معالي الأُمورِ مِن الأقوالِ والأفعالِ، وحَذَّرَها مِن رَذائلِها، وشريعةُ الإسلامِ السَّمحةُ شَريعةُ الجَمالِ والتَّوازنِ في كُلِّ شَيءٍ. وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ جَميلٌ»، أي: إنَّ اللهَ سُبحانه جَميلُ الذّاتِ والأفعالِ، وله صِفاتُ الجَمالِ والكَمالِ، «يُحِبُّ الجَمالَ»، أي: ويُحِبُّ مِن عِبادِه الاتِّصافَ بالجَمالِ في كُلِّ شُؤونِهم، «ويُحِبُّ أنْ يَرى أثَرَ نِعمتِه على عبْدِه»، أي: إذا أعْطى اللهُ عبْدًا مِن عِبادِه نِعمةً مِن نِعَمِ الدُّنيا، فلْيُظهِرْها في نفْسِه، بأنْ يلْبَسَ لِباسًا يَليقُ بحالِه؛ لإظهارِ نِعَمِ اللهِ عليه، وليس للإسرافِ ولا المَخيلةِ. «ويُبغِضُ البُؤسَ»، أي: إظهارَ الذِّلَّةِ ورَثاثةِ الحالِ للنّاسِ، «والتَّباؤُسَ»، وهو إظهارُ الحاجةِ والتَّفاقُرِ على غَيرِ الحقيقةِ بإظهارِ التَّمسكُنِ والشِّكايةِ؛ لأنَّ ذلك يُؤدِّي إلى احتِقارِ النّاسِ له، وازدرائِهم إيّاهُ، وشَماتةِ أعدائِه، مع ما في ذلِكَ مِن كُفرانِ نِعمةِ اللهِ، وعدَمِ شُكرِها وأداءِ حَقِّها بإظهارِها على نَفْسِه؛ فإنَّ الاهتمامَ بالمَلبَسِ والمأكلِ والمشْرَبِ، وحُسنِ المظهرِ في حُدودِ الشَّرعِ أمرٌ محمودٌ، وهو مِن الجَمالِ الذي يُحبُّه اللهُ سُبحانَه، مع مُراعاةِ ألّا يكونَ شَيءٌ من ذلك كلِّه على حِسابِ دِينِه وأخلاقِه؛

الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ" قالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يَكونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ونَعْلُهُ حَسَنَةً، قالَ: "إنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النّاسِ" [٢٤٧].

٥. إنَّ اللَّهَ يُحبُّ أن يَرى أثرَ نعمتِه على عبدِه: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللَّهَ يُحبُّ أن يَرى أثرَ نعمتِه على عبدِه" [٢٤٨]، وقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه

فإذا كان ذلك كذلك فإنَّ التباؤسَ بغيرِ حَقٍّ يُعدُّ قُبحًا في حقِّ المؤمنِ.

وفي الحديثِ: إثباتُ صِفةِ الجَمالِ والمَحبَّةِ والبُغضِ للهِ عزَّ وجلَّ.

٢٤٧ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ١٤٧ - ٩١.

الكِبرُ والتكبُّرُ والتعاظُمُ على النّاسِ مِن الصِّفاتِ التي تدُلُّ على فسادِ القُلوبِ، وفي هذا الحديثِ يُوضِّحُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ سُوءَ عاقِبةِ الكِبرِ، ويُصوِّبُ بعضَ المفاهيمِ عندَ الناسِ المتعلِّقةِ بحُسنِ الهَيئةِ، فيقولُ: «لا يدْخُل الجَنَّةَ مَن كانَ في قلبِهِ مِثْقالَ ذرَّةٍ مِن كِبرٍ»، أي: لا يُدخِلُ اللهُ أحدًا الجَنَّةَ وفي قَلبِهِ وَزنُ ذرَّةٍ مِن الكبرِ، وهو التعاظُمُ والمُباهاةُ على الناسِ، والذَّرَّةُ هي الغُبارُ الدَّقيقُ الذي يظهرُ في الضَّوءِ، أو هي النَّمْلةُ الصَّغيرةُ، وهو يدُلُّ على أنَّ أقلَّ القليلِ مِن الكبرِ إذا وُجِدَ في القلبِ كانَ سببًا لعدَمِ دُخولِ الجَنَّةِ. قالَ رجلٌ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ الرجُلَ يحبُّ أنْ يكونَ ثوبُهُ حَسنًا ونَعلُه حَسنةً»، أي: هلْ يُعدُّ حبُّ الإنسانِ أن يكونَ ذا هيئةٍ ومَظهرٍ حَسنٍ مِن الكِبرِ؟ فقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ جَميلٌ يحِبُّ الجَمالَ»، أي: هذا مِن النَّظافةِ، والجَمالِ الذي يحبُّهُ اللهُ ولا يُبغِضُه ما دامَ لم يورِثْ في القلبِ ترفُّعًا على الناسِ، وإنَّما هو مِن بَيانِ نِعمةِ اللهِ عليهِ، ثمَّ قالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ موضِّحًا: «الكِبرُ بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ الناسِ»، أي: مَعنى الكبرِ المقصودِ هوَ بَطرُ الحقِّ: أي رفْضُ الحقِّ والبعدُ عنهُ، وغَمْطُ الناسِ، أي: احتِقارُهم.

وفي الحديثِ: النهيُ عنِ التكبُّرِ والتعاظُمِ على الناسِ، والنهيُ عن رفَضِ الحقِّ والبُعدِ عنه.

٢٤٨ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ: قال الشيخ الْأَلْبَانِيُّ "حسنٌ صحيحٌ" فِي صحيح الترمذي ٢٨١٩.

خلَقَ اللهُ سُبحانَه الخلْقَ وهيَّأَ لهم أسبابَ الحياةِ والرِّزقِ من عندِه، وعلَّمَنا النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ كيف نَشكُرُ نِعَمَ اللهِ تعالى وفضْلَه علينا؛ بأنْ نُظْهِرَ هذه النِّعمَ من بابِ الإقرارِ بها دُونَ رياءٍ، كما أمَرَنا بعدمِ البُخْلِ والشُّحِّ على النَّفْسِ. وفي هذا الحديثِ يقولُ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ يحِبُّ أنْ يَرى أثَرَ نِعْمتِه على عبْدِه»، أي: يحِبُّ أنْ يُظهِرَ العبْدُ فضْلَ اللهِ عليه بما رزَقَه من مالٍ أو جاهٍ، بأنْ يلبَسَ ثِيابًا تليقُ بحالِه؛ من النَّفاسةِ والنَّظافةِ، مع مُراعاةِ القَصْدِ وتركِ الإسرافِ، وهذا من بابِ شُكْرِه على نِعَمِه، والاستِعانةِ بها على طاعتِه، واتِّخاذِها طريقًا إلى جنَّتِه، وهذا أفضلُ من الزُّهدِ فيها، والتَّخلِّي عنها، ومُجانبةِ أسبابِها؛ فأمَّا إنْ شغَلَتْه

وَسَلَّمَ: "كُلوا واشرَبوا وتَصدَّقوا والْبَسوا ما لم يخالِطْهُ إسرافٌ أو مَخيَلةٌ" [٢٤٩].

٦. إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العُطاسَ: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العُطاسَ، ويَكْرَهُ التَّثاؤُبَ، فإذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَحَقٌّ على كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أنْ

عنِ اللهِ تعالى، فالزُّهدُ فيها أفضلُ، وإنْ لم تَشْغَلْه وكان شاكرًا للهِ فيها، فحالُه أفضلُ، ويَزهُد بتَرْكِ تَّعلُّقِ قلْبِه بها والطُّمأنينةِ إليها. وهذه الرِّوايةُ يوضِّحُها حديثٌ آخَرُ أخرَجَه ابنُ ماجه، وفيه: أنَّه صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قال: «كُلوا واشْرَبوا وتصدَّقوا والْبَسوا، ما لم يُخالِطْه إسرافٌ أو مَخِيلةٌ»، أي: افْعَلوا كلَّ ذلك من أموالِكم، ولا حرَجَ عليكم فيما أباحه اللهُ عَزَّ وجَلَّ وفصَّلَته السُّنَّةُ النَّبويَّةُ، وهذا كما قال تعالى: {وَكُلُوا واشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١]، وقال سبحانه وتعالى: {والَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوامًا} [الفرقان: ٦٧]، وهو جامِعٌ لفَضائلِ تَدْبيرِ الإنسانِ لنفْسِه، وفيه تَدبيرُ مَصالحِ النَّفْسِ والجسَدِ في الدُّنيا والآخرةِ. {وفي الحديثِ: اتِّخاذُ نِعمةِ اللهِ طريقًا إلى شُكْرِه بإظهارِها. وفيه: بَيانُ سَعةِ الإسلامِ وتَيسيرِه على النّاسِ في المُباحاتِ، دونَ إفراطٍ مُخِلٍّ بالمالِ أو النَّفسِ، أو الدُّنيا والآخرةِ}.

٢٤٩ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ في صحيح ابن ماجه ٢٩٢٠؛ أخرجه النسائي (٢٥٥٩)، وابن ماجه (٣٦٠٥) واللفظ له، وأحمد (٦٦٩٥).

لقد نظَّم الشَّرعُ الحكيمُ أمورَ الناسِ كلَّها، وجاء بما فيه مَصلحتُهم، وأحَلَّ لهم الطَّيِّباتِ وحرَّم عليهم الخبائثَ، وأباح لهم التَّمتُّعَ بالحياةِ ومَلذّاتِها، لكنْ دونَ إفراطٍ أو نسيانٍ لحقوقِ اللهِ والعبادِ. ... وفي هذا الحديثِ يقولُ عبدُ اللهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «كُلوا واشْرَبوا وتَصدَّقوا والْبَسوا»، أي: افعَلوا كلَّ ذلك مِن أموالِكم، ولا حرَجَ عليكم فيما أباحه اللهُ عزَّ وجلَّ وفصَّلَتْه السُّنَّةُ النَّبويَّةُ، «ما لم يُخالِطْه إسرافٌ»، وهو الإفراطُ ومُجاوَزةُ الحَدِّ، «أو مَخِيلةٌ» وهي: الزَّهْوُ والتَّكبُّرُ والإعجابُ بالفِعلِ أو النَّفسِ، وهذا الحديثُ مُوافِقٌ لمعنى قولِه سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَكُلُوا واشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١]، وقولِه سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {والَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوامًا} [الفرقان: ٦٧]، وهو جامِعٌ لفَضائلِ تَدبيرِ الإنسانِ لنَفْسِه، وفيه تدبيرُ مَصالحِ النَّفْسِ والجسَدِ في الدُّنيا والآخِرةِ؛ فإنَّ السَّرَفَ في كلِّ شيءٍ يُضِرُّ بالجسَدِ، ويُضِرُّ بالمعيشةِ؛ فيُؤدِّي إلى الإتلافِ، ويُضِرُّ بالنَّفسِ إذ كانَت تابِعةً للجسَدِ في أكثَرِ الأحوالِ، والمَخِيلةُ تُضِرُّ بالنَّفسِ حيثُ تُكسِبُها العُجْبَ، وتُضِرُّ بالآخِرَةِ حيث تُكسِبُ الإثمَ، وبالدُّنيا حيث تُكسِبُ المَقْتَ مِن النّاسِ. ... {وفي الحديثِ: بيانُ سَعةِ الإسلامِ وتَيسيرِه على النّاسِ في المباحاتِ، دونَ إفراطٍ مُخِلٍّ بالمالِ أو النَّفسِ أو الدُّنيا والآخرةِ. وفيه: الحثُّ على التَّرشيدِ للنَّفسِ والتَّحكُّمِ في شِهواتِها}.

يُشَمِّتَهُ، وأَمّا التَّثاؤُبُ: فإنَّما هو مِنَ الشَّيْطانِ، فَلْيَرُدَّهُ ما اسْتَطاعَ، فإذا قالَ: ها، ضَحِكَ منه الشَّيْطانُ" [٢٥٠].

٧. إنَّ اللَّهَ يُحبُّ سَمحَ البَيعِ، سَمحَ الشِّراءِ، سَمحَ القَضاءِ: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللَّهَ يُحبُّ سَمحَ البَيعِ، سَمحَ الشِّراءِ، سَمحَ القَضاءِ" [٢٥١].

٨. إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يحبُّ ثلاثَةً {الرَّجُلُ يَلْقى العَدوَّ في جَماعةٍ مِن أصحابِه المُقاتِلينَ المُجاهِدينَ فيَفدي أصحابَه برَقَبَتِه ورُوحِه؛ والقَومُ يُسافِرونَ فيَطُولُ سَيرُهم باللَّيلِ، فيَنزِلونَ فيَتَنَحّى أحَدُهم ويَأخُذُ جانِبًا لِنَفْسِه فيُصَلِّي وهم نيامٌ، كَأنَّه يَحرُسُهم، والرَّجُلُ يَكُونُ له الجارُ السُّوءُ يُؤذِيه جارُه فيَصبِرُ على أذاهُ حتى يُفَرِّقَ اللهُ بَينَه وبَينَ جارِه السَّيِّئِ بمَوتِ أحَدِهما أو تَرْكِه لِلمَكانِ إلى مَكانٍ آخَرَ}: فعن أبي ذر

٢٥٠ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٦٢٢٣.

في هذا الحديثِ يُخبِرُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أنَّ اللهَ يُحبُّ العُطاسَ ويَكره التَّثاؤُبَ؛ والسَّببُ في ذلك أنَّ العُطاسَ يدلُّ على النَّشاطِ والخفَّةِ؛ ولهذا تجدُ الإنسانَ إذا عطَسَ نَشِطَ، واللهُ سبحانه وتعالى يُحبُّ الإنسانَ النَّشيطَ الجادَّ، والتَّثاؤبُ إنَّما يَكونُ مع ثِقلِ البدنِ وامتلائِه وعند استرخائه لِلنَّومِ ومَيلِه إلى الكسلِ؛ ولأجلِ ذلك المعنى صار العُطاسُ مَحمودًا يُحبُّه اللهُ، والتَّثاؤبُ مذمومًا يكرهُه اللهُ تعالى؛ لأنَّ العُطاسَ يُعينُ على الطّاعاتِ، والتثاؤبَ يُثبِّطُ عَن الخَيراتِ وقضاءِ الواجباتِ. ثم أخبَرَ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أنَّ مِن حقوقِ المسلمِ على المسلمِ أنَّه إذا عَطَسَ أنْ يُشمِّتَه، وتَشميتُ العاطسِ أنْ يقولَ له: يَرحمُكَ اللهُ، أمّا التَّثاؤبُ فينبغي على المسلمِ أنْ يَكظِمَه ويَردَّه ما استطاع؛ لأنَّه إذا قال ها يَعني فَعلَ التَّثاؤبَ وفتَحَ فمَه به ضَحِكَ الشَّيطانُ منه؛ لأنَّهُ نالَ مقصودَه ورأى ثمرةَ تحريضِه على كثرةِ الأكْلِ والكسلِ.

٢٥١ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ١٣١٩.

السُّهولَةُ واللِّينُ في مُعامَلَةِ النّاسِ في جميعِ نواحِي الحياةِ مِن محاسِنِ الأخْلاقِ الَّتي حثَّتْ عليها الشَّريعةُ الإسلاميَّةُ، وأثنَتْ على فاعِلِها. وفي هذا الحديثِ يقولُ الرَّسولُ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ سَمْحَ البيْعِ»، أي: مَن كان سهْلًا في بيْعِه غيرَ عَسِرٍ فيه، «سَمْحَ الشِّراءِ»، أي: مَن كان سهْلًا إذا اشتَرى مِن غيرِه، «سَمْحَ القَضاءِ»، أي: كان سَهْلًا في مُطالبَتِه غيرَه بمالِه، فلا يُعسِّرُ عليه، وإنْ كان عليه مالٌ فلا يُؤخِّرُ الوَفاءَ مع القُدْرةِ؛ فتلك الصِّفاتُ يُحِبُّها اللهُ في المعامَلَةِ بين النّاسِ، فلا يَفعَلُها إلّا مَن وفَّقَه اللهُ سبحانه وتعالى.

وفي الحديثِ: الحَثُّ على السُّهولَةِ والتَّيسيرِ في المعامَلاتِ بين النّاسِ.

الغفاري رضي الله عنه، قال: "ثلاثةٌ يُحبُّهمُ اللهُ، وثلاثةٌ يَشنَؤُهمُ اللهُ: الرجُلُ يلْقى العَدُوَّ في فِئَةٍ فيَنصِبُ لهُمْ نَحْرَهُ حتى يُقتَلَ أو يُفتَحَ لأصحابِهِ؛ والقوْمُ يُسافِرُونَ فيَطولُ سَراهُمْ حتى يُحِبُّوا أنْ يَمَسُّوا الأرْضَ فيَنزِلُونَ؛ فيَتنحّى أحدُهمْ فيُصلِّي حتى يُوقِظَهُمْ لِرحيلِهِمْ، والرجُلُ يَكونُ لهُ الجارُ يُؤذِيهِ جارُهُ فيَصبِرُ على أذاهُ حتى يُفرِّقَ بينهُما موتٌ أو ظَعْنٌ، والّذينَ يَشنؤُهمُ اللهُ: التّاجِرُ الحلّافُ، والفقيرُ المخْتالُ؛ والبَخيلُ المنّانُ" [٢٥٢]، وفي رواية: "أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يحبُّ ثلاثَةً ويُبْغِضُ ثلاثَةً قال: فما أَخالُنِي أَكْذِبُ على رسولِ اللهِ. قال: فقُلْتُ: فمَنْ هؤلاءِ الثَّلاثَةُ الذينَ يحبُّهُمُ اللهُ عزَّ وجلَّ؟ قال: رجلٌ غَزا في سبيلِ اللهِ صابِرًا مُحْتَسِبًا فَقاتَلَ حتى قُتِلَ، وأنْتُمْ تَجِدونَهُ عندَكُمْ مكتوبًا في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ثُمَّ تَلا: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ قُلْتُ: ومَنْ؟ قال: رجلٌ كان لهُ جارُ سُوءٍ يُؤْذِيهِ فيصبرُ على أَذاهُ حتى يَكْفِيَهُ اللهُ إِيّاهُ بِحَياةٍ أوْ مَوْتٍ فذكرَ الحديثَ" [٢٥٣]، وفي رواية: "إنَّ اللهَ يحبُّ ثلاثةً، ويُبغِضُ ثلاثةً فذكر الحديث إلى أن قال: قلتُ: فمن الثلاثةُ الذين يُبغِضُهم اللهُ؟ قال: المختالُ الفخورُ وأنتم تجدونه في كتابِ اللهِ المنَزّلِ: إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ والبخيلُ المنّانُ، والتاجرُ أو البائعُ الحلّافُ" [٢٥٤].

٢٥٢ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٣٠٧٤؛ أخرجه أحمد (٢١٣٧٨)، والبزار (٣٩٠٨)، والطبراني (١٥٢/٢) (١٦٣٧) باختلاف يسير.

٢٥٣ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ٢٥٦٩.

٢٥٤ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ١٧٩١.

كانَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يُرَبِّي أصحابَه على الفَضائِلِ والبُعدِ عنِ الرَّذائِلِ، وكَثيرًا ما كانَ يُحَذِّرُهم مِن سَيِّئِ الصِّفاتِ وقَبيحِ الأعمالِ، وكانَ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ شَديدَ الحِرصِ على كُلِّ ما يُقَرِّبُهم مِنَ الآخِرةِ. وفي هذا الحَديثِ يَقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ ثَلاثةً، ويُبغِضُ ثَلاثةً"، ثَلاثةَ أصنافٍ مِنَ الناسِ، «فذَكَرَ الحَديثَ»، وتَمامُه كما عِندَ الطَّبَرانيِّ وغَيرِه أنَّه ذَكَرَ الثَّلاثةَ الذين يُحِبُّهم اللهُ، وهمُ: «الرَّجُلُ يَلْقى العَدوَّ

٩. إنَّ اللهَ يحبُّ الرفقَ في الأمرِ كلِّهِ: فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ على رَسولِ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَقالوا: السّامُ عليْكُمْ، فَقالَتْ عائِشَةُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السّامُ واللَّعْنَةُ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "يا عائِشَةُ إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الأمْرِ كُلِّهِ" قالَتْ: أَلَمْ تَسْمَعْ ما قالوا؟ قالَ: "قدْ قُلتُ وَعلَيْكُمْ". وفي روايةٍ: "قدْ قُلتُ عليْكُمْ" وَلَمْ يَذْكُرُوا الواوَ [٢٥٥]، وفي رواية: أنَّ اليَهُودَ أتَوُا النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالوا: السَّامُ عَلَيْكَ، قَالَ: "وعلَيْكُمْ" فَقَالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ علَيْكُمْ، ولَعَنَكُمُ اللَّهُ وغَضِبَ علَيْكُمْ، فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "مَهْلًا يا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بالرِّفْقِ، وإيَّاكِ والعُنْفَ، أوِ الفُحْشَ" قَالَتْ: أوَلَمْ تَسْمَعْ ما قالوا؟ قَالَ: "أوَلَمْ تَسْمَعِي ما قُلتُ، رَدَدْتُ عليهم،

في فِئةٍ»، في جَماعةٍ مِن أصحابِه المُقاتِلينَ المُجاهِدينَ «فيَنصُبُ لهم نَحرَه»، كأنَّه يَفدي أصحابَه برَقَبَتِه ورُوحِه؛ فيَتقَدَّمُ لِلعَدوِّ «حتى يُقتَلَ أو يُفتَحَ لِأصحابِه»، والصِّنفُ الثاني: «والقَومُ يُسافِرونَ فيَطُولُ سُراهم»، وهو سَيرُهم باللَّيلِ، «حتى يُحِبُّوا أن يَمسُّوا الأرضَ»؛ لِلرّاحةِ والنَّومِ «فيَنزِلونَ» عن دَوابِّهم «فيَتنَحّى أحَدُهم» ويَأخُذُ جانِبًا لِنَفْسِه «فيُصَلِّي» وهم نيامٌ، كأنَّه يَحرُسُهم، «حتى يُوقِظَهم» في الصَّباحِ، أو بَعدَ نَومِهم «لِرَحِيلِهم» وذَهابِهم مِن ذلك المَكانِ، والصِّنفُ الثالِثُ: «والرَّجُلُ يَكُونُ له الجارُ» السُّوءُ «يُؤذِيه جارُه فيَصبِرُ على أذاهُ حتى يُفَرِّقَ بَينَهما مَوتٌ أو ظَعْنٌ»، بمعنى: حتى يُفَرِّقَ اللهُ بَينَه وبَينَ جارِه السَّيِّئِ بمَوتِ أحَدِهما أو تَرْكِه لِلمَكانِ إلى مَكانٍ آخَرَ. «قُلتُ: فمَنِ الثَّلاثةُ الذين يُبغِضُهمُ اللهُ؟» وهمُ الذين يَكرَهُهمُ اللهُ، ومَن كَرِهَه يُعذِّبُه ويُحِلُّه دارَ الهَوانِ، وأوَّلُ الذين يُبغِضُهمُ اللهُ: «المُختالُ الفَخورُ»، وهو المُتكَبِّرُ المُتغَطرِسُ الذي يَتكَبَّرُ على الخَلقِ بلا داعٍ، ولا رادِعٍ، «وأنتم تَجِدونَه في كِتابِ اللهِ المُنَزَّلِ: {إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ} [لقمان: ١٨]، "والبَخيلُ المَنّانُ»، وهو الذي يَبخَلُ بمالِه، ولا يُنفِقُ منه -كما يُحِبُّ اللهُ- بالصَّدَقاتِ وعَمَلِ البِرِّ، وإذا أنفَقَ منه شَيئًا فإنَّه يَمُنُّ على الآخِذِ، «والتّاجِرُ أوِ البائِعُ الحَلّافُ»، الذي يُكثِرُ الحَلِفَ على سِلعَتِه وهو كاذِبٌ، ولَفظةُ (الحَلّافُ)، صِيغةُ مُبالَغةٍ؛ فأفادَ ذلك أنَّه اعتادَ هذا الأمْرَ وأكْثَرَ منه في تِجارَتِه؛ لِيُنفِقَ سِلعَتَه بالأيْمانِ؛ فيَتهاوَنُ بأيْمانِ اللهِ، ويُغرِّرُ المشتَرِيَ. وفي الحَديثِ: إثباتُ صِفَتَيِ الحُبِّ والبُغضِ للهِ عَزَّ وجَلَّ. وفيه: بَيانُ فَضيلةِ الإحسانِ إلى الجارِ، والصَّبرِ على أذاه. وفيه: بَيانُ فَضلِ الجِهادِ والتَّضحيةِ بالنَّفْسِ في سَبيلِ اللهِ. وفيه: تَحذيرٌ مِنَ الأخلاقِ السَّيِّئةِ، مِثلَ البُخلِ والكَذِبِ والحَلِفِ الكاذِبِ.

٢٥٥ حديثٌ صحيحٌ متفقٌ عليه؛ أخرجه مسلم (٢١٦٥)، والبخاري (٦٩٢٧).

فيُسْتَجَابُ لي فيهم، ولَا يُسْتَجَابُ لهمْ فِيَّ" [٢٥٦]، وفي روايةٍ: كانَ اليَهُودُ يُسَلِّمُونَ على النبيِّ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولونَ: السّامُ عَلَيْكَ، فَفَطِنَتْ عائِشَةُ إلى قَوْلِهِمْ، فَقالَتْ: عَلَيْكُمُ السّامُ واللَّعْنَةُ، فَقالَ النبيُّ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "مَهْلًا يا عائِشَةُ، إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الأمْرِ كُلِّهِ" فَقالَتْ: يا نَبِيَّ اللَّهِ، أوَلَمْ تَسْمَعْ ما يقولونَ؟ قالَ: "أوَلَمْ تَسْمَعِي أنِّي أرُدُّ ذَلِكِ عليهم، فأقُولُ: وعلَيْكُمْ" [٢٥٧].

٢٥٦ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٦٤٠١.

الرِّفقُ بالنَّاسِ واللِّينُ معهم مِن جَواهِرِ عُقودِ الأخلاقِ الإسلاميَّةِ، وهي مِن صِفاتِ الكَمالِ، واللهُ سُبحانَه وتَعالى رفيقٌ، يُحِبُّ مِن عِبادِه الرِّفقَ. وفي هذا الحديثِ تُخبِرُ أُمُّ المُؤمِنينَ عائِشَةُ رضِيَ اللهُ عنها -كما في روايةِ الصَّحيحِ-: "أنَّ اليهودَ أَتَوُا النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقالوا: السامُ عليك"، أي: يُوهِمون النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ومَن معه أنَّهم يُلْقون عليهم تَحيَّةَ الإسلامِ، والحقيقةُ أنَّهم يَدْعون عليهم، والسامُ: الموتُ والهَلَكةُ، فرَدَّ عليهم النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وقال: "وعليكم"، أي: أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قد فَطِنَ لقَولِهم وكان معنى جوابِه: وعليكم مِثْلُ ما قُلتُم من الدُّعاءِ، فقالت عائِشَةُ رضِيَ اللهُ عنها: "السامُ عليكم، ولَعَنكم اللهُ وغَضِبَ عليكم"، أي: رَدَّتْ عائِشَةُ بِمِثلِ لَفظِهم وكَلامِهم، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "مَهلًا، يا عائِشَةُ عليك بالرِّفقِ"، أي: تمهَّلي واصْبِري وترَفَّقي في الأمْرِ، "وإياكِ والعُنفَ والفُحشَ"، أي: يُحَذِّرُها النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من التَّعدِّي عليهم بمِثلِ قَولِهم، والعُنفُ: الشِّدَّةُ عندَ الأخْذِ والرَّدِّ، ويُقصَدُ بالفُحشِ: التَّعدِّي في القولِ والجوابِ، لا الفُحشُ الَّذي هو مِن رَديءِ الكلامِ، وفي روايةٍ للبُخاريِّ: "إنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفقَ في الأمْرِ كُلِّه"، أي: يُحِبُّ أنْ يتَّصِفَ عبدُه بلِينِ الجانبِ والأَخذِ بالسَّهلِ؛ فلا يكونُ فَظًّا ولا غليظًا، فالرِّفقُ تتأتَّى به الأغراضُ، وتسهُلُ به المقاصِدُ ما لا تتأتَّى وتسهُلُ بغيرِه، قالت عائِشَةُ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "أَوَلَمْ تسمَعْ ما قالوا؟"، أي: تُنبِّهُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لقَولِهم، فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أَوَلَمْ تَسمَعي ما قُلتُ؟" إشارةٌ إلى قولِه المُتقدِّمِ: (وعليكم) "رَدَدتُ عليهم"، أي: هذا كان رَدِّي عليهم، والفَرقُ بين رَدِّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ورَدِّ عائِشَةَ أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم جَزاهم على قدْرِ فَعلَتِهم دون أنْ يفحُشَ في القَولِ، وأمَّا عائِشَةُ رضِيَ اللهُ عنها فقد زادتْ في المعنى، وتعَدَّتْ وجَعَلتِ الغِلظَةَ هي السَّبيلُ في الرَّدِّ، "فيُستجابُ لي فيهم، ولا يُستجابُ لهم فيَّ"؛ فأوضَحَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّ اللهَ لا يَستجيبُ لهم في المُسلِمينَ إذا دعا اليهودُ عليهم، وأنَّه يَستَجيبُ للمُسلِمينَ فيهم إذا دَعَوْا على اليهودِ. {وفي الحديثِ: بيانُ تحايُلِ اليَهودِ وتَغْييرِهم في الكَلامِ بما يوهِمُ المعنى المقصودَ وعكْسَه. وفيه: مُجازاةُ المُعْتَدي بمِثلِ اعتِدائِه في القَولِ أو الفِعلِ، ومُعامَلَتُه بمِثلِ حيلَتِه}.

٢٥٧ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٦٣٩٥.

١٠. إنَّ اللهَ يحبُّ الغَنيَّ الحليمَ المُتَعفف: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "لا يُؤمنُ عبدٌ حتّى يأمنَ جارُهُ بوائِقَهُ، ومنْ كان يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ؛ فلْيُكرِمْ ضَيفَهُ، ومنْ كان يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلْيقلْ خيرًا أو ليسكُتْ، إنَّ اللهَ يحبُّ الغَنيَّ الحليمَ المُتَعفف، ويبغضُ البذيءَ الفاجرَ السّائلَ الملحَ" [٢٥٨].

١١. إنَّ اللهَ يُحِبُّ الحياءَ، والسِتْرَ: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنّ اللهَ ستيرٌ يحبُ الستر" [٢٥٩]، وفي رواية: أنّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ رأى رجلًا

٢٥٨ حديثٌ صحيحٌ لغيره: قال عنه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ: صحيح لغيره، في صحيح الترغيب ٨١٩.

أوْصى النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أُمَّتَه بمكارِمِ الأخلاقِ والبُعدِ عنِ الرَّذائلِ والسَّفاسفِ، ومِن ذلك ما جاءَ في هذا الحَديثِ؛ حَيثُ يَروِي أبو هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قال: «لا يُؤمِنُ عَبْدٌ حتّى يأمَنَ جارُه بوائقَهُ»، البَوائقُ: جَمْعُ بائقةٍ، وهي الغائلةُ، والدّاهيةُ، والفَتْكُ، والشُّرورُ، والمُرادُ: أنَّ المُؤمِنَ لا يَبلُغُ الإيمانَ الكاملَ حتّى يمنَعَ أذاهُ وضرَرَهُ عن جارِه، «ومَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ»، أي: مَن كان يُؤمِنُ باللهِ الَّذي خَلَقَهُ إيمانًا كامِلًا اعتقادًا وعملًا، وذلك بأنْ يَشهَدَ أنَّه لا إله إلّا اللهُ، وأنَّ مُحمدًا رسولُ اللهِ، ويلتزمَ بأركانِ الإيمانِ ومَجموعِ خِصالِه مِن القولِ والعَملِ، ويُؤمِنُ باليومِ الآخِرِ الَّذي إليهِ مَعادُه، وفيه مُجازاتُه بعَمَلِه، وذلك يَتضمَّنُ: الإيمانَ بوُقوعِه، وأنَّ اللهَ تعالى يَبعَثُ مَن في القُبورِ، والإيمانَ بما ذُكِرَ في اليومِ الآخِرِ من الحَوضِ والشَّفاعةِ، والصِّراطِ، والجنَّةِ والنارِ، وأنَّ الناسَ يُحشَرونَ يومَ القِيامةِ حُفاةً عُراةً غُرلًا وغير ذلك. والمقصودُ بهذه الصِّيغةِ: الحثُّ والإغراءُ على التزامِ الأمرِ أو النَّهيِ الآتي في الحديثِ، وهو قولُه: «فلْيُكرِمْ ضَيفَه»، وإكرامُ الضَّيفِ يكونُ بطَلاقةِ الوجْهِ، وطِيبِ الكَلامِ، والإطعامِ ثَلاثةَ أيّامٍ، بما حَضرَهُ مِن غَيرِ تَكلُّفٍ؛ لئلّا يُثقِلَ عليه وعلى نفْسِه، وبعدَ الثلاثةِ يُعَدُّ مِن الصَّدقةِ. «ومَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ، فلْيَقُلْ خيرًا أو لِيَسكُتْ»، يعني: إذا أراد أنْ يَتكلَّمَ فَلْيتفكَّرْ قَبلَ كلامِه؛ فإنْ علِمَ أنَّه لا يترتَّبُ عليه مَفسدةٌ، ولا يجُرُّ إلى مُحرَّمٍ ولا مَكروهٍ، فَلْيتكلَّمْ، وإنْ كان مُباحًا فالسَّلامةُ في السُّكوتِ؛ لئلّا يجُرَّ المباحُ إلى مُحرَّمٍ أو مكروهٍ. ثم قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ الغَنِيَّ»، والمُرادُ به غَنِيُّ النَّفْسِ، «الحَليمَ»، أي: العاقِلَ، «المُتعفِّفَ»، أي: الَّذي لا يَطلُبُ حَرامًا، ولا يَسأَلُ النّاسَ حاجتَهُ، «ويُبغِضُ البذيءَ الفاجرَ»، أي: الَّذي لا حَياءَ له، أو فاحِشَ القَولِ وبَذيءَ اللِّسانِ، «السّائلَ المُلِحَّ»، أي: الَّذي يُلِحُّ في سُؤالِه النّاسَ، سواءٌ أُعطِيَ أو لم يُعْطَ. {وفي الحديثِ: الحثُّ على إكرامِ الضَّيفِ، وعلى التعفُّفِ والحِلمِ. وفيه: التحذيرُ من الفُحشِ والبَذاءةِ. وفيه: إثباتُ صِفةِ المحبَّةِ والبغضِ للهِ تعالى}.

٢٥٩ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ في إرواء الغليل ٢٣٣٥.

يَغْتَسِلُ بالبَرازِ، فصَعِدَ المنبرَ، فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، وقال: "إن اللهَ عزَّ وجلَّ حليمٌ حييٌّ، سِتّيرٌ، يُحِبُّ الحياءَ، والسِتْرَ، فإذا اغتسَلَ أحدُكم فلْيَسْتَتِرْ" [٢٦٠].

١٢. إنَّ اللهَ يُحِبُّ العَفوَ: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "قولي: اللهمَّ إنَّك عفوٌ تُحبُّ العفو فاعْفُ عني" [٢٦١]، قال رَسولُ

٢٦٠ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح النسائي ٤٠٤.

الحياءُ خُلُقُ الإسلامِ، وكان النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يُعلِّمُ أمَّتَه الحياءَ، ويُبعِدُهم عن عاداتِ الجاهليَّةِ الَّتي ليس فيها تبذُّلٌ وعدمُ تحرُّجٍ، وأنَّه ينبغي البُعدُ عن النّاسِ والتَّستُّرَ والتَّحرُّزَ عندَ كَشفِ العورةِ. وفي هذا الحديثِ يَحكي يَعْلى بنُ أميَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنه: «أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ رأى رجلًا يَغتسِلُ بالبَرازِ»، أي: إنَّه يَقِفُ عُريانًا مكشوفًا، والبَرازُ: أماكنُ قَضاءِ الحاجةِ، والمرادُ به: الفضاءُ والأماكنُ الواسعةُ الَّتي لا يُوجَدُ بها أحدٌ، «فصَعِد المنبَرَ»، أي: يَخطُبُ في النّاسِ، «فحَمِد اللهَ وأثنى عليه، وقال: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ حليمٌ»، أي: مِن صفاتِه الحِلْمُ، وهو: الصَّفحُ وعدمُ المعاجَلةِ بالعقوبةِ، «حَيِيٌّ» مِن الحياءِ، «سَتِيرٌ»، أي: يَسْتُرُ العيوبَ والفضائحَ، «يُحِبُّ الحياءَ»، أي: يُحِبُّ مِن عبدِه أن يتَّصِفَ بالحياءِ، وهو: صِفةُ مدحٍ في النَّفسِ، تَحمِلُ صاحِبَها على فِعلِ كلِّ خيرٍ كان، وتَرْكِ ما يُذَمُّ ويُعابُ، وهو خُلُقٌ يَمنَحُه اللهُ تعالى للعَبدِ، يَمنَعُه مِن ارتكابِ القبائحِ والرَّذائلِ، ويَدفَعُه على فِعلِ الفَضائلِ، «والسَّتْرَ»، أي: ويُحِبُّ اللهُ عزَّ وجلَّ أنْ يَستُرَ العَبدُ على نفْسِه مَعايِبَه ومَعايِبَ أخيه المسلمِ، «فإذا اغتسَل أحَدُكم»، أي: أراد أنْ يَغتسِلَ ويَكشِفَ عورتَه، «فَلْيَستتِرْ»، أي: يجعَلْ بينَه وبين أعيُنِ النّاسِ حائِلًا يَمنَعُهم مِن الاطِّلاعِ على عَورتِه. {وفي الحديثِ: إثباتُ صِفةِ الحِلمِ والحَياءِ والسَّترِ للهِ عزَّ وجلَّ بما يَليقُ بذاتِه وجَلالِه، في غَيرِ مُشابَهةٍ للعبادِ، والتَّحلِّي بصِفَتَي الحَياءِ والسَّترِ. وفيه: الحَثُّ على الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكَرِ باللِّسانِ}.

٢٦١ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٤٤٢٣؛ أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠) باختلاف يسير، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٧١٢)، وأحمد (٢٥٤٩٥) واللفظ لهما.

مِن عظيمِ مِنَنِ اللهِ تعالى على أُمَّةِ محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أنْ جعَلَ لها في أيّامِ دَهْرِها نَفحاتٍ؛ لِيَتعرَّضوا لها، ولِيَفوزوا فيها بعطايا مِن اللهِ؛ لأنَّ الأمَّةَ أعمارُها قَصيرةٌ، وآجالُها مَحدودةٌ، ومِن تلك النَّفَحاتِ الجليلاتِ ليلةُ القدْرِ التي هي خيرٌ مِن ألْفِ شَهرٍ، كما أخبَرَ اللهُ تعالى في كتابِه. وفي هذا الحديثِ أنَّ عائشةَ رضِيَ اللهُ عنها سألَتْ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ عن لَيلةِ القَدْرِ، فقالتْ: «إنْ وافَقْتُها»، أي: إنْ أدرَكْتُ ليلةَ القدْرِ، كما في رِوايةِ التِّرمذيِّ وابنِ ماجه، ولَيلةُ القَدْرِ في العشْرِ الأواخِرِ مِن شَهرِ رمضانَ، وتكونُ في اللَّيالي الوِتريَّةِ، وتُعرَفُ لمَن أحْياها وأقامَها بعلاماتِها؛ ومنها: أنَّها ليلةٌ صافيةٌ، لا حارَّةٌ ولا باردةٌ، وتَطلُعُ الشَّمسُ عقِبَها لا شُعاعَ

اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ تعالى عفوٌّ يُحِبُّ العَفوَ" [٢٦٢].

١٣. إنَّ اللهَ يُحِبُّ الوِتْرَ: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ وترٌ، يحبُّ الوترُ" [٢٦٣]، وعن عليٍّ رضي الله عنه، قال الوِتْرُ ليس بِحَتْمٍ كصلاتِكم المكتوبةِ ولكنْ سَنَّ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وقالَ: "إنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ، فأَوْتِرُوا يا أهلَ القُرآنِ" [٢٦٤].

لها مُنتشرَ في الآفاقِ، وسُمِّيَت بذلك؛ لعِظَمِ قَدْرِها؛ لنُزولِ القرآنِ والملائكةِ فيها، وقيل: لأنَّ الذي يُحْيِيها يكونُ له قَدْرٌ بذلك، وقيل: القدْرُ مأخوذٌ مِن التَّضييقِ، والذي يُرادُ هنا إخفاءُ يَومِها عن الناسِ، وقيل: لتَقديرِ أفعالِ السَّنةِ بها؛ فتُكتَبُ فيها أقدارُ تلك السَّنةِ، ويَحتمِلُ أنْ يكونَ اللَّفظُ مأخوذًا مِن بعضِ تلك المعاني أو كلِّها، «فبِمَ أدْعو؟» أي: ما يَفضُلُ مِن الدُّعاءِ في تلك اللَّيلةِ؟ فأرشَدَها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ إلى أفضَلِ أنواعِ الدُّعاءِ في تلك اللَّيلةِ، وهو: «اللَّهمَّ إنَّك عفُوٌّ»، والعفْوُ هو التَّجاوُزُ عن السَّيِّئاتِ، «تُحِبُّ العفْوَ»، أي: تُحِبُّ ظُهورَ هذه الصِّفةِ، «فاعْفُ عنِّي»، أي: تجاوَزْ عنِّي واصفَحْ عن زَلَلي؛ فإنِّي كثيرُ التَّقصيرِ، وأنت أَولى بالعفْوِ الكثيرِ، وعفْوُ اللهِ تعالى يكونُ في الدُّنيا والآخرةِ، وهذا مِن آدابِ الدُّعاءِ؛ أنْ يُثنِيَ العبدُ على ربِّه سُبحانَه بصِفةٍ تُناسِبُ طَلَبَه، وهذا الدُّعاءُ مِن جوامعِ الكلِمِ، ومَن دَعا به حاز خَيرَيِ الدُّنيا والآخرةِ. {وفي الحديثِ: إثباتُ صِفَةِ العفْوِ والمَحبَّةِ للهِ تعالى كما يَليقُ بجَلالِه. وفيه: الحثُّ على الدَّعواتِ المباركاتِ لا سيَّما في الأوقاتِ الفاضلاتِ. وفيه: بيانٌ لحِرْصِ عائشةَ رضِيَ اللهُ عنها على التَّعلُّمِ مِن هَدْيِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، وعلى مَعرفةِ أبوابِ الخيرِ}.

٢٦٢ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٧٧٩.

٢٦٣ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ٥٩٥.

٢٦٤ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي سنن الترمذي ٤٥٣.

الوِترُ هو آخِرُ صلاةٍ يُصلِّيها المسلِمُ بعدَ التَّنفُّلِ في صَلاةِ اللَّيلِ، ويكونُ برَكَعاتٍ فَرديَّةِ العدَدِ؛ فيَصِحُّ بركعةٍ أو ثلاثٍ وخَمسٍ، وهكذا. وفي هذا الحديثِ يقولُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عنه: «الوِترُ ليس بحَتْمٍ»، أي: صلاةُ الوترِ ليسَتْ بفَرْضٍ واجبٍ، «كصَلاتِكم المكتوبةِ»، أي: بمِثلِ فَرضيَّةِ الصَّلَواتِ الخمسِ، «ولكن سَنَّ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ»، أي: ولكنَّها سُنَّةٌ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، وقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ وِترٌ»، أي: فَردٌ واحدٌ في ذاتِه، «يُحِبُّ الوترَ»، أي: يُحِبُّ مِن عَبدِه أن يُوتِرَ في الصَّلاةِ، فيُثيبَه ويَأجُرَه عليها؛ «فأوتِروا يا أهلَ القرآنِ»، أي: يعني: المؤمنين المصدِّقين به، والمعتَنِين بحِفْظِه وتِلاوتِه، وقد يُرادُ بالوترِ في هذا الحَديثِ قيامُ اللَّيلِ، فإنَّ الوِترَ يُطلَقُ عليه؛ فلذا خَصَّ الخِطابَ بأهلِ القرآنِ تأكيدًا،

١٤. إنَّ اللهَ يحبُّ الغَيْرةَ في رِيبةٍ، والخُيَلاءَ {أنْ يتَخَيَّلَ العَبدُ بنَفْسِه للهِ} عِندَ القِتالِ، وبالصَّدَقةِ: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ مِن الغَيْرةِ ما يُحِبُّ اللهُ، ومنها ما يُبغِضُ اللهُ، ومِن الخُيَلاءِ ما يُحِبُّ اللهُ، ومنها ما يُبغِضُ اللهُ، فأمّا الغَيْرةُ التي يُحِبُّ اللهُ؛ فالغَيْرةُ في رِيبةٍ، وأمّا التي يُبغِضُ اللهُ، فالغَيْرةُ في غَيرِ الرِّيبةِ، وأمّا الخُيَلاءُ التي يُحِبُّ اللهُ أنْ يتَخَيَّلَ العَبدُ بنَفْسِه للهِ عِندَ القِتالِ، وأنْ يتَخَيَّلَ بالصَّدَقةِ" [٢٦٥]، وقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "أنَّ من الغيرةِ ما يُحبّ اللهُ ومن الغِيْرةِ ما يُبغضُ اللهُ ومن الخُيلاءِ ما يحبُ اللهُ ومنها ما يُبغضُ اللهُ فأما الغيرةُ التي يحبُ اللهُ فالغيرةُ على الرّيبةِ. وأما الغِيرةُ التي يُبغضُ اللهُ فالغيرةُ في غيرِ الريبةِ" [٢٦٦]، وفي رواية: "منَ الغَيرةِ ما يحبُّ اللَّهُ ومِنها ما يُبغِضُ اللَّهُ، فأمّا الَّتي يحبُّها اللَّهُ فالغيرةُ في الرِّيبةِ، وأمّا الغيرةُ الَّتي يُبغِضُها اللَّهُ فالغَيرةُ في غيرِ ريبةٍ، وإنَّ منَ الخُيَلاءِ ما يُبغضُ اللَّهُ، ومنها ما يحبُّ اللَّهُ، فأمّا الخيلاءُ الَّتي يحبُّ اللَّهُ فاختيالُ الرَّجلِ نفسَهُ عندَ القتالِ، واختيالُهُ عندَ الصَّدَقةِ، وأمّا الَّتي يبغضُ اللَّهُ فاختيالُهُ في البغيِ والفخرِ" [٢٦٧].

على أنَّ الأَوْلى لهم صَلاتُه وعدَمُ تركِه، وقد قيل غَيرُ ذلك؛ بأنَّ تَخصيصَه أهلَ القُرآنِ بالأمرِ فيه يدُلُّ على أنَّ الوترَ غيرُ واجبٍ على الجَميعِ، ولو كان واجبًا لكان عامًّا، وأهلُ القُرآنِ في عُرْفِ النّاسِ هم القُرّاءُ والحُفّاظُ، دونَ العوامِّ، ويدُلُّ على ذلك أيضًا قولُ ابنِ مسعودٍ للأعرابيِّ في رِوايةٍ أخرى لَمّا سأَله عمّا يقولُه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ في الوترِ: «ليس لك ولا لأصحابِك» وقولُ عليٍّ رضِيَ اللهُ عنه: «الوِترُ ليس بحَتمٍ».

٢٦٥ حديثٌ حسنٌ لغيره: قال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، في تخريج المسند ٢٣٧٤٧؛ أخرجه أبو داود (٢٦٥٩)، والنسائي (٢٥٥٨)، وأحمد (٢٣٧٤٧) واللفظ له.

٢٦٦ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ في إرواء الغليل ١٩٩٩.

٢٦٧ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ في صحيح أبي داود ٢٦٥٩.

بيَّن النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ لنا كلَّ ما يُشكِل علينا في أحكامِ دِينِنا، وأوضَح لنا أنَّ بعضَ الأُمورِ يَختلِف حُكمُها باختلافِ الأحوالِ والظُّروفِ، ومِن ذلك: الغَيْرَةُ، والخُيَلاءُ. وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «مِنَ الغَيْرَةِ»، أي: الحَمِيَّةُ والأَنَفَةُ «ما يُحِبُّ اللهُ، ومِنها ما يُبغِضُ اللهُ»، أي: هي نوعان: فمنها

١٥. إنَّ اللهَ يُحِبُّ العامِلَ إذا عَمِلَ عملًا أنْ يُحْسِنَه ويُتقِنَهُ: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "يُحِبُّ اللهُ العامِلَ إذا عَمِلَ أن يُحْسِنَ" [٢٦٨]، وقال صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ منَ العامِلِ إذا عَمِلَ أن يُحْسنَ" [٢٦٩]، وقال صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكمْ عملًا أنْ يُتقِنَهُ" [٢٧٠].

١٦. أَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ: الإيمانُ باللهِ، وصِلَةُ الرَّحِمِ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكرِ، والصَّلاةُ علَى وقْتِها، وبرُّ الوالِدَيْنِ، والجِهادُ في سَبيلِ اللَّهِ، وأنْ تَمُوتَ ولسانُكَ رَطْبٌ من ذكرِ اللهِ، والعمل الصالح في العشر الأول من ذي الحجة، وأَحَبُّ الصيامِ إلى اللهِ صيامُ داودَ، وأحبُّ الصلاةِ إلى اللهِ صلاةُ داودَ، وأحَبُّ الأعْمالِ إلى اللهِ تَعالى أدْوَمُها، وإنْ قَلَّ، وأحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنّاسِ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلمٍ، أوْ يكْشِفُ عنهُ

الحَسَنُ الَّذِي يُحِبُّه اللهُ، ومنها القَبِيح الَّذِي يُبغِضُه اللهُ، «فأمّا الَّتِي يُحِبُّها اللهُ فالغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ»، أي: يَغارُ الرَّجُلُ إذا رأى مِن مَحارِمِه أو غيرِهم فِعلًا مُحرَّمًا، فيَنزعِجُ مِن ذلك، ويَمنَعُهم منه، «وأمّا الغَيْرَةُ الَّتِي يُبغِضُها اللهُ فالغَيْرَةُ فِي غيرِ رِيبَةٍ» كأَنْ يَغارُ الرجلُ إذا رأى أُمَّه تزوَّجَتْ أو غيرَ ذلك ممّا هو حلال، فيَنزعِج مِن ذلك، ويُرِيدُ مَنْعَه، «وإنَّ مِن الخُيَلاءِ»، أي: التكبُّرِ والفَخْرِ «ما يُبغِضُ اللهُ، ومنها ما يُحِبُّ اللهُ»، أي: هي نوعان: مِنها الحَسَنُ الَّذِي يُحِبُّه اللهُ، ومنها القَبِيحُ الَّذِي يُبغِضُه اللهُ، «فأمّا الخُيَلاءُ الَّتِي يُحِبُّ اللهُ فاختِيالُ الرَّجُلِ بنفسِه عندَ القِتالِ»، أي: التَّبختُرُ والزَّهوُ عندَ مُلاقاةِ العَدُوِّ لإغاظتِهم وإخافتِهم وتثبيطِهم، «واختيالُه عندَ الصَّدَقةِ»، أي: يَفرَحُ بما يُعْطِيهِ لِلفَقيرِ مِنَ الصَّدقاتِ، والخُيلاءُ في الصَّدَقةِ أنْ تَهزَّهُ الأَرْيَحِيَّةُ والسَّخاءُ فَيُعطِيها طَيِّبةً بِها نفْسُه، فَلا يَستكْثِرُ كثيرًا ولا يُعطِي مِنها شَيئًا إلّا وهو يَحْسَبُه قَليلًا، «وأمّا الَّتِي يُبغِض اللهُ فاختيالُه في البَغْيِ»، أي: يمجِّد نفسَه بظُلمِه غيرَه بأخذِ مالِه وغيرِ ذلك، «والفَخْرُ»، أي: أن يَذكُرَ المرءُ مِن صفاتِه ونَسَبِه ومالِه ونحوِ ذلك لِمُجرَّدِ الفَخرِ أمامَ النّاسِ. {وفي الحَدِيثِ: تربيةٌ نبويَّةٌ عظيمةٌ بوضعِ الأُمورِ في نِصابِها، والتصرُّفِ في كلِّ موقفٍ بما يُلائِمُه}.

٢٦٨ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٨٠٣٧.

٢٦٩ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٨٩١.

٢٧٠ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٨٨٠.

كُرْبَةً، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا، وأَحَبُّ البِلادِ إلى اللهِ مَساجِدُها، وأحبَّ الأسماءِ إلى اللهِ: عبدُ اللهِ، وعبدُ الرحمنِ، وأحَبُّ الطعامِ إلى اللهِ ما كَثُرَتْ عليه الأيْدِي، وأَحَبُّ العملِ إلى اللهِ تعالى الحالُّ المُرْتَحِلُ: فعن رجل من خثعم: قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أيُّ الأعمالِ أَحَبُّ إلى اللهِ؟ قال: "الإيمانُ باللهِ" قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! ثم مَهْ؟ قال: "ثم صِلَةُ الرَّحِمِ" قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! ثم مَهْ؟ قال: "ثم الأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكرِ" قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أيُّ الأعمالِ أبغضُ إلى اللهِ؟ قال: "الإشراكُ باللهِ" قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! ثم مَهْ؟ قال: "ثم قطيعةُ الرَّحِمِ" قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! ثم مَه؟ قال: "ثم الأمرُ بالمنكرِ، والنهيُ عن المعروفِ" [٢٧١]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: سَأَلْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللَّهِ؟ قالَ: "الصَّلاةُ علَى وقْتِها"، قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: "ثُمَّ برُّ الوالِدَيْنِ"، قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: "الجِهادُ في سَبيلِ اللَّهِ"، قالَ: حدَّثَني بهِنَّ، ولَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزادَنِي. [٢٧٢]، وعـــن

٢٧١ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ٢٥٢٢؛ أخرجه أبو يعلى (٦٨٣٩)، وفي رواية: "أَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ إيمانٌ باللهِ، ثم صِلَةُ الرَّحِمِ، ثم الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المنكرِ. وأبغضُ الأعمالِ إلى اللهِ الإشراكُ باللهِ ثم قطيعةُ الرَّحِمِ" [حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٦٦؛ أخرجه أبو يعلى (٦٨٣٩)].

٢٧٢ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٥٢٧.

كان الصَّحابَةُ رَضيَ اللهُ عنه -لِحِرصِهم على ما يُقَرِّبُ مِن رِضا اللهِ عَزَّ وجلَّ- كَثيرًا ما يَسألونَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن أفضَلِ الأعمالِ، وأكثَرِها قُربةً إلى اللهِ تَعالى، فكانتْ إجاباتُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ تَختَلِفُ باختِلافِ أشخاصِهم وأحوالِهم، وما هو أكثَرُ نَفعًا لِكُلِّ واحِدٍ منهم. وفي هذا الحَديثِ يَسأَلُ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللهِ؟ فأجابَه النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بأنَّ أحَبَّ الأعمالِ إلى اللهِ تعالَى المَرضِيَّةِ لَدَيْه الصَّلاةُ في أوَّلِ وَقتِها، وذلك بأنْ يُحافِظَ المُسلِمُ على أدائِها بَعدَ سَماعِه الأذانَ، وذِكْرُ الأفضليَّةِ هنا لِلحَضِّ والحَثِّ على الإسراعِ إلى الصَّلاةِ، وعَدَمِ التَّكاسُلِ والتَّأخيرِ في أدائِها، ولِأنَّ في أدائِها في أوَّلِ الوَقتِ دَليلًا على الحِرصِ عليها، وعلى أنَّ المُسلِمَ يَعرِفُ حَقَّ اللهِ، ويُحافِظُ عليه، ويُؤدِّيه

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "ما مِن أيّامٍ العملُ الصّالحُ فيها أحبُّ إلى اللَّهِ من هذِهِ الأيّام [يعني أيّامَ العشرِ]"، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، ولا الجِهادُ في سبيلِ اللَّهِ؟ قالَ: "ولا الجِهادُ في سبيلِ اللَّهِ، إلّا رَجلٌ خرجَ بنفسِهِ ومالِهِ، فلم يرجِعْ من ذلِكَ بشيءٍ" [٢٧٣]، وعن معاذ بن جبل رضي الله

إذا وَجَبَ عليه في وَقتِه، دُونَ تَأْجيلٍ أو تَسويفٍ، ولا يَدخُلُ فيمَن قال اللهُ تعالَى فيهم: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون: ٤، ٥] وهُمُ الذين يُؤَخِّرونَ الصَّلاةَ عن وَقتِها، أو حتى يَخرُجَ وَقتُها. ثم سَأَلَه ابنُ مَسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللهِ تعالَى بَعدَ الصَّلاةِ؟ فأخبَرَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّه بِرُّ الوالِدَيْنِ؛ بالإحسانِ إليهما، والقِيامِ بخِدمَتِهما، وتَركِ عُقُوقِهما. ولَمَّا كان ابنُ مَسعودٍ له أُمٌّ؛ احتاجَ إلى ذِكْرِ بِرِّ والِدَيْه بَعدَ الصَّلاةِ؛ لِأنَّ الصَّلاةَ حَقُّ اللهِ، وحَقُّ الوالِدَيْنِ يَأتي بَعدَ حَقِّ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، كما قال تَعالى: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان: ١٤]. ثم سَأَلَ ابنُ مَسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللهِ تعالَى بَعدَ بِرِّ الوالِدَيْنِ؟ فأخبَرَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّه الجِهادُ في سَبيلِ اللهِ؛ لِإعلاءِ كَلِمةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وإظهارِ شَعائِرِ الإسلامِ بالنَّفْسِ والمالِ.والمَقصودُ: أنَّ أفضَلَ الأعمالِ القِيامُ بحُقوقِ اللهِ التي فَرَضَها على عِبادِه فَرْضًا، وأفضَلُها: الصَّلاةُ لِوَقتِها، ثم القِيامُ بحُقوقِ عِبادِه، وآكَدُها بِرُّ الوالِدَيْنِ، وذِروةُ سَنامِ العَمَلِ هو الجِهادُ في سَبيلِ اللهِ. والحِكمةُ في تَخصيصِ هذه الأشياءِ الثلاثةِ بالذِّكرِ «الصَّلاةِ على وَقتِها، وبِرِّ الوالِدَيْنِ، والجِهادِ»؛ قيل: لأنَّ هذه الثلاثةَ أفضَلُ الأعمالِ بَعدَ الإيمانِ، فمَن ضَيَّعَ الصَّلاةَ -التي هي عِمادُ الدِّينِ، مع العِلمِ بفَضيلَتِها- كان لِغَيرِها مِن أمْرِ الدِّينِ أشَدَّ تَضييعًا، وأشَدَّ تَهاوُنًا واستِخفافًا، وكذا مَن تَرَكَ بِرَّ والِدَيْه فهو لِغَيرِ ذلك مِن حُقوقِ الناسِ أشَدُّ تَرْكًا، وكَذا الجِهادُ في سَبيلِ اللهِ؛ مَن تَرَكَه -مع قُدرَتِه عليه عِندَ تَعَيُّنِه عليه- فهو لِغَيرِ ذلك مِنَ الأعمالِ التي يُتَقَرَّبُ بها إلى اللهِ تعالَى أشَدُّ تَرْكًا. ثمَّ أخبَرَ ابنُ مَسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه أنَّه لَوِ استَزادَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وطَلَبَ منه أنْ يَذكُرَ أعمالًا أكثَرَ مِن ذلك، ما امتَنَعَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ يُخبِرَه بأفضَلِ الأعمالِ. {وفي الحَديثِ: بَيانُ حِرصِ الصَّحابةِ وابنِ مَسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه على طَلَبِ المَعالي مِنَ الأعمالِ.وفيه: الحَثُّ على الصَّلاةِ في أوَّلِ وَقتِها، وعلى بِرِّ الوالِدَيْنِ، وعلى الجِهادِ في سَبيلِ اللهِ تعالَى}.

٢٧٣ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح أبي داود ٢٤٣٨، وفي رواية للإمام البخاري: "ما العَمَلُ في أيّامٍ أفْضَلَ منها في هذه"، قالوا: ولا الجِهادُ؟ قالَ: "ولا الجِهادُ، إلّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخاطِرُ بنَفْسِه ومالِه، فلَمْ يَرْجِعْ بشَيءٍ" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٩٦٩].

مِن رَحمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ بعِبادِه أنْ مَنَّ عليهم بأيامٍ مُبارَكةٍ، يُضاعِفُ لهم فيها الأجرَ، ويُعطي فيها جَزيلَ الثَّوابِ؛ رَحمةً منه وكرَمًا، ومنها: الأيامُ العَشرُ الأُوَلُ مِن ذي الحِجَّةِ. وفي هذا الحَديثِ يُرشِدُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ

عنه، قال: قُلْتُ أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى اللهِ قال: "أنْ تَمُوتَ ولسانُكَ رَطْبٌ من ذكرِ اللهِ" [٢٧٤]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "أَحَبُّ الصيامِ إلى اللهِ صيامُ داودَ، وكان يصوم يومًا، ويفطر يومًا، وأحبُّ الصلاةِ إلى اللهِ صلاةُ داودَ، كان ينام نصفَ الليلِ، ويقومُ ثُلُثَه، وينامُ سُدَسَه" [٢٧٥]،

إلى فَضْلِ العملِ الصّالحِ في العَشْرِ الأوائلِ مِن ذي الحِجَّةِ، ويُبيّنُ أنَّ أجْرَ العَملِ الصّالحِ فيها يَتضاعَفُ ما لا يَتضاعَفُ في سائرِ الأيّامِ؛ فعلى المُسلِمِ أنْ يَغتَنِمَها ويُكثِرَ فيها الطاعاتِ، ومِن أجَلِّ الطاعاتِ فيها ذِكرُ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأعظمُ الذِّكرِ قِراءةُ القُرآنِ، والتَّكبيرُ والتَّهليلُ والتَّحميدُ، وفي مُسنَدِ أحمدَ وغيرِه: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: «ما مِن أيّامٍ أعظمُ عِندَ اللهِ ولا أحَبُّ إليه مِن العَملِ فيهنَّ مِن هذه الأيّامِ العَشرِ؛ فأَكْثِروا فيهِنَّ مِن التَّهليلِ، والتَّكبيرِ، والتَّحْميد». ويَشملُ العَملُ الصالحُ الفَرائضَ والواجِباتِ وكلَّ أعْمالِ البِرِّ والمَعروفِ وأعمالَ التَّطوُّعِ مِن العِباداتِ؛ مِن صَلاةٍ وصَدَقةٍ وصِيامٍ وبالأخصِّ صِيامُ يومِ عَرفةَ؛ فكلُّ ما فُعِلَ مِن فرْضٍ في العَشرِ فهو أفْضلُ مِن فرْضٍ فُعِلَ في غيرِه، وكذا النَّفْلُ في العَشرِ أفضلُ مِن النَّفْلِ في غيرِها، كما يَشمَلُ أيضًا ترْكَ المنهيّاتِ والمنكَراتِ؛ فمَنْ ترَكَ المعصيةَ في هذه الأيّامِ فلا شكَّ أنَّ أجْرَه أفضلُ مِن تَرْكِه للمَعصيةِ في غيرِها. فسَأَلَ الصَّحابةُ رَضيَ اللهُ عنهم النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن الجِهادِ في غَيرِ هذه الأيّامِ العَشْرِ؛ هلِ العَملُ الصّالحُ فيها يَفضُلُه أيضًا؟ وإنَّما اختصَّ سُؤالُهم عن الجِهادِ لِما تقرَّرَ عِندَهم أنَّه مِن أفضلِ الأعمالِ؛ ولذلِك وُزِنَ به أيّامُ ذِي الحِجَّةِ، فأجاب النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: نَعَم؛ يَفضُلُ العَمَلُ الصّالحُ في هذِه الأيّامِ الجِهادَ في غَيرِها، إلّا رجُلٌ خرَجَ مُخاطِرًا بنفْسِه ومالِه في سَبيلِ اللهِ، فقَدَ مالَه وفاضَتْ رُوحُه في سَبيلِ اللهِ؛ فهذا الجِهادُ بهذه الصُّورةِ هو الذي يَفضُلُ على العَملِ الصالحِ في هذه الأيّامِ المبارَكاتِ، وهذا بَيانٌ لفَخامةِ جِهادِه، وتَعظيمٌ له بأنَّه قد بَلَغَ مَبلَغًا لا يَكادُ يَتفاوَتُ بشَرَفِ الأيّامِ والأزمانِ وعَدَمِ شَرَفِها. وظاهِرُ هذا الحَديثِ أنَّ هذه العَشَرةَ أفضَلُ مِن العَشرِ الأواخِرِ مِن رَمضانَ. وقيل: إنَّ عَشْرَ ذي الحِجَّةِ هي الأفضلُ أيّامًا، وعشْرَ رَمَضانَ هي أفضَلُ لَيالِيَ؛ لوُجودِ لَيلةِ القَدْرِ فيها. {وفي الحديثِ: بَيانُ عِظَمِ فضْلِ العَشْرِ الأوائلِ مِن ذي الحِجَّةِ على غَيرِها مِن أيّامِ السَّنةِ. وفيه: تَعظيمُ أمْرِ الشَّهادةِ في سَبيلِ اللهِ وبذْلِ النَّفسِ والمالِ معًا، وأنَّ هذه هي أعْلى مراتبِ الجِهادِ. وفيه: أنَّ العَملَ المفضولَ في الوَقتِ الفاضلِ يَلتحِقُ بالعمَلِ الفاضلِ في غَيرِه مِن الأوقاتِ}.

٢٧٤ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ١٤٩٢.

٢٧٥ حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي صحيح الجامع ١٧٠؛ أخرجه الإمام البخاري (٣٤٢٠) واللفظ له، ومسلم ١٨٩ - ١١٥٩، من حديث عبد الله بن عمرو. وفي رواية: أنَّ رَسولَ اللَّهِ

وعــن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "أَحَبُّ الأَعْمالِ إلى اللهِ تَعالى أَدْوَمُها، وإنْ قَلَّ". قالَ: وكانَتْ عائِشَةُ إذا عَمِلَتِ العَمَلَ لَزِمَتْهُ [٢٧٦]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:

صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ له: "أَحَبُّ الصَّلاةِ إلى اللَّهِ صَلاةُ داوُدَ عليه السَّلامُ، وأَحَبُّ الصِّيامِ إلى اللَّهِ صِيامُ داوُدَ، وكانَ يَنامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ويقومُ ثُلُثَهُ، ويَنامُ سُدُسَهُ، ويَصُومُ يَوْمًا، ويُفْطِرُ يَوْمًا". [حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ١١٣١].

الإقبالُ على اللهِ عزَّ وجلَّ بالعمَلِ الصالحِ، والاجتِهادِ في العِبادةِ باللَّيلِ والنَّهارِ؛ سَمْتُ الصالحينَ الأبرارِ، وقد وجَّهَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أُمَّتَه لأَخْذِ النَّفْسِ بما تُطيقُ، وكان أنبياءُ اللهِ همُ القُدوةَ في هذا الشَّأنِ. وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بأفضلِ كَيفيَّةٍ في قِيامِ اللَّيلِ وصَومِ النّافلةِ، وهما قِيامُ نَبيِّ اللهِ داودَ عليه السَّلامُ وصَومُه؛ فأمّا قِيامُه فكان يَنامُ نصْفَ اللَّيلِ الأوَّلَ، ثمَّ يَقومُ ثُلثَ اللَّيلِ، ثمَّ يَنامُ سُدسَه الأخيرَ، وأمّا صِيامُه فكان يَصومُ يَومًا ويُفطِرُ يومًا، فهذا أكثَرُ ما يكونُ القِيامُ والصِّيامُ مَحبوبًا للهِ عزَّ وجلَّ، ومِن ثَمَّ يَنالُ صاحبُه عليه أعْلى الدَّرجاتِ، وإنَّما صارتْ هذه الطَّريقةُ أحَبَّ إلى اللهِ مِن أجْلِ الأخذِ بالرِّفقِ على النُّفوسِ الَّتي يُخشى منها السَّآمةُ والمَلَلُ الَّذي هو سَببٌ إلى تَرْكِ العِبادةِ، واللهُ يُحِبُّ أنْ يُديمَ فضْلَه، ويُوالِيَ إحسانَه أبدًا، وإنَّما كان ذلك أرفَقَ؛ لأنَّ النَّومَ بعدَ القِيامِ يُريحُ البدَنَ، ويُذهِبُ ضرَرَ السَّهرِ وذُبولَ الجِسمِ، بخِلافِ السَّهرِ إلى الصَّباحِ، وفيه مِن المصلحةِ أيضًا: استِقبالُ صَلاةِ الصُّبحِ وأذكارِ النَّهارِ بنَشاطٍ وإقبالٍ، وأنَّه أقرَبُ إلى عدَمِ الرِّياءِ؛ لأنَّ مَن نام السُّدسَ الأخيرَ أصبَح ظاهرَ اللَّونِ، سَليمَ القُوى؛ فهو أقربُ إلى أنْ يُخفيَ عمَلَه الماضيَ على مَن يَراهُ. وصِيامُ يَومٍ وإفطارُ يَومٍ أفضَلُ مِن صِيامِ الدَّهرِ كلِّهِ؛ إذْ بصِيامِ الدَّهرِ يَضعُفُ البَدَنُ، ويَقصُرُ المُسلِمُ عن أداءِ الحُقوقِ لأصْحابِها، ومِن جِهةٍ أُخرى فإنَّ سَرْدَ الصِّيامِ طَوالَ العامِ تَألَفُه النَّفْسُ وتَعْتادُه، فيَفقِدُ الصِّيامُ أثَرَهُ في تَهْذيبِ نفْسِ الصّائمِ، أمّا إعْطاءُ النَّفْسِ يومًا وحِرمانُها آخَرَ، فهو أشدُّ عليها وأقْوى في تَهْذيبِها، وبذلِكَ يكونُ الصَّومُ أنفَعَ لصاحِبِه، وأحَبَّ إلى اللهِ تعالى. وفي رِوايةِ الصَّحيحَينِ بيَّنَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ السَّبَبَ في تَفضيلِ صِيامِ نَبيِّ اللهِ داودَ على غَيرِه، فقالَ: «كان يَصومُ يَومًا ويُفطِرُ يَومًا، ولا يَفِرُّ إذا لاقى»، فلا يَفِرُّ مِن العَدوِّ إذا لَقِيَه في الحربِ؛ لقُوَّةِ نفْسِه بما أبقى فيها في غَيرِ إنهاكٍ وإضعافٍ لها بصَومٍ. {وفي الحديثِ: الاقتداءُ بالأنبياءِ قبْلَ نبيِّنا مُحمَّدٍ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ في العِباداتِ. وفيه: الحَثُّ على قِيامِ اللَّيلِ، وصِيامِ التَّطوُّعِ. وفيه: أنَّ صَومَ يَومٍ وفِطرَ يَومٍ أحَبُّ إلى اللهِ تعالى مِن غَيرِه، وإنْ كان أكثَرَ منه}.

٢٧٦ حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ صحيح مسلم ٧٨٣؛ أخرجه البخاري (٦٤٦٥)، ومسلم ٢١٨ - ٧٨٣. وفي رواية للإمام البخاري: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ يَحْتَجِرُ حَصِيرًا باللَّيْلِ فيُصَلِّي عليه، ويَبْسُطُهُ بالنَّهارِ فَيَجْلِسُ

"أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنّاسِ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلمٍ، أوْ يكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا، ولأنْ أَمْشِي مع أَخٍ لي في حاجَةٍ أحبُّ إِلَيَّ من أنْ اعْتَكِفَ في هذا المسجدِ، يعني مسجدَ المدينةِ شهرًا، ومَنْ كَفَّ غضبَهُ سترَ اللهُ عَوْرَتَهُ، ومَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، ولَوْ شاءَ أنْ يُمْضِيَهُ أَمْضاهُ مَلأَ اللهُ قلبَهُ رَجاءً يومَ القيامةِ، ومَنْ مَشى مع

عليه، فَجَعَلَ النّاسُ يَثُوبُونَ إلى النَّبيّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فيُصَلُّونَ بصَلاتِهِ حتّى كَثُرُوا، فأَقْبَلَ فَقالَ: "يا أيُّها النّاسُ، خُذُوا مِنَ الأعْمالِ ما تُطِيقُونَ؛ فإنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حتّى تَمَلُّوا، وإنَّ أحَبَّ الأعْمالِ إلى اللَّهِ ما دامَ وإنْ قَلَّ" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٥٨٦١].

جعَلَ اللهُ تعالى الأعمالَ الصّالحةَ مُتفاضِلةً، وأفضَلُها هي التي يَستمِرُّ عليها صاحِبُها ويُداوِمُ عليها. وفي هذا الحَديثِ تُخبِرُ أُمُّ المؤمنينَ عائِشةُ رضِيَ اللهُ عنها أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كان يَحتَجِرُ حَصِيرًا، أي: يَتَّخِذُه كالحُجْرَةِ ويَجعَلُه حاجزًا بيْنه وبيْن غيرِه باللَّيلِ، وكان ذلك في ساحةِ مَسجِدِ النبيّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فيُصلِّي خلْفَه، ويَبسُطُه بالنَّهارِ فيَجلِسُ عليه، فلمّا رآه النّاسُ جَعَلوا يَثُوبُونَ -أي يَرجِعون- إلى النَّبيّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فيُصَلُّونَ بِصَلاتِه حتّى كَثُروا، فأَقْبَل صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على النّاسِ، فقال: «يا أيُّها الناسُ، خُذُوا مِن الأعمالِ ما تُطِيقون»، أي: أدُّوا منها ما في استطاعتِكم؛ وهذا أمرٌ عامٌّ لا يختَصُّ بالصَّلاةِ، بل في جميعِ أعمالِ البِرِّ، وعليه يكونُ المعنى: فاشتَغِلوا مِن الأعمالِ بما تَستطيعون المُداوَمةَ عليه، وافعَلوا ما تَقدِرون عليه مِن الصِّيامِ والقيامِ، ولا تَشُقُّوا على أنفُسِكم؛ «فإنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حتّى تَمَلُّوا»، أي: فإنَّ اللهَ لا يَمَلُّ مِن ثَوابِك حتّى تَمَلَّ مِن العَمَلِ، «وإنَّ أَحَبَّ الأعمالِ إلى اللهِ»، أي: التي تُقرِّبُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وتكونُ سَببًا في نَيلِ فَضلِهِ وثَوابِهِ «ما دام» واستَمرَّ في حَياةِ العامِلِ، «وإنْ قَلَّ»؛ لأنَّه يَستمِرُّ، بخلافِ الكثيرِ الشّاقِّ، فالمواظَبةُ على العملِ القليلِ أمْرٌ حسَنٌ؛ لأنَّها تُكَثِّرُها، وتَجعَلُ صاحِبَها دائمَ الصِّلةِ بالعمَلِ الصّالحِ. وقولُه: «فَواللهِ لا يَمَلُّ اللهُ حتّى تَمَلُّوا». في هذا دَليلٌ على إثباتِ صِفةِ المَلَلِ للهِ تعالى، لكنَّ مَلَلَ اللهِ ليس كمَلَلِ المَخلوقِ؛ فمَلَلُ المَخلوقِ نقْصٌ؛ لأنَّه يدُلُّ على سَأَمِه وضَجَرِه مِن هذا الشَّيءِ، أمّا مَلَلُ اللهِ فهو كَمالٌ وليس فيه نقْصٌ، وهو كسائرِ الصِّفاتِ التي نُثبِتُها للهِ على وَجْهِ الكمالِ، وإنْ كانت في حقِّ المَخلوقِ ليست كَمالًا. ومِن العُلماءِ مَن قال أنه يُرادُ به بَيانُ أنَّه مهْما عَمِلْتَ مِن عمَلٍ فإنَّ اللهَ يُجازِيك عليه، فاعمَلْ ما بَدا لك؛ فإنَّ اللهَ لا يَمَلُّ مِن ثَوابِك حتّى تَمَلَّ مِن العمَلِ. ومنهم من قال أنّ هذا لا يَستلزِمُ ثُبوتَ المَلَلِ للهِ عزَّ وجلَّ. {وفي الحَديثِ: بَيانُ شَفقتِه ورَأفتِه بأُمَّتِه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. وفيه: أنَّ العَملَ القليلَ الدّائمَ خَيرٌ مِن الكثيرِ المُنقطِعِ. وفيه: الحثُّ على الاقتصادِ في العبادةِ واجتنابِ التعَمُّقِ}.

أَخِيهِ فِي حاجَةٍ حتى تتَهَيَّأَ لهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يومَ تَزُولُ الأَقْدامِ، [وإِنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفْسِدُ العَمَلَ، كما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ]" [٢٧٧]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال

٢٧٧ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي السلسلة الصحيحة ٩٠٦؛ أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٠٢٦)، وأبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (٩٧) باختلاف يسير.

كان الصَّحابةُ رضِيَ اللهُ عنهم -لحرصِهم على الطَّاعاتِ وما يُقرِّبُ مِن رِضا اللهِ عزَّ وجلَّ- كثيرًا ما يسأَلون النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن أفضَلِ الأعمالِ، وأكثرِها قُربةً إلى اللهِ تَعالى، فكانت إجاباتُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم تختلِفُ باختلافِ أشخاصِهم وأحوالِهم، وما هو أكثرُ نفعًا لكلِّ واحدٍ منهم. وفي هذا الحديثِ يقول النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "أحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفَعُهم للناسِ"، أي: أكثَرُ مَن يَنتفِعُ الناسُ بهم، وهذا لا يَقتصِرُ على النَّفعِ المادِّيِّ فَقَطْ، ولكنَّه يمتَدُّ ليشمَلَ النَّفعَ بالعِلمِ، والنَّفعَ بالرَّأْيِ، والنَّفعَ بالنَّصيحَةِ، والنَّفعَ بالمَشورةِ، والنَّفعَ بالجاهِ، والنَّفعَ بالسُّلطانِ، ونحوَ ذلك، فكُلُّ هذه من صُوَرِ النَّفعِ التي تجعَلُ صاحِبَها يشرُفُ بحُبِّ اللهِ له، "وأحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ سُرورٌ يُدخِلُه على مُسلِمٍ"، أي: أنَّ أحَبَّ الأعمالِ: هي السَّعادَةُ التي تُدخِلُها على قَلبِ المُسلِمِ، وهذا يَختلِفُ باختِلافِ الأحوالِ والأفرادِ، فقد يتحقَّقُ السُّرورُ في قلْبِ المُسلِمِ بسُؤالِ أخيه عنه، وقد يتحقَّقُ بزيارةِ أخيه له، وقد يتحقَّقُ بهدِيَّةِ أخيه له، وقد يتحقَّقُ بأيِّ شَيءٍ سِوى ذلك، الأصْلُ أنْ تُدخِلَ السُّرورَ عليه بأيِّ طريقةٍ استطَعْتَ، "أو يَكشِفُ عنه كُربَةً"، والكُربَةُ: هي الشِّدَّةُ العظيمةُ التي تُوقِعُ صاحِبَها في الهَمِّ والغَمِّ، فمَنِ استطاعَ أنْ يَكشِفَ عن أخيه كُرْبَه، ويَرفَعَ عنه غَمَّه، فقد وُفِّقَ بذلك إلى أفضَلِ الأعمالِ، "أو يَقضي عنه دَينًا"، أي: تَقْضي عن صاحِبِ الدَّينِ دَينَه؛ وذلك فيمن يَعجَزُ عن الوفاءِ بدَينِه، "أو تطرُدُ عنه جُوعًا"، أي: بإطعامِه أو إعطائِه ما يقومُ مَقامَ الإطعامِ، "؛ ولِأَنْ أَمشِيَ معَ أخٍ لي في حاجَةٍ أحَبُّ إليَّ مِن أنْ أَعتكِفَ في هذا المسجِدِ، يعني: مسجِدَ المدينَةِ شَهرًا"، ففي قولِه هذا إشارةٌ إلى فضْلِ المشْيِ مع المُسلِمينَ في قَضاءِ حوائِجِهم، وتَيسيرِ العَقَباتِ لهم، حتى جاوَز هذا الفضْلُ الاعتكافَ في مسجِدِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ولا يَدُلُّ هذا إلَّا على عَظيمِ فضْلِ السَّعيِ بين المُسلِمينَ لقَضاءِ حوائجِهم، "ومَن كَفَّ غَضَبَه سَتَرَ اللهُ عَورَتَه"، وفيه إرشادٌ إلى ما يَجِبُ أنْ يأخُذَ المُسلِمُ به نفسَه وقتَ الغَضَبِ، من كَفِّ الغَضَبِ وكظْمِ الغَيظِ، وأنَّ عاقِبَةَ ذلك طَيِّبةٌ، وهي سَترُ اللهِ عزَّ وجلَّ لعَورَتِه، "ومَن كَظَمَ غيظَه، ولو شاءَ أنْ يُمضِيَه أمضاهُ مَلَأَ اللهُ قلْبَه رَجاءً يومَ القيامَةِ"، وهذا فضْلُ مَن كَظَمَ غيظَه للهِ، مع استطاعَتِه أنْ يُمضِيَ غيظَه، ولكِنَّه كَظَمَه ومَنَعَه للهِ؛ ولأنَّ هذا الأمرَ عزيزٌ على النَّفسِ، فكان فضْلُه عظيمًا، "ومَن مَشى معَ أخيه في حاجَةٍ حتى تتهيَّأَ له"، أي: حتى تُقْضى له، "أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَه يوم تَزولُ الأقدامُ"، أي: ثبَّت اللهُ قَدَمَه يومَ القيامَةِ على الصِّراطِ. ثم قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "وإنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفسِدُ العَمَلَ، كما يُفسِدُ الخَلُّ العَسَلَ"، خَتَمَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بهذه العِباراتِ، وهذا الإرشادِ، بعدَ أنْ أرشَدَ السائِلَ إلى أحَبِّ الأعمالِ إلى اللهِ تَعالى، وكأنَّه أرادَ أن يقولُ

صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "أَحَبُّ البِلادِ إلى اللهِ مَساجِدُها، وَأَبْغَضُ البِلادِ إلى اللهِ أَسْواقُها" [٢٧٨]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "إن أحبَّ الأسماءِ إلى اللهِ: عبدُ اللهِ، وعبدُ الرحمنِ" [٢٧٩]، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "أحَبُّ الطعامِ إلى اللهِ ما كَثُرَتْ

له: إنْ فَعَلتَ هذه الأعمالَ الصالِحَةَ، فإيَّاك أنْ يَفوتَك حُسْنُ الخُلُقِ؛ فإنَّ سوءَ الخُلُقِ يُفسِدُ الأعمالَ الصالِحَةَ، فَسادًا عَظيمًا، كما يفسُدُ العَسَلُ إذا وُضِعَ عليه الخَلُّ، فعليكَ -إذنْ- أنْ تَجتنِبَ سوءَ الخُلُقِ؛ فإنَّ سوءَ الخُلُقِ يُحبِطُ الأعمالَ، ويُضيعُ الثَّوابَ. {وفي الحديثِ: الحثُّ على مَكارِمِ الأخلاقِ والتَّحذيرُ من سُوءِ الخُلُقِ}.

٢٧٨ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٢٨٨ - ٦٧١.

المساجدُ محلُّ نُزولِ رَحمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ وفضلِه، وعلى العَكسِ مِن ذلكَ الأَسواقُ؛ فهيَ محلُّ أفعالِ الشَّيطانِ مِن الطَّمَعِ والغَفلَةِ؛ لذا كانتِ المَساجِدُ أحبَّ البِلادِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ لأنَّها بيتُ الطّاعَةِ، ومَخصوصةٌ بالذِّكرِ، فَلا أحدَ أظلَمُ مِن رجلٍ منَعَ مساجدَ اللهِ أن يُذكَرَ فيها اسمُه، أُسِّستْ على تقوى اللهِ عزَّ وجلَّ يُقرأ فيها القُرآن، يُنشَر فيها العِلمُ، وقد أضافها اللهُ لنفسِه إضافةَ تَشريفٍ وتعظيمٍ، فقال: {وَأَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ} [الجن: ١٨]، وكانتِ الأسواقُ أبغضَ البِلادِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ؛ لكَثرةِ الحَلِفِ الكاذِبِ فيها، والغشِّ والخِداعِ، والغَفلةِ عن ذكْرِ اللهِ- سُبحانه وتَعالى- وإخلافِ الوَعدِ، وسُوءِ المُعامَلةِ، وغيرِ ذلكَ ممّا في مَعناه؛ فالمرادُ بمحبَّة المساجد محبَّةُ ما يقَعُ فيها مِن الطّاعاتِ، والمُرادُ ببُغضِ الأَسواقِ بغْضُ ما يقَع فيها مِن الذُّنوبِ والآثامِ.

٢٧٩ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ٢٨٣٤، وفي رواية: "تَسَمَّوْا بأسماءِ الأنبياءِ، وأحبُّ الأسماءِ إلى اللهِ عبدُ اللهِ، وعبدُ الرحمنِ، وأصدُقُها حارثٌ، وهَمّامٌ، وأقبَحُها حَرْبٌ، ومُرَّةُ" [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح أبي داود ٤٩٥٠؛ وقال: {صحيح دون قوله: تسموا بأسماء الأنبياء}].

لقدْ أَوْصى النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بِكلِّ ما هوَ جميلٌ وحَسنٌ، ومِنها اختِيارُ الأسماءِ الحسَنةِ، والبُعدُ عن القَبيحِ، وفي هذا يقولُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: تَسمَّوْا بأسماءِ الأنبياءِ؛ وذلك لأنَّهم همُ القدوةُ الصالحةُ ولِما في التَّسميةِ بهمْ مِن تَذكيرٍ ودَعوةٍ للأجيالِ المتعاقِبةِ، فيُحفظُ دِينُ اللهِ بها. ثم قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «وأحبُّ الأسماءِ إلى اللهِ عبدُ اللهِ، وعبدُ الرحمنِ»؛ وذلك لأنَّ فيهما النداءَ بالعُبودِيَّةِ للهِ وحدَه. «وأصدَقُها»، أي: أكثرُ الأسماءِ مُطابقةً لمعانِيها، «حارِثٌ»، ومَعناهُ: الكاسبُ، «وهمّامٌ»، وهو الذي يَهمُّ بالأمرِ، ويعزِمُ عليه. قالَ: «وأقبحُها حَربٌ، ومُرَّةُ»؛ وذلك لِما في الحربِ من بَشاعةِ القتلِ والتَّدميرِ، وما في مُرَّة مِن المرارةِ التي تَأباها الطِّباعُ، ولعلَّ اختِيارَ النبيّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ودعوتَه للأسماءِ الحَسنةِ والبُعدَ عن الأسماءِ القبيحةِ مِن بابِ الفَألِ الحسَنِ، وليسَ من التطيُّر والتشاؤُمِ من الأسماءِ القبيحةِ.

عليه الأَيْدِي" [٢٨٠]، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "أَحَبُّ العملِ إلى اللهِ تعالى الحالُّ المُرْتَحِلُ"، قال: وما الحالُّ المُرْتَحِلُ؟ قال: "الذي يَضْرِبُ من أولِ القرآنِ إلى آخِرِهِ، كُلَّما حَلَّ ارْتَحَلَ" [٢٨١].

وقد تقرَّر عند أهل العلم أنّ محبة الله تعالى لعبده ناشئةٌ من محبة هذا العبد لربه سبحانه؛ لأنّه لم يخلق على الحقيقة إلا ليعرف الله فيحبه، ويتفانى في التقرُّب إليه بما أمر به، وتجنُّب ما نهى عنه، وهذه مرتبة لا يبلغها إلا موفق؛ يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "ومحبة الله هي روح الأعمال، وجميع العبودية الظاهرة والباطنة ناشئةٌ عن محبة الله، ومحبة العبد لربه فضلٌ من الله وإحسان، وليست بحول العبد ولا قوّته، فهو تعالى الذي أحبَّ عبده، فجعل المحبَّة في قلبه، ثم لما أحبَّه العبد بتوفيقه، جازاه الله بحبٍّ آخر" [٢٨٢]، فإذا أحبَّكَ الله سدَّدَكَ، وكان النور الذي يُنير طريقك، والهداية التي تبلغ بها مُرادك، وبحبِّه لك، يستجيب دعاءك؛ قال تعالى في الحديث القدسي: "إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادى لي وليًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ" [٢٨٣]،

٢٨٠ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ في صحيح الجامع ١٧١؛ أخرجه أبو يعلى (٢٠٤٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٣١٧).

٢٨١ حديثٌ ضَعيفٌ: ضَعَّفَه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ في السلسلة الضعيفة ١٨٣٤؛ أخرجه الترمذي (٢٩٤٨).

٢٨٢ كتاب تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي - النافع النور الهادي الواحد الواسع الودود ص٢٤٣.

٢٨٣ حديثٌ صحيحٌ؛ أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

قال ابن بطال رحمه الله: "وجه ذلك أنّه لا يحرك جارحة من جوارحه إلا لله وفي الله، فجوارحه كلها تعمل بالحق، فمن كان كذلك، لم ترد له دعوة" [٢٨٤].

وكثيرةٌ هي الإشارات والعلامات التي يستدلّ المؤمن من خلالها على مَحبّة الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ له، ومنها ما يأتي:

١. إيثار مَحبّة الله على حبّ النفس [٢٨٥]، وتسخير العبد جوارحَه لله تعالى [٢٨٦]، وتمكين

يَحكي أبو هُرَيرَة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: مَن عادى؛ أي: آذى، لي وليًّا، وهو مَن يتولّى اللهُ سبحانه وتعالى أمْرَه ولا يَكِلُه إلى نفْسه لحظةً، بل يتولّى الحقُّ رعايتَه، أو هو الذي يتولّى عبادةَ الله وطاعته، فعباداته تَجري على التَّوالي من غير أنْ يتخلَّلها عصيان، فقد آذنتُه أي: أعلَمتُه بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه؛ أي: أوجبتُه عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل مع الفرائض كالصَّلاة والصِّيام؛ حتى أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يَسمَع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطِش بها، ورِجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه ما سأل، ولئنِ استعاذني لأُعيذنَّه ممّا يخاف، وما ترَدَّدتُ عن شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن نفْسِ المؤمن؛ وليس هذا التردد من أجل الشك في المصلحة، ولا من أجل الشك في القدرة على فعل الشيء، بل هو من أجل رحمة هذا العبد المؤمن، ولهذا قال في نفس الحديث: "يكره الموت، وأكره إساءته، ولابد له منه"؛ يَكره الموت؛ لِما فيه من الألمِ العظيم، وأنا أكره مَساءَتَهُ؛ لِما يَلْقى المؤمن من الموتِ وصُعوبته. {في الحديث: النَّهي عن إيذاء أولياء الله. وفيه: التَّرغيب في حبِّ أولياء الرَّحمن، والاعتراف بفضلهم. وفيه: أنَّ أحبَّ الأعمالِ فِعلُ الفرائض، وأفضلُ القُرُبات بَعدَها فِعلُ النَّوافل}.

٢٨٤ شرح ابن بطال على صحيح البخاري ٢١٢/١٠.

٢٨٥ يستطيع المسلم أن يُحقّق مرتبة إيثار الله تعالى؛ بمخالفة هوى النفس ونزواتها، ووسوسة الشيطان وشرّها، وقهرهما، ويُعَدّ ذلك عبادة في حَدّ ذاتها، وهذه الصفة من صفات النبيّين عليهم السلام.

٢٨٦ يُسخّر العبد جوارحَه لله تعالى، ووصول العبد إلى هذه المرحلة يوصله إلى مرحلة الولاية، وهو في هذه الدرجة لا يسمح لحواسّه إلّا أن تُستعمَل فيما يُحبّه الله تعالى؛ فلا يستعمل يدَيه في الأخذ والعطاء إلّا بما يُرضي الله تعالى، ولا يسمع بأذنَيه إلّا ما أحبّه الله تعالى، ولا يمشي برجلَيه إلّا إلى ما يُحبه الله تعالى، ولا يرى بعينَيه إلّا ما يُحبّه الله تعالى؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادى لي وليًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ

القلب من حب لقاء الله تعالى [٢٨٧].

٢. محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتّباعه: فلا يتصور حب لله من دون حب لرسوله صلى الله عليه وسلم الذي عرَّفنا بربّنا، وبلَّغنا رسالته، وبيَّن لنا الطريق إليه؛ قال الله سبحانه وتعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران: ٣١]، قال الحسن البصري رحمه الله: "زعم قوم

سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري البخاري ٦٥٠٢].

٢٨٧ فالمؤمن لا يهاب الموت، ولا يخاف الفوت، ولا يرهب القبر، ولا يجزع من البعث والنشر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَن أحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ"، قالَتْ عائِشَةُ أوْ بَعْضُ أزْواجِهِ: إنّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قالَ: "ليسَ ذاكِ، ولَكِنَّ المُؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوانِ اللَّهِ وكَرامَتِهِ، فليسَ شيءٌ أحَبَّ إلَيْهِ ممّا أمامَهُ، فأحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ وأَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، وإنَّ الكافِرَ إذا حُضِرَ بُشِّرَ بعَذابِ اللَّهِ وعُقُوبَتِهِ، فليسَ شيءٌ أكْرَهَ إلَيْهِ ممّا أمامَهُ، كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ وكَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٦٥٠٧].

لا شكَّ أنَّ الدُّنيا دارُ فَناءٍ، وأنَّ الآخرةَ هي دارُ البقاءِ، وأنَّنا في الدُّنيا كعابرِ سبيلٍ، وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءَه، ومَن كرِهَ لقاءَ اللهِ كرِهَ اللهُ لِقاءَه»، ومحبَّةُ اللِّقاءِ هي إيثارُ العبدِ الآخرةَ على الدُّنيا، وعدمُ حُبِّ طولِ القيامِ في الدُّنيا، والاستعدادُ لِلارتحالِ عنها، والمرادُ باللِّقاءِ: المصيرُ إلى الدّارِ الآخرةِ وطلَبُ ما عند اللهِ وليس الغرضُ به الموتَ؛ لأنَّ كُلًّا يكرُهه فَمَنْ تركَ الدُّنيا وأبغضَها أحبَّ لقاءَ اللهِ، ومَنْ آثَرَها وركَنَ إليها كَرِهَ لقاءَ اللهِ، وقدِ استشكلتْ أُمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضِيَ اللهُ عنها قولَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أحبَّ لقاءَ اللهِ»؛ لأنَّ الموتَ لا يُحبُّه أحدٌ بِطبيعةِ خِلقةِ النّاسِ وما جُبِلوا عليه، فبيَّن لها صلى الله عليه وسلم أنَّ المقصودَ ليسَ ذلك، بَلِ المقصودُ أنَّ المؤمنَ إذا جاءَه الموتُ فإنَّه يرى البُشرى مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى لِما ينتظرُه عنده مِن حُسنِ الجزاءِ، فلا يكونُ شيءٌ أحبَّ إليه مِن ذلك، فأحبَّ لِقاءَ اللهِ وأحبَّ اللهُ لقاءَه، وأمّا الكافرُ فإنَّه إذا جاءَه الموتُ يرى ما وعدَه ربُّه مِنَ العذابِ والنَّكالِ حقًّا أمامَ عينَيْه، فلا يكونُ شيءٌ أكرَهَ إليه مِن ذلك، فكرِهَ لقاءَ اللهِ وكرِهَ اللهُ لِقاءَه.

وفي الحديثِ: أنَّ المجازاةَ مِن جِنسِ العملِ؛ فإنَّه قابَلَ المحبَّةَ بِالمحبَّةِ والكراهةَ بِالكراهةِ.

وحبّ العبد للقاء الله في الجنّة، فكلّ محبوب يتشوّق دائماً إلى رؤية محبوبه ولقائه، ولا يتعارض هذا الحبّ مع كراهة المؤمن للموت؛ لأنّ لقاء الله تعالى الذي يُحبّه المؤمن يأتي بعد الموت؛ أي في جنّة الخُلد.

أنهم يحبُّون الله، فابتلاهم الله بهذه الآية"، وقال ابن كثير رحمه الله: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادَّعى محبَّة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنّه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي".

٣. حُبُّ مَنْ يحبُّه الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ من عباده المصطفين الأخيار؛ كحُبِّ الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحابته، وأولياء الله الصالحين، وليس ذلك حبًّا مع الله سبحانه وتعالى؛ بل هو من تمام حب الله سبحانه وتعالى؛ لأنّه حب لأجل الله سبحانه وتعالى، وفي الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ؛ قال ابن القيم رحمه الله: "فأصل العبادة محبَّة الله؛ بل إفراده بالمحبَّة، وأن يكون الحبُّ كله لله، فلا يحبُّ معه سواه؛ وإنما يحبُّ لأجله وفيه، كما يحبُّ أنبياءه، ورسله، وملائكته، وأولياءه، فمحبَّتنا لهم من تمام محبَّته، وليست محبَّةً معه" [٢٨٨]، فالذي يبغض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا حَظَّ له في محبَّة الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ، والذي يُنكِر وجود الملائكة، لا حظَّ له في محبَّة الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ، والذي يتَّهم أولياء الله بالجهل، لا حظَّ له في محبَّة الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ ... وهكذا.

٤. الحماية من الدنيا، والاقتدار على ترك حبها، والتنزُّه عن الانشغال بملذَّاتها وشهواتها؛ وهذه منقبة عظيمة، لا يُؤتاها إلا من غلبت محبة الله ورسوله في قلبه محبةَ ما سواهما، ولقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ، فقال: يا رسولَ اللَّهِ دلَّني على عَملٍ إذا أَنا عَمِلْتُهُ أحبَّني اللَّهُ وأحبَّني النّاسُ، فقالَ رسولُ اللَّهِ صلّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ: "ازهَد في الدُّنيا يحبَّكَ اللَّهُ وازهد فيما في أيدي النّاسِ يحبُّوكَ" [٢٨٩]، فإن فاتك من الدنيا شيء، فلا تأسَ عليه، ما دامت معك محبة الله لك، التي قد تمنعك أحيانًا الدنيا لما يريده تعالى لك من رفعة عما يتخاصم الناس من أجله، وتنزه عما يتقاتل الناس في سبيله،

٢٨٨ مدارج السالكين، لابن القيم، ٩١/١.

٢٨٩ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح ابن ماجه ٣٣٢٦.

قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللهَ تعالى لَيحمي عبدَه المؤمنَ من الدنيا، وهو يُحبُّه، كما تحمون مريضَكم الطعامَ والشرابَ تخافون عليه" [٢٩٠]، قال المناوي رحمه الله: "إنما يحميه لعاقبة محمودة، وأحوال سديدة مسعودة" [٢٩١]، فالله يحمي العبد الذي يُحبّه من فِتن الدُّنيا، كالأموال، والزخارف، والزينة، وغيرها؛ بأن يمنعها عنه كما يمنع الإنسان قريبَه المريض من الماء إذا طلب منه الطبيب ذلك؛ لأنّ فيه ضرراً عليه، وما يقع للعبد من حرمان في بعض ما يراه النّاس خيراً هو في حقيقته خيرٌ أراده الله لعبده، وقد لا يعلم المرء علّة المنع أو ما ادّخره الله تعالى له جزاءً لصبره، كما أنّ منع الله النّعمة عن بعض عباده المتّقين ليس سخطاً عليهم، بل حبّاً لهم ورفعاً لدرجاتهم، فقد تكون الدنيا مشغلة لك عن عبادة ربك، أو صارفة لك عن مراقبته، أو مزيغة لك عن طريقه، وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: "ابتُلينا معَ رسولِ اللَّهِ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بالضَّرّاءِ فصَبَرنا، ثمَّ ابتُلينا بالسَّرّاءِ بعدَهُ فلم نصبِرْ" [٢٩٢]، ويقول صلى الله عليه وسلم: "أربعٌ إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حِفظُ أمانةٍ،

٢٩٠ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٨١٤.

٢٩١ فيض القدير شرح الجامع الصغير - المناوي - ج ٢ - الصفحة ٣٣٠.

٢٩٢ حديثٌ إسناده صحيح: قال عنه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ: إسناده صحيح؛ فِي صحيح الترمذي ٢٤٦٤.

إنَّ اللهَ إذا أحبَّ قومًا ابتَلاهم؛ لذا فالابتلاءُ عَلامةُ خيرٍ، والبلاءُ يَكونُ بالسَّرّاءِ والضَّرّاءِ، وقد ابتُلِيَ الصَّحابةُ رضِيَ اللهُ عنهم بكِلَتيهِما. وفي هذا الحَديثِ يقولُ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ: «ابتُلينا»، أي: اختُبِرنا مِن اللهِ سبحانه وتعالى «مع رسولِ اللهِ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بالضَّرّاءِ»، أي: بالاحتياجِ والفقرِ والخوفِ وشدَّةِ الحالِ، «فصبَرْنا»، أي: فما كان مِنّا إلّا أنْ وفَّقَنا اللهُ للصَّبرِ على ذلك رغمَ قَسْوةِ ذلك في الظّاهرِ مُقارَنةً بيُسرِ الحالِ، «ثمَّ ابتُلينا بعدَه»، أي: ثمَّ بعدَ ذلك اختُبِرنا مِن اللهِ سبحانه وتعالى «بالسَّرَّاءِ»، أي: بسَعةِ الدُّنيا والرِّزقِ، «فلَم نَصبِرْ»، أي: لم نَتصرَّفِ التصرُّفَ الحسَنِ مِن الشُّكرِ كما يَنبَغي لتِلْك النِّعمةِ، وهذا مِن النَّظرِ إلى عظيمِ فَضلِ اللهِ على عِبادِه والاعتِراف بتَقصيرِ النَّفْسِ، والمعنى: أنَّه يَنبغي ألّا يَركَنَ المسلمُ إلى المنحةِ وليحذرَ زوالَها، فيُواظِب على شُكرِها باستعمالها في الطاعةِ والبُعد عن المعصيةِ. {وفي الحديثِ: صُعوبةُ الابتِلاءِ بالسَّرّاءِ، والإشارةُ إلى أنَّ الصَّبرَ عليها والقيامَ بشُكرِها أتمُّ وأصعبُ من الصَّبرِ على الابتلاءِ بالضَّراءِ}.

وصدقُ حديثٍ، وحُسنُ خليقةٍ، وعِفَّةٌ في طُعمةٍ" [٢٩٣]، وليس معنى هذا أن تتنزَّه عن المباح من الدنيا، فتترك أسباب العيش، وتفضِّل التقشُّف ولُبس البالي والمرقَّع، إنما المقصود التحذير من أن تشرئبَّ الأعناق إلى هذه الدنيا الفانية، وتمتلئ بها العيون حتى تصير الشغل الأعلى، والهدف الأسمى؛ ولذلك حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم أُمَّته من مغبَّة الافتتان بالمال الذي سيبتلي الله به أُمَّته، فقال: "إنَّ لكلِّ أمَّةٍ فتنةً وفتنَةُ أمَّتي: المالُ" [٢٩٤]، وحذَّر صلى الله عليه وسلم من أن تؤدي كثرة الأموال إلى

٢٩٣ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ١٧١٨؛ أخرجه أحمد (٦٦٥٢)، وابن وهب في «الجامع» (٥٤٦). {وفي رواية: "أربعٌ إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا، صدْقُ الحديثِ، وحفْظُ الأمانةِ، وحُسْنُ الخُلُقِ، وعفَّةُ مَطْعَمٍ" [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٨٧٣]}.

حُسْنُ الخُلُقِ يرْقى بصاحِبِهِ إلى أعْلى المراتِبِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، ومَن رُزِقَ حُسنَ الخُلُقِ فلا عليه ممّا فاتَه مِن الدُّنيا، كما يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في هذا الحديثِ: «أرْبعٌ»، أي: خِصالٍ وصِفاتٍ، «إذا كُنَّ فيك»، أي: اتَّصفَ المُسْلمُ وتخلَّق بهن، «فلا عليك ما فاتَك من الدُّنْيا»، أي: لا بأْسَ بما يَضيعُ من الدُّنْيا من مُتعٍ، إنْ كان المُسْلمُ بتلك الصفاتِ، ويَحْتمِلُ: أنه لا بأْسَ بما يفوتُ من الدُّنْيا إذا كان الفائِتُ منها ما يترتَّبُ من معاملاتٍ بتلك الخِصالِ، الأُولى: «صِدْقُ الحديثِ»، أي: التزامُ الصِّدْقِ في القَوْلِ والإخبارِ بأيِّ شيءٍ، والثانيةُ: «وحِفْظُ الأمانةِ»، وحِفظُ الأماناتِ يكونُ في الأموالِ والأعمالِ، والثالثة: «وحُسْنُ الخُلُقِ»، أي: الَّذي يَمتَثِلُ بالخُلُقِ الحَسنِ بيْن النّاسِ جميعًا؛ فيُحَسِّنُ خُلُقَه مع اللهِ عزَّ وجَلَّ بالرِّضا بقَضاءِ اللهِ وقدَرِه، والصَّبرِ والحَمدِ عندَ البلاءِ، والشُّكرِ عندَ النِّعمةِ، ويكونُ حَسَنَ الخُلُقِ مع النّاسِ؛ بكَفِّ الأَذى عنهم، وطَلاقةِ الوَجهِ، ولِينِ الكَلامِ، والإحسانِ إليهم، وبَذْلِ العَطاءِ فيهم، مع الصَّبرِ على أذاهُم؛ فكمالُ الإيمانِ يُوجِبُ حُسْنَ الخُلُقِ، والإحسانَ إلى النّاسِ كافَّةً، والرابعةُ: «وعِفَّةُ مَطْعَمٍ»، أي: التزامُ الحلالِ في المَأْكلِ والمَشْربِ؛ لأنَّه أكثرُ ما يطْلُبُه الناسُ، ويعُمُّ كلَّ ما يَنْتفِعُ به الإنسانُ كالمَلْبسِ والمَسْكَنِ.

٢٩٤ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ٢٣٣٦.

المالُ فِتنةٌ؛ فمَن استخدمَه في طاعةِ اللهِ وسخَّره في مَرضاتِه كان المالُ نِعمةً ساعدَتْه في بلوغِ الجنَّةِ، ومَن استغلَّه في مَعصيةِ اللهِ وعَمِل فيه بما لا يُرضيه كان المالُ نِقمةً تسوقُه إلى النّارِ. وفي هذا الحديثِ يَقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ لكلِّ أمَّةٍ فِتنةً»، أي: لا بدَّ لكلِّ أمَّةٍ مِن الأمَمِ مِن ابتلاءٍ واختِبارٍ بشيءٍ تُفتتنُ به ويمايزُ بين صفوفِها، والمقصود هنا بالفِتنةِ الشَّيءُ الَّذي يَضِلُّ به الإنسانُ ويَزيغُ عن طَريقِ الحقِّ، فربَّما كان المالُ فتنةً إذا أبعَد صاحِبَه عن طاعةِ اللهِ، وربَّما كان الجاهُ فِتنةً إذا أعان على الظُّلمِ والبَغيِ وضياعِ الحُقوقِ، وربَّما كانتِ النِّساءُ

التنافس فيها، وقصر الهمة على تحصيلها، فقال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "فأَبْشِرُوا وأَمِّلُوا ما يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لا الفَقْرَ أَخْشَى علَيْكُمْ، ولَكِنْ أَخَشَى علَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كما بُسِطَتْ علَى مَن كانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا وتُهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهُمْ" [٢٩٥]، قال

فِتنةً إذا أوقعَتِ الإنسانَ في مَراتعِ الشَّهوةِ والآثامِ، «وفِتنةُ أمَّتي: المالُ»، أي: وضلالُ أمَّتي سيكونُ في المالِ؛ وذلك في الحِرصِ على جَمعِه وعدمِ المبالاةِ مِن حلالٍ أو مِن حرامٍ، وصَرفِه في المعاصي والفواحِشِ، وعدمِ إخراجِ حقِّ اللهِ فيه؛ وذلك كما كانت فِتنةُ بني إسرائيلَ في النِّساءِ فأضلَّتهم النِّساءُ وأوقعَتْهم في الفواحِشِ والرَّذائلِ، فالنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يُوضِّحُ أنَّ فِتنةَ أمَّتِه وابتلاءَها واختبارَها وضلالَها سَيكونُ مِن جِهةِ المالِ، لا مِن جِهةِ النِّساءِ أو الجاهِ والسُّلطانِ كالأُمَمِ السّابقة. وفِتنةُ المالِ هي إحْدى الفِتنِ التي ذَكرَها النبيُّ صلى الله عليه وسلم ونبَّه على خَطرِها وحذَّرَ منها أُمَّتَه، ومِن ذلك ما في صَحيحِ البُخاريِّ، أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم: «قال ما تَركتُ بَعدِي فِتنةً أضرَّ على الرِّجالِ مِن النِّساءِ"، ولعلَّ تَخصيصَ فِتنةِ المالِ بأنَّها فِتنةُ هذه الأُمَّةِ دون غيرِها مِن الفِتنِ: أنَّ المالِ هو الفِتنةُ التي تُوصلُ إلى الوقوعِ في غيرِها من الفِتن أو إلى كثيرٍ منها، كما في الصَّحيحينِ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((واللهِ ما أخافُ عليكم أنْ تُشرِكوا بَعْدي، ولكنْ أخافُ عليكم أن تَنافَسوا فيها فتَهلِكوا كما هلَك مَن كان قَبْلَكم»؛ فأخْبَرَ أنَّ التنافُسَ على المالِ والدُّنيا سببٌ في الهلاكِ. {وفي الحديثِ: التَّحذيرُ مِن فِتنةِ المالِ التي تَشغَلُ عن طاعةِ اللهِ وتُلهي عن المعروفِ، ولا يُعمَلُ فيه بما أرادَ اللهُ}.

٢٩٥ حديثٌ صحيحٌ متفق عليه؛ أخرجه البخاري ٣١٥٨، ومسلم ٦ - ٢٩٦١.

الفَقرُ والغِنى مِحْنَتانِ مِنَ اللهِ تَعالى، وبَلِيَّتانِ يَبْلو بهما أخيارَ عِبادِه؛ لِيَظهَرَ صَبرُ الصَّابِرينَ، وشُكرُ الشَّاكِرينَ، وقد كان صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَستَعيذُ مِنَ الفَقرِ، ويُحَذِّرُ مِن فِتنةِ الغِنى والمالِ. وفي هذا الحَديثِ يَروي عَمرُو بنُ عَوفٍ المُزَنيُّ رَضيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أرسَلَ أبا عُبَيدةَ بنَ الجَرَّاحِ رَضيَ اللهُ عنه إلى البَحرَيْنِ لِيَأْتيَ بجِزْيَتِها، وهي المالُ المَفروضُ على المَجوسِ مِن أهلِها، مُقابِلَ تَركِهم أحياءً وحِمايَتِهم بعْدَ أنْ صَالَحَهم على ذلك، وكانتِ البَحرَيْنُ في القَديمِ تُطلَقُ على ما يَشمَلُ حاليًّا كُلًّا مِنَ البَحرَيْنِ، والأحساءِ والقَطيفِ، شَرقَ المَملكةِ العَربيَّةِ السُّعوديَّةِ، وقد فُتِحتْ سَنةَ ثَمانٍ مِنَ الهِجرةِ، وقد أقَرَّ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عليها عامِلَها المُنذِرَ بنَ ساوَى، ثم لَمَّا ماتَ أمَّرَ عليهمُ العَلاءَ بنَ الحَضرَميِّ. فلَمَّا جاء أبو عُبَيدةَ رَضيَ اللهُ عنه بهذا المالِ، كان ذلك في وَقتِ صَلاةِ الفَجرِ، فحَضَر النَّاسُ الصَّلاةَ، فلَمَّا صلَّى النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وانصَرَفَ مِنَ الصَّلاةِ وتوَجَّهَ إلى النَّاسِ، تَعَرَّضَ الأنصارُ له كأنَّهم سَأَلوه بالإشارةِ لِمَعرِفَتِهم بكَرَمِ أخلاقِه؛ لِيَقسِمَ بيْنَهم ما جاء به أبو عُبَيدةَ؛ لِأنَّهم أرهَقَتْهمُ الحاجةُ والفاقةُ التي كانوا عليها، وليس حِرصًا على الدُّنيا، ولا رَغبةً فيها، فعَلِمَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ما يُريدونَ، فتَبسَّمَ، وقال: «أظُنُّكم قدْ سَمِعتُم أنَّ أبا عُبَيدةَ قد جاءَ بشَيءٍ؟»

ابن بطال رحمه الله: "فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فُتحت عليه أن يحذَر من سوء عاقبتها، وشر فتنتها، فلا يطمئن إلى زخرفها، ولا ينافس غيره فيها" [٢٩٦]، ومتى ما علم المؤمن أن المال ابتلاء وفتنة، رغب فيما عند الله من الأجر، واستعد بماله لسؤال القبر، فما أهلك كثيرًا من الناس اليوم إلا حب الدنيا وملذَّاتها، وما أعشى أبصارهم إلا زينتها وزخرفها، أما أن يفتح الله عليك الدنيا، فتستعمل ما أوتيت في حقِّه، وتراقب الله في إنفاقه، فذلك حسن محمود.

٥. الابتلاء بالشدائد والمحن، والتمحيص بالمصائب والإحن [٢٩٧]؛ قال الله سبحانه وتعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: ٣٥]، وحياة الإنسان بعامة قائمة على الابتلاء؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [الإنسان: ٢]، وقال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} [البلد: ٤]؛ أي: في مكابدة ومعاناة في هذه الدنيا، التي قال عنها علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها

قالوا: أجَلْ يا رَسولَ اللهِ، قال: «فأبشِروا وأمِّلوا»، أي: ارجوا ما يَسُرُّكم، وهذا تَهوينٌ منه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عليهم ما هُم فيه مِنَ الشِّدَّةِ، وبِشارةٌ لهم بتَعجيلِ الفَتحِ عليهم. ثمَّ أقسَمَ لهم قائِلًا: «فوَاللهِ لا الفَقرَ أخشى عليكم، ولكِنْ أخْشى عليكمْ أنْ تُبسَطَ عليكمُ الدُّنيا»، والمُرادُ به الغِنى وكَثرةُ المالِ، كما بُسِطَتْ على مَن كان مِنَ الأُمَمِ التي قَبْلكم، فتَتَسابَقوا إلى تَحصيلِها، فتُؤدِّيَ إلى هَلاكِكم؛ بسَبَبِ التَّنازُعِ عليها، والرُّكونِ إليها، والاشتِغالِ بها عنِ الآخِرةِ، كما حدَثَ مع الأُمَمِ مِن قبْلِكم. وفي هذا إنذارٌ بما سيَقَعُ، وقد وَقَعَ ما أخبَرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ إذْ فُتِحتِ الدُّنيا بعْدَه وبُسِطتْ، وحَصَلَ التَّحاسُدُ والتَّقاتُلُ وما هو مَعروفٌ ممَّا يَشهَدُ بمِصداقِ خَبَرِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. {وفي الحديثِ: أنَّ طَلَبَ العَطاءِ مِنَ الإمامِ لا غَضاضةَ فيه. وفيه: البُشرى مِنَ الإمامِ لِأتباعِه، وتَوسيعُ أمَلِهم منه. وفيه: أنَّ المُنافَسةَ في الدُّنيا قد تَجُرُّ إلى هَلاكِ الدِّينِ}.

٢٩٦ كتاب شرح صحيح البخاري لابن بطال؛ ج١٠ ص ١٥٥.

٢٩٧ الابتلاء: هو الاختبار والامتحان؛ قال ابن منظور: "ابتلاه الله: امتحنه، والاسم: البَلْوى، والبلوة، والبِلْية، والبليَّة، والبلاء".

فناء" [٢٩٨]، ولكنه فناء يعقبه حساب وجزاء. فكم غني ابتلاه الله بالفقر! وكم صحيح ابتلاه الله بالسقم! وكم قوي ابتلاه الله بالضَّعف! وكم رفيع ابتلاه الله بالخمول والوضع! وهذه سنة الله في خلقه، ليعلم الصادق من الكاذب، وليعلم الصابر من الجازع؛ قال تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ٢-٣]، وقال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة: ٢١٤]، وما دام الإنسان مختلطًا بغيره، محتكًّا ببني جنسه، فلينتظر البلاء والامتحان، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "المؤمنُ الَّذي يخالطُ النّاسَ ويصبرُ على أذاهم أعظمُ أجرًا منَ المؤمنِ الَّذي لاَ يخالطُ النّاسَ ولاَ يصبرُ على أذاهم" [٢٩٩]،

٢٩٨ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، في حلالها حساب وفي حرامها عقاب، من صح فيها ما أمن، ومن مرض ندم ومن استغنى فتن، ومن افتقر فيها حزن!" [الذخائر والعبقريات؛ عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد بن أحمد البرقوقي؛ (٢٧١/١)].

٢٩٩ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح ابن ماجه ٣٢٧٣؛ أخرجه ابن ماجه ٤٠٣٢ واللفظ له، وأحمد ٥٠٢٢ باختلاف يسير، {وفي رواية: "المسلِمُ إذا كانَ مخالطًا النّاسَ ويصبِرُ على أذاهم خيرٌ منَ المسلمِ الَّذي لا يخالطُ النّاسَ ولا يصبرُ على أذاهم" [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ٢٥٠٧].

لَمّا كانَت مُخالَطةُ النّاسِ سَبيلًا إلى نَشْرِ الأخلاقِ الحسَنةِ والفضائلِ وأَخْذِ الأُسْوةِ جعَل النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم الخَيريَّةَ لِمَن يُخالِطُ النّاسَ على الَّذي يَعتزِلُهم. وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «المسلِمُ إذا كان مُخالِطًا النّاسَ»، أي: موجودًا بينَهم ويتَعامَلُ معَهم ويؤثِّرُ فيهم ويتَأثَّرُ بهم التأثُّرَ الحسَنَ، «ويَصبِرُ على أذاهم»، أي: ويَصبِرُ على ما يُصيبُه مِنهم مِن مَكروهٍ وأذًى، ويُقابِلُ السَّيِّئةَ بالحسَنةِ، ويَعْفو ويصفَحُ، «خيرٌ»، أي: أفضَلُ حالًا وأكثرُ ثوابًا وأعظَمُ أجرًا، «مِن المسلِمِ الَّذي لا يُخالِطُ النّاسَ ولا يَصبِرُ على أذاهم»، أي: مِن المسلِمِ الذي اعتَزَل النّاسَ وبَعُد عنهم فلم يُساكِنْهم ولم يُعاشِرْهم ولم يُعامِلْهم، وذلك لأنَّ الَّذي يُخالِطُ النّاسَ ويتَعامَلُ معَهم يَجِدُ مِن البلاءِ والأذى ما لا يَجِدُه المعتزِلُ، فإن صبَر على ذلك كان له عظيمُ الأجرِ والثَّوابِ. وفيه: فضلُ مُخالَطةِ النّاسِ ومُعامَلتِهم على اعتِزالِهم والبُعدِ عنهم.

والابتلاء عام في أولياء الله وخُلَصائه، وما يزال منطلقًا صعودًا وانحدارًا بحسب منسوب الإيمان قوةً وضعفًا؛ قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: سُئِلَ رسولُ اللهِ أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: "الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثلُ يُبتَلى الناسُ على قدرِ دِينِهم فمن ثَخُنَ دِينُه اشتدَّ بلاؤه ومن ضعُف دِينُه ضعُفَ بلاؤه وإنَّ الرجلَ لَيصيبُه البلاءُ حتى يمشيَ في الناسِ ما عليه خطيئةٌ" [٣٠٠]، ومن حكم ابتلاء المؤمنين:

- تمحيص الله لهم، وتخليص صفِّهم من الدخلاء والانتهازيين، ممن يوهمون الناس بصدق عبادتهم، وخلوص عقيدتهم، حتى إذا ابتلوا، سقطوا في أول اختبار،

٣٠٠ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ٣٤٠٢، {وفي رواية: "قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أيُّ النّاسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: "الأنبياءُ ثمَّ الأمثلُ فالأمثَلُ، فيُبتلى الرَّجلُ على حسْبِ دينِه، فإن كانَ في دينِهِ صلبًا اشتدَّ بلاؤُهُ، وإن كانَ في دينِهِ رقَّةٌ ابتليَ على حسْبِ دينِه، فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتّى يترُكَهُ يمشي على الأرضِ ما عليْهِ خطيئةٌ" [حديثٌ حسنٌ صحيحٌ: أخرجهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ٢٣٩٨، وقال عنه: حسن صحيح]}.

جعَل اللهُ ابتلاءَ العبادِ بالمصائبِ والبلايا كفّاراتٍ للذُّنوبِ ومَحوًا للسَّيِّئاتِ؛ وذلك أنَّ اللهَ إذا أحَبَّ عبدًا ابتَلاه لِيَغفِرَ له ذُنوبَه، حتّى إذا لَقِيَه لم يَكُنْ عليه خَطيئةٌ. وفي هذا الحديثِ يقولُ سعدُ بنُ أبي وقّاصٍ رضِيَ اللهُ عَنه: «قلتُ: يا رسولَ اللهِ، أيُّ النّاسِ أشَدُّ بَلاءً؟»، أي: مَن أثقَلُ النّاسِ ابتِلاءً وأشَدُّهم مَصائِبَ وبَلايا؟ «قال»، أي: النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «الأنبياءُ»، أي: أشَدُّ النّاسِ الَّذين يُبتَلَون وأثقَلُهم بلاءً ومصائبَ وبلايا هم الأنبياءُ، «ثمَّ الأمثَلُ فالأمثَلُ»، أي: ثمَّ الصّالِحون فالصّالحون وأشبَهُهم بالأنبياءِ، «فيُبتَلى الرَّجلُ على حسَبِ دينِه»، أي: ويَكونُ البلاءُ على قدرِ دينِ المرءِ قوَّةً وضَعفًا، «فإن كان في دينِه صُلبًا اشتَدَّ بَلاؤُه»، أي: فإن كان دينُ المرءِ صُلبًا قويًّا، وإيمانُه شَديدًا كان البلاءُ شديدًا، والمصائبُ والبلايا كثيرةً، «وإن كان في دينِه رِقَّةٌ ابتُلِي على حسَبِ دينِه»، أي: وإن كان دينُ المرءِ ضَعيفًا رَقيقًا كان البلاءُ خَفيفًا والبلايا قليلةً، فكلُّ امرِئٍ يُبتَلى على قدرِ دينِه، «فما يَبرَحُ البلاءُ بالعبدِ»، أي: فلا يَزالُ البلاءُ نازِلًا على العبدِ والبلايا تُصيبُه، «حتّى يَترُكَه يَمْشي على الأرضِ ما عليه خَطيئةٌ»، أي: حتّى يَغفِرَ اللهُ للعبدِ المبتلى ذُنوبَه بهذا البلاءِ وتلك البلايا، فيَترُكُ البلاءُ العبدَ وقد غُفِرَت له ذنوبُه كلُّها، وليس عليه شيءٌ أبدًا، ويكونَ للمؤمِنين المبتَلَيْن على ذلك الجزاءُ الحسَنُ يومَ القِيامةِ.

وفي الحديثِ: أنَّ البلايا والمصائِبَ كَفّاراتٌ للذُّنوبِ والخَطايا. وفيه: بيانُ أنَّ الابتِلاءَ مِن شأنِ الصّالحين.

فأبانوا عن زيف معدنهم، وفساد طينتهم؛ قال تعالى: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} [آل عمران: ١٧٩].

- لبيان حقيقة صبرهم وتحملهم، حين يبتلون بالخوف بعد الأمن، والجوع بعد الشبع، والفقر بعد الغنى، والاستيحاش بفقد الأقرباء والأحبَّة بعد الأنسة؛ قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ١٥٥].
- رفعًا لدرجاتهم، وتدليلًا على محبة الله لهم؛ قال صلى الله عليه وسلم: "مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُصِبْ منه" [٣٠١].
- يأتي الابتلاء بمثابة مكفِّر للخطايا، ومُرمِضٍ للسيئات، ومُوضِعٍ للآثام؛ قال صلى الله عليه وسلم: "ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولا وصَبٍ، ولا هَمٍّ ولا حُزْنٍ ولا أذًى ولا غَمٍّ، حتّى الشَّوْكَةِ يُشاكُها، إلّا كَفَّرَ اللَّهُ بها مِن خَطاياهُ" [٣٠٢]، فقد تصيبك

٣٠١ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٥٦٤٥.

في هذا الحَديثِ بُشرى عظيمةٌ لكلِّ مؤمن وتعزيةٌ له فيما أصابه؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، يُصِبْ مِنْهُ»، وقوله: يُصب، قُرئ بوجهينِ: بفَتْحِ الصّاد «يُصَب»، وكَسرِها «يُصِب»، وكلاهما صحيحٌ؛ أمّا (يُصِب منه)، فالمعنى: أنَّ الله يُقدِّر عليه المصائبَ حتّى يَبتليَه بها: أيصبِر أم يضجَر؟ وأمّا (يُصَب منه)، فهي أعمُّ؛ أي: يُصابُ من الله ومن غيره، وإنَّما كانتِ الإصابة خيرًا؛ لِما فيها من اللُّجوء إلى المَولى، ولِما فيها مِن تكفيرِ السيِّئات أو تحصيلِ الحَسنات، أو هما جميعًا.

٣٠٢ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٥٦٤١، {وفي رواية: "ما مِن مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ إلّا كَفَّرَ اللَّهُ بها عنْه، حتّى الشَّوْكَةِ يُشاكُها" [حديثٌ صحيحٌ متفقٌ عليه: أخرجه البخاري (٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢)]}.

نصب: تعب، وصب: مرض.

في هذا الحديثِ تَسليةٌ للمؤمنِ فيما يُصِيبُهُ من مصائبِ الدُّنيا ومن الأمراض؛ فكلُّ ما يُصيبُ المؤمنَ خيرٌ له؛ يقولُ صلى الله عليه وسلم: «ما مِن مُصيبةٍ»، وتنكيرُ كلمة (مصيبة) يُفيد العمومَ والشُّمول؛ أيْ: أيُّ مصيبةٍ، كبيرةً كانتْ أو صغيرة، أيًّا كان قدرُها؛ تُصيب المسلمَ إلّا كانتْ تكفيرًا لذُنوبِه، وفي حديث آخَرَ تفصيلُ هذه الأشياءِ التي تصيبُه، سواءٌ كان تعبًا أو همًّا أو غمًّا أو حزنًا، فما من مصيبةٍ تُصيب العبدَ المؤمن إلّا ويَرفَع اللهُ

شوكة، فتزيلها بكل سهولة، ولأنك صبرت لها، وتحمَّلت ألمها في سبيل الله، تكون إزالتك لها مسحًا لذنب ارتكبته، أو دفعًا لضُرٍّ وقيته، وقد تعثر العثرة الخفيفة، فتعلم أنها ابتلاء من الله، فتحمده عليها، فيكفِّر الله بها من خطاياك.

- قد يكون الابتلاء تعجيلًا لهم للعقوبة على الذنب في الدنيا، لتسلم لهم آخرتهم؛ قال صلى الله عليه وسلم: "إذا أرادَ اللهُ بعبدِه الخيرَ عجَّلَ لهُ العقوبةَ في الدنيا، وإذا أرادَ بعبدِه الشرَّ أمسَكَ عنهُ بذنْبِه حتى يُوافَي به يومَ القيامةِ" [٣٠٣]، بل قد

بها درجتَه، ويحطُّ عنه خَطاياه ويُطهِّرُه بها مِن ذُنوبه ومعاصِيه، حتى لو كانتْ هذه المصيبةُ شوكةً تُصيب العبدَ.

٣٠٣ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٣٠٨، {وفي رواية: "إذا أرادَ اللَّهُ بعبدِه الخيرَ عجَّلَ لَه العقوبةَ في الدُّنيا، وإذا أرادَ اللَّهُ بعبدِه الشَّرَّ أمسَك عنهُ بذنبِه حتّى يوافيَ بِه يومَ القيامة" [حديثٌ حسن صحيحٌ: أخرجهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ٢٣٩٦، وقال عنه: حسن صحيح؛ أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) واللفظ له، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣١٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤٣٥) باختلاف يسير.

الإنسانُ لا يَخلو مِن خَطأٍ ومعصيةٍ وتقصيرٍ في الواجبِ، ومَن لَطَف اللهُ به وأرادَ به خيرًا عَجَّلَ له عُقوبةَ ذَنبِه في الدُّنيا؛ لأنَّ عذابَ الدُّنيا أهونُ عليه مِن عذابِ الآخِرَة. وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إذا أراد اللهُ بعبدِه الخيرَ»، أي: إذا قضى وقدَّرَ رَحمتَه لِعبدٍ مِن عبادِه، «عجَّل له العقوبةَ في الدُّنيا»، أي: ابتَلاه بما يَسُوءُه، إمّا في مالِه، أو نفسِه، أو أهلِه؛ وذلك لأنَّ الابتلاءَ يكفِّرُ السَّيِّئاتِ، والمؤمنُ لا يَقْوى على عذابِ الآخرةِ؛ فذلك مِن عظيمِ رحمةِ الله بعبدِه المؤمنِ؛ فإنَّه يُوافي اللهَ يومَ القِيامةِ وليس عليه ذَنبٌ، قد طهَّرَتْه المصائبُ والبلايا. قال صلى الله عليه وسلم: «وإذا أراد اللهُ بعبدِه الشَّرَّ»، فالأمورُ كلُّها بيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ وبإرادتِه؛ فإنَّه سبحانَه {فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ} [البروج: ١٦]، «أمسَك عنه بذَنْبِه»، أي: لم يُعجِّلْ عُقوبتَه على ما ارتكَبه مِن الذَّنبِ، وجمَع له ذنوبَه وسيِّئاتِه دون أن يُجازيَه بشيءٍ منها في الدُّنيا، «حتّى يُوافيَ به يومَ القيامةِ»، أي: حتّى يَلْقاه بها يومَ القيامةِ، فتكونَ عُقوبتُه مِن نارِ جهنَّمَ على قدرِ ما كانتْ عليه مِن سيِّئاتٍ. وبيانُ إرادةِ اللهِ تعالى الخيرَ والشرَّ بعِبادِه: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خلَقَ الخيرَ والشرَّ، وبيَّن الأمرَ لعِبادِه وعَرَّفهم الخيرَ والشرَّ، فإذا اختارَ العبدُ طريقَ الشرِّ بعدَ أنْ عرَّفَه، فقدِ اختارَ لنَفْسِه أمرًا ممّا أراده الله وخَلَقَه، ويعاقب عليه، وإرادتُه للشرِّ إرادةٌ قدريَّة؛ لحِكمةٍ يَعلَمُها، وعُقوبةُ مَن يستحقُّ العقوبةَ خيرٌ محضٌ إذ هو عينُ العدلِ والحِكمةِ، وذلك يكونُ شرًّا بالنسبةِ للخَلقِ، فالشرُّ وقَع في تَعلُّقِه بهم وقيامِه بهم، لا في فِعلِه القائمِ به سبحانَه وتعالى.

تكون للعبد منزلة عظيمة عند الله؛ لكن لم يبلغها بعمله، فيزيد الله في بلائه حتى يبلغه منزلته؛ قال صلى الله عليه وسلم: "إن العبد إذا سبقتْ له من اللهِ منزلةٌ لم يبلغها بعملهِ ابتلاهُ اللهُ في جسدِهِ أو في مالهِ أو في ولدِهِ ثم صبَّرهُ على ذلكَ حتى يبلغهُ المنزلة التي سبقتْ لهُ من اللهِ تعالى" [٣٠٤]، ومن الابتلاءات المكفرات، هذه الأمراض التي عمَّت وطمَّت، والتي يحوّلها إيمان المسلم من محن إلى منح وفرص، تستوجب اللجأ إلى الله عز وجل الذي يختبر عبده الذي يحبه بمثل هذه الشدائد؛ قال تعالى عزَّ وجلَّ: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} [محمد: ٣١]، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "مصيبة تقبل بها على الله، خيرٌ من نعمة تُنسيك ذكر الله" [٣٠٥].

٦. الرضا بما يعطي الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ وبما يمنع: فلا تسخُّط، ولا تأفُّف، ولا تأوُّه؛ لأنّه أعطاك ليختبرك، ومنعك ليبتليك، وهو تعالى في الأمرين يحبُّك، فقابل تقديره بالقبول، وابتلاءه بالرضا، وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "وأسألُكَ الرِّضاءَ بعدَ القضاءِ" [٣٠٦]، ومن كلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "لأن ألحَسَ جمرةً أحرقت ما أحرقت، وأبقت ما أبقت، أحبُّ إليَّ من أن أقول لشيء

٣٠٤ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح أبي داود ٣٠٩٠.

الابتِلاءُ مِنَ حِكَمِ اللهِ تعالى ليَختبِرَ عباده، وفي الابتلاءِ خيرٌ للعَبدِ الصّابرِ الشّاكرِ؛ يَغفِرُ بِه اللهُ تعالى للعَبدِ ذُنوبَه، ويَزيدُ في درَجتِه ويَرْفَعُ مَنزِلَتِه في الجنَّةِ. وفي هذا الحديثِ يَقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ العبْدَ إذا سَبقت له مِنَ اللهِ مَنزِلةٌ»، أي: كتَبَ اللهُ له مِن قَبلِ خَلقِه درَجةً في الجنَّةِ «لَم يَبلُغْها بعمَلِه، ابتَلاه اللهُ في جسَدِه، أو في مالِه، أو في وَلَدِه، ثمَّ صَبَّرَه»، أي: رَزَقه الصَّبرَ «على ذلك»، فلَم يَكُنْ شاكِيًا مُتسخِّطًا، «حتّى يُبلِّغَه المنزِلةَ الَّتي سبَقَتْ له مِن اللهِ تعالى»، فيَكونُ هذا مِن توفيقِ اللهِ للعَبدِ إلى الطّاعاتِ، حتّى يُبلِّغَه المنزِلةَ الكريمةَ الَّتي أعَدَّها له سبحانه. {وفي الحديثِ: بَيانُ أثَرِ الصَّبرِ على المَصائِبِ في رَفعِ الدَّرَجاتِ}.

٣٠٥ جامع الرسائل لابن تيمية ٩/٣٨٧.

٣٠٦ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح النسائي ١٣٠٤؛ أخرجه النسائي (١٣٠٥) واللفظ له، وأحمد (١٨٣٢٥)، من حديث عمار بن ياسر.

كان: ليته لم يكن، أو لشيء لم يكن: ليته كان" [٣٠٧]، ولقد سأل رجل الفضيل بن عياض رحمه الله، فقال: يا أبا علي، متى يبلغ الرجل غايته من حبِّ الله تعالى؟ فقال له الفضيل: "إذا كان عطاؤه ومنعه إيَّاك عندك سواءً، فقد بلغت الغاية من حبِّه" [٣٠٨]، وذكر ابن الجوزي قصة أحد الصالحين، ابتلاه الله ليختبر حبَّه له، فجعله مكفوفًا، مجذومًا، مقعدًا، حتى جعل الزنبور يقع عليه فيقطع لحمه، فقال: "وعزَّتك وجلالك، لو قطعتني إرْبًا إرْبًا، أو صببت عليَّ البلاء صبًّا، ما ازددت إلَّا حبًّا" [٣٠٩].

٧. محبة كلام الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ، والانشغال بتلاوته وتدبُّره: فلا حب لله مع هجر كلامه، ولا حب لله مع عدم التلذُّذ بتلاوته، والتمتُّع بالاستماع إليه، فالقرآن الكريم جنة العابدين، وبُستان الزاهدين، وكنز المتلذِّذين، وبهجة مجالس المجتمعين؛ قال ابن القيم رحمه الله: "وكذلك محبَّة كلام الله، فإنّه من علامة حُبِّ الله، وإذا أردْتَ أن تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله، فانظر محبة القرآن من قلبك، والتذاذك بسماعه أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم" [٣١٠]، ورحم الله ابن القيم، فقد علم أنّ من الناس من ينشغل بالغناء والطرب، حتى يُلهيه ذلك عن كتاب الله، فينفق الساعات الطوال للسَّماع، ولا يجد نصف ساعة في اليوم يفتح فيها كتاب الله، يقرؤه، ويتدبَّره، ويقوي إيمانه بالتأمُّل في آياته، حتى إذا قرأ منه بعض آيات، لم يشعُر لها بلذَّة، ولم يستفد منها بومضة، قال سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: ١٤]، قال ابن جزي رحمه الله: "أي: غطَّى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب، فطمس بصائرهم" [٣١١]. قال عثمان بن عفان رضي الله

٣٠٧ إيقاظ الهمم شرح متن الحكم؛ المؤلف: ابن عجيبة (٣٦/١).

٣٠٨ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، ج٨، ص١١٣.

٣٠٩ صفة الصفوة؛ عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج؛ (٦٠/٤).

٣١٠ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)؛ ابن قيم الجوزية؛ (1/170).

٣١١ التسهيل لعلوم التنزيل - ابن جُزَيّ.

عنه: "لو طهرت قلوبنا، ما شبعت من كلام الله" [٣١٢].

٨. القيام بالأعمال الحسنة، والاتّصاف بالأخلاق الحميدة: إذ لا يجتمع حب الله {سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ} والكلام الفاحش، ولَمْ يَكُنْ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ فاحِشًا ولا مُتَفَحِّشًا، وإنَّه كانَ يقولُ: "إنَّ خِيارَكُمْ أحاسِنُكُمْ أخْلاقًا" [٣١٣]، ولا يجتمع حبُّ الله {سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ} مع الإساءة إلى الجار، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوائِقَهُ" [٣١٤]، ولا يجتمع حُبُّ الله

٣١٢ البداية والنهاية، لابن كثير، ٧ / ٢١٤.

٣١٣ حديثٌ صحيحٌ متفق عليه؛ أخرجه البخاري ٦٠٣٥، ومسلم ٦٨ - ٢٣٢١، وفي رواية: {"إنَّ مِن خِيارِكُمْ أحْسَنَكُمْ أخْلاقًا" [حديثٌ صحيحٌ متفق عليه؛ أخرجه البخاري ٣٥٥٩، ومسلم ٦٨ - ٢٣٢١]}.

قال اللهُ تعالى عن نَبيِّه صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظيمٍ} [القلم: ٤]، فهو أكمَلُ النّاسِ أخْلاقًا؛ فقدْ أدَّبَه رَبُّه فأحسَنَ تَأْديبَه. وفي هذا الحَديثِ يَرْوي عبدُ اللهِ بنُ عَمرِو بنِ العاصِ رَضيَ اللهُ عنهما أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ لم يكُنْ فاحشًا ولا مُتفحِّشًا، فلم يكُنْ ناطقًا بالفُحشِ ولا مُتكلِّفًا فيه، فلم يكُنِ الفُحشُ خُلقًا أصيلًا فيه ولا مُكتَسبًا، والفُحشُ: زِيادةُ الشَّيءِ على المألوفِ مِن مِقْدارِه. والمُتفحِّشُ: الَّذي يَتكلَّفُ ذلك ويَتعمَّدُه؛ لفَسادِ حالِه، وقد يكونُ المُتفحِّشُ الَّذي يَأْتي الفاحشةَ، فكان صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ لا يَصدُرُ منه الكَلامُ القَبيحُ طَبعًا، ولا تَطبُّعًا، ولا مُجاراةً لغَيرِه، فلا يَستفِزُّه السُّفهاءُ فيُجاريَهم في سفَهِهم؛ لأنَّه أملَكُ النّاسِ لغَرائِزِه وانْفِعالاتِه النَّفْسيَّةِ، فإذا تجرَّأَ عليه سَفيهٌ بالشَّتيمةِ لا يَرُدُّ عليه بمِثلِها امتِثالًا لأمرِ ربِّه الَّذي أدَّبَه بقَولِه: {وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩]. وكان صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَقولُ: «إنَّ مِن خِيارِكم أحسَنَكم أخْلاقًا»، يَعني: أفضَلُكم هو أحسَنُكم خُلُقًا. وحُسنُ الخُلُقِ هو صِفةُ أنْبياءِ اللهِ تعالى وأوْليائِه، وحَقيقةُ حُسنِ الخُلُقِ بَذلُ المَعروفِ وكفُّ الأذى، وطَلاقةُ الوَجهِ، ومُخالَطةُ النّاسِ بالجَميلِ والبِشرُ، والتَّودُّدُ لهم، والإشْفاقُ عليهم، واحتِمالُهم، والحِلمُ عنهم، والصَّبرُ عليهم في المَكارِهِ، وتَركُ الكِبرِ والاستِطالةِ عليهم، ومُجانَبةُ الغِلْظةِ، والغَضبِ، والمؤاخَذةِ. {وفي الحَديثِ: الحثُّ على حُسنِ الخُلقِ. وفيه: بَيانُ كَمالِ خُلقِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ. وفيه: بَيانُ فَضيلةِ صاحِبِ الخُلقِ الحَسنِ}.

٣١٤ حديثٌ صحيحٌ؛ أخرجه مسلم ٧٣ - ٤٦.

يَحُثُّ الإسلامُ على إقامةِ حياةٍ مُجتمعيَّةٍ آمنةٍ وهادئةٍ ومستقِرَّة، وقَرَّر لتحقيقِ ذلك أوامرَ ونواهيَ كثيرة؛ لِضمان حُسْنِ العلاقةِ بين النّاسِ، ومِن ذلك: الأوامرُ بإحسانِ كلِّ جارٍ إلى جارِه، والوصيَّة به، والإهداء إليه، والنَّهي عن سُوءِ معاملتِه أو إلحاق الضَّرر به، وغير ذلك من الأوامرِ والنَّواهي. وهذا الحديثِ من أشدِّ الأحاديثِ في

{سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ} مع الكذب، تقول عائشة رضي الله عنها: "ما كانَ خلقٌ أبغضَ إلى رسولِ اللهِ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ منَ الكذبِ ولقد كانَ الرَّجلُ يحدِّثُ عندَ النَّبيِّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بالكذبةِ فما يزالُ في نفسِه حتّى يعلمَ أنَّهُ قد أحدثَ منها توبةً" [٣١٥]، ولا يجتمع حب الله {سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ} مع أخذ الرشوة، والراشي والمرتشي ملعونان في شريعتنا فقد "لعنَ رسولُ اللهِ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ الرّاشي والمُرْتَشي في الحكمِ" [٣١٦]، ولا يجتمع حبُّ الله {سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ} مع الغش

عاقبةِ المُسيء إلى جيرانه؛ حيثُ قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «لا يَدخُلُ الجَنَّةَ مَن لا يأمَن جارُه بوائقَه» والبوائِق: الظُّلمُ والجَورُ والتَّعدِّي، وقوله: «لا يَدخُل الجنة»، معناه أنَّه إذا كان مُسلِمًا وماتَ على التَّوحيدِ، فإنَّه لا يَدخُل الجَنَّة مع الدّاخلين الأوَّلين، ولكنَّه يُمنَع مِن دُخولها أولًا حتى يُحاسَب، ثمَّ يَدخُل الجَنَّةَ؛ لأنَّه شهِدَ بالتَّوحيد. {وفي الحديث: الزَّجرُ الشَّديدُ عن إيذاءِ الجيران}.

٣١٥ حديثٌ إسناده صحيح: قال عنه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ: إسناده صحـيح؛ فِي صحيح الترمذي ١٩٧٣؛ أخرجه الترمذي (١٩٧٣) واللفظ له، وأحمد (٢٥١٨٣) باختلاف يسير.

الكذِبُ مِن الأخلاقِ المذمومَةِ، وهو مِن صِفاتِ المنافقين؛ ولذلك حذَّر منه النَّبيُّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ تحذيرًا شديدًا وكان يُبغِضُه بغضًا شديدًا أيضًا، كما تقولُ عائشةُ رَضِي اللهُ عَنها في هذا الحديثِ: «ما كان خُلُقٌ أبغَضَ إلى رسولِ اللهِ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ »، أي: لا يُوجَدُ خلُقٌ ذَميمٌ كان يكرَه النَّبيُّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ يكونَ في الإنسانِ ويتخلَّقَ به أكْثرَ «مِن الكَذِبِ»، أي: كان الكذِبُ مِن أكثَرِ ما يَكرَهُه النَّبيُّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ في الإنسانِ، والكذِبُ هو قَلبُ الحقائقِ والإخبارُ عنها بخِلافِ الواقِعِ. قالتْ رضِيَ اللهُ عنها: «ولقد كان الرَّجلُ يُحدِّثُ»، أي: يتكلَّمُ، «عند النَّبيِّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بالكَذْبَةِ»، أي: بكلامٍ فيه كذِبٌ، «فما يَزالُ في نَفسِه»، أي: يكونُ في قلبِ النَّبيِّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ونفسِه مِن هذا الرَّجلِ شيءٌ، «حتّى يعلمَ»، أي: النَّبيُّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ «أنَّه»، أي: الرَّجلَ، «قد أحدَث منها تَوبَةً»، أي: تاب مِن كذِبِه هذا، ولن يعودَ إليه مرَّةً أخرى، وفي الصَّحيحينِ عن النبيِّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّه جعَل الكذِبَ مِن صِفاتِ المنافِقين فقال: «آيةُ المُنافِقِ ثَلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخلفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خانَ»؛ فيَنبغي أنْ يبتعِدَ عنه المسلِمُ الحقُّ. {وفي الحديثِ: بيانُ قُبحِ الكذِبِ}.

٣١٦ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ١٣٣٦.

الرِّشْوةُ هي ما يُعْطى ويُبذَلُ لإبطالِ حقٍّ، أو لإحقاقِ باطلٍ؛ وقد نهى النَّبيُّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ عنها وحذَّر منها تحذيرًا شديدًا، كما في هذا الحديثِ، حيثُ يقولُ أبو هريرةَ رَضِي اللهُ عنه: «لعَن رسولُ اللهِ صلّى اللَّهُ عليهِ

في العمل، فإنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ مَرَّ على صُبْرَةِ طَعامٍ فأدْخَلَ يَدَهُ فيها، فَنالَتْ أصابِعُهُ بَلَلًا فقالَ: "ما هذا يا صاحِبَ الطَّعامِ؟" قالَ أصابَتْهُ السَّماءُ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: "أفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعامِ كَيْ يَراهُ النّاسُ، مَن غَشَّ فليسَ مِنِّي" [٣١٧]، ولا

وسلَّمَ »، أي: دَعا النَّبيُّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بالطَّردِ مِن رَحمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ على مَن يَفعَلُ هذه الأفعالَ، وهذا يدلُّ على أنَّها مِن كَبائِرِ الذُّنوبِ، «الرّاشيَ»، أي: الدّافعَ للرِّشْوةِ، «والمرتشِيَ»، أي: الآخِذَ للرِّشْوةِ وقابِضَها، «في الحُكمِ»، أي: الَّتي يأخُذُها الحُكّامُ وأولياءُ الأمرِ لِقَضاءِ أمرٍ وإتمامِه على خِلافِ ما يَجِبُ أن يكونَ. ورُوِيَ «والرّائِشَ»، وهو الَّذي يَمْشي بينَ الرّاشي والمرتشِي كواسطةٍ، وهذا كلُّه على وَجهِ العُمومِ في التَّحريمِ. وقيل: ولا يَدْخُلُ في اللَّعنِ مَن رَشا لِيَصِلَ إلى حَقِّه الممنوعِ عنه، إذا اضْطُرَّ إلى ذلك، وأمّا المُرْتَشِي منه لِيُوصِلَه إلى حَقِّه، فهو داخلٌ في اللَّعنِ؛ لأنَّه يَأخُذُ العَطاءَ بلا حقٍّ له فيه؛ ليُوصِلَ الحقَّ لأصحابِه مع أنَّه مأمورٌ شرعًا بإيصالِ الحقوقِ لأصحابِها. وقيل: إنَّ الآخِذَ إذا أخَذ لِيَسعى في نَوالِ صاحِبِ الحقِّ لحَقِّه فلا بأسَ به، لكن هذا يَنْبغي أن يَكونَ في غيرِ القُضاةِ والوُلاةِ؛ لأنَّ السَّعيَ في إصابةِ الحقِّ إلى مُستَحِقِّه، ودفْعِ الظّالِمِ عن المظلومِ- واجبٌ عليهم، وإلّا فليسَ لهم الأخذُ عليه. {وفي الحديثِ: التَّرهيبُ الشَّديدُ مِن أخْذِ الرِّشوةِ ودَفْعِها}.

٣١٧ حديثٌ صحيحٌ؛ أخرجه مسلم ١٠٢. {وفي رواية: "مَنْ غشَّنا فليس منا" [أخرجه مسلم ١٦٤ - ١٠١]}.

الأمانةُ من مَحاسِنِ الأخلاقِ، والتَّعاملُ في التِّجارةِ والأمورِ المادِّيَّة يَستلزِمُ الأمانةَ؛ حتّى تتِمَّ الأمورُ والتَّعاملات بين النّاس بلا مُنازَعات، وبلا إثارةِ شُرورٍ في المُجتمَع، وعلى العكسِ مِن ذلك؛ فإنّ الغِشَّ والخِداعَ يَجلِب على المجتمعِ الويلاتِ مع البَغضاء والتَّشاحُن بين النّاس. وهذا الحديثُ يُوضِّح أنَّ الغِشَّ ليس من الإسلام، وأنَّ الغشّاشَ على خَطرٍ عظيمٍ، وفيه: «أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ مَرَّ على صُبْرَة طَعامٍ»، الصُّبْرَة: هي الكَوْمةُ من الطَّعام، «فأدْخَل يدَه فيها، فنالتْ أصابعُه بَللاً»، أي: فوجَد بَللاً في أسفلِ الطَّعام، «فقال: ما هذا يا صاحبَ الطَّعام؟ قال أصابتْه السَّماءُ»، أي: سقَط عليه المطرُ فبلَّله، وهذا يعني أنَّه جَعَل الجافَّ الصَّحيحَ ظاهرًا، والمبلولَ الرَّديءَ في الأسفلِ، فقال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ له: «أفلا جعلتَه فوق الطَّعام كي يراه النّاسُ؟!»، أي: حتّى يراه النّاسُ، ويَعلموا بحالِه وما فيه العَطَب، وقد كانوا يَتبايَعون بالصُّبَرة كاملةً دون النَّظرِ إلى ما فيها، وقد عدَّ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ عملَ هذا التّاجِر غِشًّا، فقال: «مَن غشَّ فليس مِنِّي»، أي: مَن خدَع النّاسَ بأيِّ صورةٍ فليس على هَدْي النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وسُنَّته وطريقتِه، وهذا زَجْرٌ شديدٌ من النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ ، وفيه تهديدٌ لِمَن تَمادى في الغِشِّ بأنْ يَخرُج عن طريقةِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ. {وفي الحديث: الزَّجرُ والنَّهيُ عن الغِشِّ في كلِّ الأمور وفي المعاملاتِ خاصَّةً. وفيه: ضرورةُ تَبيينِ عيبِ السِّلعة للمُشتَري}.

يجتمع حُبُّ الله {سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ} مع التحايُل على الناس في الخصومة، لأكل أموالهم بالباطل، أو سلب حقوقهم ومستحقَّاتهم، فهذا جزاؤه من الله السخط لا الحب؛ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "مَن حالَت شفاعتُهُ دونَ حدٍّ من حدودِ اللَّهِ فقَد ضادَّ اللَّهَ، ومَن خاصمَ في باطلٍ وَهوَ يعلمُهُ، لم يزَلْ في سَخطِ اللَّهِ حتّى ينزِعَ عنهُ، ومَن قالَ في مؤمنٍ ما ليسَ فيهِ أسكنَهُ اللَّهُ رَدغةَ الخبالِ حتّى يخرجَ ممّا قالَ" [٣١٨]، ويجمع التحذير من كل ذلك، حديث عبد الرحمن بن أبي قراد رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ توضأ يومًا؛ فجعل أصحابُه يتمسَّحون بوضوئه، فقال لهم النبي صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: "ما يجمعكم على هذا؟!"، قالوا: حبُّ اللهِ ورسولِه! فقال صلى الله عليه وسلم: "فمن سرَّه أن يحبَّ اللهَ ورسولَه أو يحبُّه اللهُ ورسولُه؛ فلْيُصدق حديثَه إذا حدَّث، ولْيؤدِّ أمانته إذا اؤتُمن، ولْيحسنْ جوارَ من جاورَه" [٣١٩].

٩. الجمع بين خلوص التوحيد لله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ، وعبادته على الوجه الذي يرتضيه؛ فالمسلم يلهج بذكر الله في كل حين، ويراقب الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ في كل عمل، ويخاف من تجاوز حدوده في كل معاملة، فشأنه العمل لله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ، والالتجاء إليه، والعيش معه، والاستعانة به، بحيث تصير تردُّدات أنفاسه،

٣١٨ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح أبي داود ٣٥٩٧؛ أخرجه أبو داود (٣٥٩٧)، وأحمد (٥٣٨٥).

مَن استَخْدَم نِعَمَ اللهِ عزَّ وجلَّ في الباطِلِ، فقَد عرَّضَ نفسَه لعُقوبةٍ شديدةٍ، وفي هذا الحديثِ يُحذِّرُنا النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ مِن ذلك فيَقولُ: «مَن حالَت شَفاعتُه دُونَ حدٍّ مِن حدودِ اللهِ»، أي: مَن استَخْدَم وَساطتَه في تَعطيلِ إقامةِ حدٍّ مِن حُدودِ اللهِ، «فقد ضادَّ اللهَ»، أي: خالَفَ أمرَ اللهِ. «ومَن خاصَمَ في باطلٍ وهو يَعلَمُه»، أي: جادَلَ في أمرٍ يَعلَمُ أنَّه غيرُ حقٍّ، «لم يَزَلْ في سخَطِ اللهِ حتّى يَنزِعَ عَنه»، أي: في غضَبٍ مِنَ اللهِ حتّى يَترُكَ هذه المُخاصَمةَ. «ومَن قال في مؤمنٍ ما ليسَ فيه»، أي: افتَرى عليه وذمَّه بالكَذِبِ، «أسكَنَه اللهُ رَدْغةَ الخَبالِ»، والرَّدْغةُ: الوَحْلُ الكَثيرُ، والخَبالُ: الفاسِدُ، والمرادُ: أنَّ اللهَ يُعذِّبُه بِعُصارةِ أهلِ النّارِ وصَديدِهم، «حتّى يَخرُجَ ممّا قال»؛ وذلك بأَن يَتوبَ ويَستَحِلَّ ممَّن قالَ فيه ذلك.

٣١٩ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي تخريج مشكاة المصابيح ٤٩٢٠.

ونبضات قلبه، وحركات جوارحه وقفًا لله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الذاريات: ٥٠]، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: "بيْنا أنا رَدِيفُ النَّبيّ صلّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ ليسَ بَيْنِي وبيْنَهُ إلّا أخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقالَ: "يا مُعاذُ بنَ جَبَلٍ"، قُلتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللَّهِ وسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سارَ ساعَةً، ثُمَّ قالَ: "يا مُعاذُ"، قُلتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللَّهِ وسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سارَ ساعَةً، ثُمَّ قالَ: "يا مُعاذُ"، قُلتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللَّهِ وسَعْدَيْكَ، قالَ: "هلْ تَدْرِي ما حَقُّ اللَّهِ على عِبادِهِ؟" قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: "حَقُّ اللَّهِ على عِبادِهِ أنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا به شيئًا"، ثُمَّ سارَ ساعَةً، ثُمَّ قالَ: "يا مُعاذُ بنَ جَبَلٍ"، قُلتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللَّهِ وسَعْدَيْكَ، فَقالَ: "هلْ تَدْرِي ما حَقُّ العِبادِ على اللَّهِ إذا فَعَلُوهُ؟" قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: "حَقُّ العِبادِ على اللَّهِ أنْ لا يُعَذِّبَهُمْ" [٣٢٠]، ولقد شبَّ بعض الناس على حبِّ الماديات، فساووا حبَّها بحبِّ الله أو أكثر، فصار المال قِبْلتهم، والجاه وجهتهم، والتفاخُر حياتهم، والاعتناء بالذات ديدنهم، والتجمُّل في المظهر هجيراهم، وربما قدموا ذلك على الصلاة فلم يصلُّوا، وإذا صلَّوا، فصلاة كسلان متثاقل، لا صلاة مستوفز مُحبٍّ، ولا عبادة متحفِّز متوثِّب، يخشى عليهم من مثل قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ

٣٢٠ حديثٌ صحيحٌ متفق عليه؛ أخرجه البخاري ٥٩٦٧، ومسلم ٤٨ - ٣٠.

يَحكِي مُعاذُ بنُ جَبَلٍ رضِي اللهُ عنه فيقول: «بَيْنا أنا رَدِيفُ النبيِّ صلّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ»، والرَّدِيفُ: هو الراكبُ خلفَ الراكبِ بإذنِه، «ليس بيني وبينَه إلا آخِرَةُ الرَّحْلِ، والرَّحْلُ للبَعِير كالسَّرْجِ للفَرَس، وآخِرَتُه: هي العُودُ الذي يُجعَل خلفَ الراكِبِ يَستَنِدُ إليه، وفائدةُ ذكرِه: المبالغةُ في شِدَّةِ قُربِه؛ ليكونَ أوقعَ في نفسِ سامِعِه أنَّه ضَبَط ما رواه. فقال صلّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ: «يا مُعاذُ» ثلاثَ مرّاتٍ، وفي كلِّ مَرَّةٍ يَرُدُّ مُعاذٌ رضِي اللهُ عنه عليه: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ. ثُمَّ بَيَّنَ صلّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ حَقَّ الله على عبادِه: وهو أن يَعبُدوه ولا يُشرِكوا به شيئًا، وحَقَّ العِبادِ على الله إذا فَعَلوا ذلك: وهو ألّا يُعذِّبَهم. {وفي الحديث: تواضُع النبيِّ صلّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ؛ فإنَّ إردافَ الإمامِ والشَّريفِ لمَن هو دونه وركوبَه معه، مِن التواضُع وتَرْكُ التكبُّر. وفيه: تَكرارُ المُعلِّمِ أو الواعِظِ النِّداءَ؛ لتأكيدِ الاهتمامِ بما يُخبِر به، وليُكمُل تنبُّه المُتعلِّم فيما يَسمَعُه. وفيه: أنَّ مَن ماتَ على التوحيدِ دخَلَ الجنَّةَ قطعًا}.

اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة: ١٦٥]، وأبغض إله عُبِد في الأرض هو الهوى، قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [الجاثية: ٢٣].

١٠. التلذُّذ بمناجاة الله عز وجل، وأفضله قيام الليل ولو بركعتين، فذلك السبيل لمن أراد العزَّ والشرف؛ فعَنْ جابر بن عبد الله وسهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أتاني جبريلُ، فقال: يا مُحمَّدُ! عِشْ ما شِئتَ فإنَّك مَيِّتٌ، وأحْبِبْ من شِئتَ فإنَّكَ مُفارِقُه، واعمَل ما شِئتَ فإنَّك مَجْزِيٌّ بهِ، واعلَم أنَّ شرفَ المؤمنِ قيامُه باللَّيلِ، وعِزُّه استِغناؤُه عن النّاسِ" [٣٢١]، كيف لا وقد أخبرنا الصادق المصدوق أنّه: "إذا مَضى شَطْرُ اللَّيْلِ، أوْ ثُلُثاهُ، يَنْزِلُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالى إلى السَّماءِ الدُّنْيا، فيَقولُ: هلْ مِن سائِلٍ يُعْطى؟ هلْ مِن داعٍ يُسْتَجابُ له؟ هلْ مِن مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ له؟ حتّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ" [٣٢٢]، وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سَمِعْتُ

٣٢١ حديث حسن: حسّنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٧٣.

٣٢٢ حديثٌ صحيحٌ متفق عليه؛ أخرجه مسلم ١٧٠ - ٧٥٨، وأخرجه البخاري ١١٤٥ بلفظ: "يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالى كُلَّ لَيْلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْألُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَستَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له؟".

الثلُثُ الأخيرُ منَ الليلِ أفضلُ أوقاتِ اللَّيلِ؛ تَصْفو فيه النُّفوسُ، وتَطيبُ فيه العِبادةُ، ويُستَجابُ فيه الدُّعاءُ، خصَّه اللهُ تعالى بالنُّزولِ فيه إلى السَّماءِ الدُّنيا، وتَفضَّلَ على عِبادِه فيه، وأفاضَ الخيرَ على مَن طلَبَه. وفي هذا الحَديثِ بيَّن النبيُّ صلّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ أنَّ اللهَ تَبارَك وتعالى يَنزِلُ كلَّ لَيلةٍ حِينَ يَبْقى الثُّلثُ الأخيرُ مِن اللَّيل، وهو نُزولٌ يَليقُ به جلَّ جَلالُه؛ فإنَّه يَجِبُ الإيمانُ بما ورَدَ في ذلك -وأمثالِه- عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ مِن غَيرِ تَكْييفٍ ولا تَعْطيلٍ، ومِن غيرِ تحريفٍ ولا تمثيلٍ، فيَنزِلُ ربُّنا سُبحانَه إلى السَّماءِ الدُّنيا، وهي السَّماءُ الأُولى القَريبةُ منَ الأرضِ والعِبادِ، ويُنادي سُبحانَه في عِبادِه ويقولُ: مَن يَدْعوني فأسْتَجيبَ له؟ ومَن يَسأَلُني فأُعطيَه، ومَن يَستغفِرُني فأغفِرَ له؟، والدُّعاءُ، والسُّؤالُ، والاستغفارُ إمّا بمعنًى واحدٍ، فذِكْرُ الثَّلاثةِ للتَّوكيدِ. وإمّا لأنَّ طلَبَ العبْدِ لا يَخْلو مِن أنْ يكونَ طَلَبًا لدفْعِ المَضارِّ أو جَلْبِ المنافعِ، والمَضارُّ والمَنافعُ إمّا دُنيويَّةٌ وإمّا دِينيَّةٌ؛ فكرَّرَ

النبيَّ صَلّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ: "إنَّ في اللَّيْلِ لَساعَةً لا يُوافِقُها رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِن أَمْرِ الدُّنْيا والآخِرَةِ، إلّا أَعْطاهُ إيّاهُ، وَذلكَ كُلَّ لَيْلَةٍ" [٣٢٣]، فالمسلم المحبُّ لربّه، يغتنم هدوء الليل، وصفاء النفس بانقطاع العوائق، وانصرام العلائق، فيأنس بربّه، ويتنعَّم بمناجاته، ويتلذَّذ بالشوق إليه، وإدامة دعائه، وقد قيل لإبراهيم بن أدهم وقد نزل من الجبل: من أين أقبلت؟ فقال: "من الأنس بالله" [٣٢٤]، {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [السجدة: ١٦]، وقد سئل الحسن البصري رحمه الله: ما بال المتهجّدين بالليل من أحسن الناس وجوهًا؟ فقال: "لأنهم خلوا بالرحمن، فألبسهم من نوره" [٣٢٥]، وقال له شاب: أعياني قيام الليل،

الثَّلاثةَ لِتَشمَلَها جَميعَها. وخَصَّ اللهُ عزَّ وجلَّ الثُّلُثَ الأخيرَ مِن اللَّيلِ بالنُّزولِ فيه؛ لأنَّه وَقتُ خَلوةٍ وغَفلةٍ واستِغراقٍ في النَّومِ واستلذاذٍ به، ومُفارقةُ اللَّذَّةِ والرّاحةِ صَعبةٌ على العِبادِ؛ فمَن آثَرَ القِيامَ لمُناجاةِ ربِّه والتَّضرُّعِ إليه في غُفرانِ ذُنوبِه، وفَكاكِ رَقبتِه مِن النّارِ، وسَأَله التَّوبةَ في هذا الوقتِ الشّاقِّ، على خَلوةِ نفْسِه بلَذَّتِها، ومُفارقةِ راحتِها وسَكَنِها- فذلك دَليلٌ على خُلوصِ نيَّتِه، وصِحَّةِ رَغبتِه فيما عندَ ربِّه، فضُمِنت له الإجابةُ الَّتي هي مَقرونةٌ بالإخلاصِ وصِدقِ النِّيَّةِ في الدُّعاءِ؛ إذ لا يَقبَلُ اللهُ دُعاءً مِن قلْبٍ غافلٍ لاهٍ؛ فلذلك نبَّهَ اللهُ عِبادَه إلى الدُّعاءِ في هذا الوقتِ، الَّذي تَخْلو فيه النفْسُ مِن خَواطرِ الدُّنيا؛ لِيَستشعِرَ العبدُ الإخلاصَ لرَبِّه، فتَقَعَ الإجابةُ منه تعالى؛ رِفقًا مِن اللهِ بخَلقِه، ورَحمةً لهم. {وفي الحَديثِ: بَيانُ فضْلِ الثُّلثِ الأخيرِ مِن اللَّيل، وفضلِ الصَّلاةِ، والدُّعاءِ فيه}.

٣٢٣ حديثٌ صحيحٌ؛ أخرجه مسلم ١٦٦ - ٧٥٧.

في هذا الحَديثِ يَقولُ جابِرٌ رَضيَ اللَّهُ عنه: سَمِعْتُ النَّبيَّ صَلّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَقولُ: «إنَّ في اللَّيلِ لَساعَةً، أي: يُستَجابُ فيها الدُّعاءُ وَهيَ ساعَةٌ مُبهَمَةٌ كَساعَةِ الجُمُعَةِ، لا يُوافِقُها، أي: يُصادِفُها رَجلٌ مُسلمٌ يَسألُ اللَّهَ خَيرًا مِن أمرِ الدُّنيا والآخرَةِ، إلّا أعطاهُ إيّاه، أي: استَجابَ له، وذلكَ كُلَّ لَيلةٍ»، أي: ثابِتٌ كُلَّ لَيلةٍ. {في الحَديثِ: الحَثُّ عَلى الدُّعاءِ في اللَّيلِ، وتَحرِّي تِلكَ السّاعةِ فيه والاِجتِهادِ فيها}.

٣٢٤ "إحياء علـوم الدين" ص ٣٣٩، و"قـوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد" ص١٠٥.

٣٢٥ كتاب الأول من فوائد أبي الحسين بن غنائم ص ٢٩، أخرجه ابن أبي الدنيا في التهجد، ومحمد بن نصر في قيام الليل.

فقال له: "قيَّدتك خطاياك" [٣٢٦].

١١. التلذُّذ بفعل الطاعة، واعتقاد أنّها خير تسرع إليه، وفضل ترتاح لفعله؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "حُبِّبَ إليَّ النساءُ، والطيبُ، وجعلَتْ قرةُ عَيني في الصلاةِ" [٣٢٧]، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: "يا بلالُ أقمِ الصلاةَ، أرِحْنا بها" [٣٢٨]،

٣٢٦ كتاب موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق ص ١٧٧.

٣٢٧ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح النسائي ٣٩٥٠؛ أخرجه النسائي (٣٩٤٠) واللفظ له، وأحمد (١٣٠٧٩)؛ {وفي رواية: "حُبِّبَ إلي منَ الدُّنيا، النساءُ، والطِّيبُ، وجُعِلَ قرةُ عيني في الصلاةِ" [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح النسائي ٣٩٤٩؛ أخرجه النسائي (٣٩٣٩) واللفظ له، وأحمد (١٣٠٧٩)]}.

كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أعبَدَ النّاسِ وأتْقاهم للهِ عزَّ وجلَّ؛ فلم يكُنْ يُحِبُّ مِن الدُّنيا إلّا الطَّيِّبَ، فأحَبَّ أزواجَه، وأحَبَّ الرَّوائحَ الطَّيِّبةَ؛ مِن مِسْكٍ وغيرِه، وحَثَّ عليه ورغَّبَ فيه، كما يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في هذا الحديثِ: «حُبِّبَ إليَّ مِن الدُّنيا»، أي: نَصيبي منها وما أتحصَّلُ عليه مِن مَتاعِها: «النِّساءُ»، أي: زَوْجاتُه رَضِيَ اللهُ عَنهنَّ، وهنَّ مِن أَوْلى مَن يدخُلُ في قولِه صلى الله عليه وسلم: «خيرُ مَتاعِ الدُّنيا المرأةُ الصّالحةُ»، «والطِّيبُ»، أي: العُطورُ ونَحوُها ممّا يُدَّهَنُ به، «وجُعِلَ قُرَّةُ عَيْني في الصَّلاةِ»، وهذا بيانٌ لعظيمِ محبَّتِه لها؛ وذلكَ لِما فيها مِن القُرْبِ مِن المولى عزَّ وجلَّ؛ فلا شيءَ يُسعِدُه ويُدخِلُ عليه السُّرورَ بمِثْلِ ما تُدخِلُ عليه الصَّلاةُ؛ فقُرَّةُ العينِ يُعبَّرُ بها عنِ المَسرَّةِ ورؤيةِ ما يُحِبُّه الإنسانُ. {وفي الحديثِ: الحَثُّ على التَّطيُّبِ بالرَّوائحِ الطَّيِّبةِ. وفيه: بَيانُ عِظَمِ قَدْرِ الصَّلاةِ عندَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأنَّها يَنبغي أنْ تكونَ الأَوْلى عندَ كلِّ مسلمٍ}.

٣٢٨ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح أبي داود ٤٩٨٥.

الصَّلاةُ أعظمُ أركانِ الإسلامِ العَمليَّةِ، ولها أهمِّيَّتُها الخاصَّةُ في الشَّرعِ، وفيها مِن الرُّوحانيّاتِ والصِّلةِ باللهِ ما يَجْعَلُ القلبَ يَرْتاحُ ويَخْرُجُ مِنْ متاعبِ الدُّنيا إلى مَعِيَّةِ الحَقِّ سُبْحانَه، وقد جعلتُ قُرَّةُ عينِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في الصَّلاةِ. وفي هذا الحديثِ يقولُ رَجُلٌ من خُزاعةَ: سَمِعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقولُ: «يا بلالُ، أَقِمِ الصَّلاةَ، أَرِحْنا بها»، أي: ارْفَعْ أذانَ الصَّلاةِ وأَقِمْها؛ لِنَستريحَ بِها، وكأنَّ دُخولَه فيها هو الرّاحةُ مِنْ تَعَبِ الدُّنيا ومَشاغِلِها؛ لِما فيها مِنْ مُناجاةٍ للهِ تعالى وراحةٍ للرُّوحِ والقَلْبِ، ولا عَجَبَ في ذلك؛ فإنَّه صلى الله عليه وسلم هو القائلُ: «وجُعِلتْ قُرَّةُ عَيْني في الصَّلاةِ»، وطَلَبُ الرّاحةِ في الصَّلاةِ يَصْدُرُ ممَّنْ كان خاشعًا فيها ومُحِبًّا لها، وإنْ كانت ثَقيلةً على البعضِ؛ كما قال اللهُ: {وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلّا عَلى الْخاشِعِينَ} [البقرة: ٤٥]. {وفي

وكذلك سائر العبادات من صيام، وصدقة، وقراءة للقرآن، وسير في حوائج الناس، ومن الناس مَنْ ينتظر الصلاة بعد الصلاة، تلذُّذًا بالمكوث في بيت الله، داعيًا، مُصلِّيًا، باكيًا؛ قال صلى الله عليه وسلم: "أَلا أَدُلُّكُمْ على ما يَمْحُو اللَّهُ به الخَطايا، ويَرْفَعُ به الدَّرَجاتِ؟" قالُوا بَلى يا رَسولَ اللهِ، قالَ: "إسْباغُ الوُضُوءِ على المَكارِهِ، وكَثْرَةُ الخُطا إلى المَساجِدِ، وانْتِظارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّباطُ". وليسَ في حَديثِ شُعْبَةَ ذِكْرُ الرِّباطِ. وفي حَديثِ مالِكٍ ثِنْتَيْنِ فَذَلِكُمُ الرِّباطُ، فَذَلِكُمُ الرِّباطُ [٣٢٩]، {والرباط: حبس النفس على هذه الطاعة}، وكان عطاء السليمي رحمه الله إذا فرغ من وضوئه، انتفض، وارتعد، وبكى بكاءً شديدًا، فيُقال له في ذلك، فيقول: "إني أريد أن أُقدِمَ على أمرٍ عظيمٍ، أريد أن أقوم بين يدي الله عز وجل" [٣٣٠].

١٢. الإحساس بالحسرة والأسى عند فوات الطاعة أو تركها، فإن فات المحب لربّه

الحَديثِ: أنَّ الصَّلاةَ راحةٌ للقَلْبِ مِنْ تَعَبِ الدُّنيا ومَشاغِلِها}.

٣٢٩ حديثٌ صحيحٌ؛ أخرجه مسلم ٤١ - ٢٥١.

كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يَحرِص على أنْ يَدُلَّ أصحابَه رضِيَ اللهُ عنهم على الخيرِ، وفي هذا المعنى يقول النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم مُخاطِبًا أصحابه: أَلا أَدُلُّكم، أي: أَلا تُريدون أنْ أُخبِرَكم وأُطْلِعَكم، على ما يَمْحو اللهُ، أي: يَغفِر ويَستُر، به الخطايا أي: ما كان من ذُنوبٍ ومعاصٍ، ويَرفع به الدَّرجات، أي: ويكون سببًا في عُلُوِّ المَنزِلة في الدُّنيا والآخِرة؟ فقال الصَّحابةُ رضِيَ الله عنهم: بَلى يا رسولَ الله! أي: دُلَّنا يا رسولَ الله، على ذلك الخيرِ، فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: إسْباغُ الوضوء على المَكارِهِ، أي: إتْمامُه وإعْطاءُ كلِّ عُضوٍ حقَّهُ من الماءِ، والمَكارِهُ تَكونُ بِشدَّةِ البردِ وأَلَمِ الجِسمِ، فَيُكْرِه الرَّجُلُ نَفسَهُ عَلى الوُضُوء فِي شِّدَة البَرْدِ. وكَثْرةُ الخُطا إلى المساجِد، أي: والإكثارُ من الذِّهاب إلى المساجِد لإدراكِ الجماعاتِ، وانتظارُ الصَّلاة بعد الصَّلاة، أي: البقاءُ في المسجِد وانتظارُ الفرائِض بها لا يَقطعُه منها إلّا الحاجةُ، فَذَلِكُمُ، أي: هذه الأعمال الثَّلاثة هي: الرِّباط، أي: يكون صاحِبها في مَنزِلةُ مَنْ يُرابِط في سبيلِ الله تعالى، والمُرابِط في سبيلِ اللهِ تعالى هو الَّذي يُلازِم ثُغورَ بلادِ المسلمين مع بلادِ الكُفّار لحراسَتِها، وهذا من أَعظمِ الأعمال عند الله عزَّ وجلَّ. وقوله: (فَذَلِكُمُ الرِّباط، فَذَلِكُمُ الرِّباط)، أي: للإِشْماعِ والتَّأكيدِ بما في تلكِ الأعمالِ من عِظَمِ أَجْرٍ.

٣٣٠ كتاب حياة السلف بين القول والعمل؛ أحمد الطيار ص ٥١٨، الحلية (تهذيبه) ٢/ ٣٢٠.

الاستيقاظ إلى صلاة الصبح، رأيته حزينًا كئيبًا، متألم القلب، كاسِفَ البال، قد فاته خيرٌ عظيمٌ، أعظم من فوات صفقة تجارية رابحة، أو سفر لقضاء حاجة ملحَّة؛ روي أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاتته صلاة العصر مع جماعة، فتصدَّق بأرض قيمتها مائة ألف درهم [٣٣١]، وعن نافع أنَّ ابنَ عُمَرَ رضي الله عنهما كان إذا فاتَتْه العِشاءُ في جَماعةٍ، أحيا بَقيَّةَ لَيلَتِه [٣٣٢]، وهذا حاتم الأصم، فاتته صلاة العصر في جماعة، فصلَّاها في البيت، فجلس يبكي؛ لأنّ صلاة الجماعة قد فاتته [٣٣٣].

١٣. الغيرة على محارم الله إذا انتُهكت، وحزن القلب لشعائر الله إذا هُجرت، وقلق النفس للمنكرات إذا تفشَّت، وضيق الصدر لحدود الله إذا تُعدِيَت؛ لأنّ المؤمن يحبُّ للناس ما يحبُّ لنفسه.

١٤. الهداية إلى السعي في مصالح العباد وحاجاتهم؛ قال صلى الله عليه وسلم: "أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلمٍ ، أوْ يكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا، ولأنْ أَمْشِي مع أَخٍ لي في حاجَةٍ أحبُّ إِلَيَّ من أنْ اعْتَكِفَ في هذا المسجدِ، يعني مسجدَ المدينةِ شهرًا، ومَنْ كَفَّ غضبَهُ سترَ اللهُ عَوْرَتَهُ، ومَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، ولَوْ شاءَ أنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قلبَهُ رَجَاءً يومَ القيامةِ، ومَنْ مَشَى مع أَخِيهِ في حاجَةٍ حتى تتَهَيَّأَ لهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يومَ تَزُولُ الأَقْدَامِ، [وإِنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفْسِدُ العَمَلَ، كما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ] [٣٣٤]،

٣٣١ كتاب التهجد لعبد الحق الاشبيلي ص ٥٥، كتاب الصلاة والتهجد لابن الخراط ص ١٠٣.

٣٣٢ سير أعلام النبلاء ٢١٥/٣.

٣٣٣ دروس للشيخ نبيل العوضي - ندم الصالحين على فوات الطاعة ص ٤.

٣٣٤ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي السلسلة الصحيحة ٩٠٦؛ أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٦٠٢٦، وأبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (٩٧) باختلاف يسير.

كان الصَّحابةُ رضِيَ اللهُ عنهم -لحرصِهم على الطَّاعاتِ وما يُقرِّبُ مِن رِضا اللهِ عزَّ وجلَّ- كثيرًا ما يسأَلون النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن أفضَلِ الأعمالِ، وأكثرِها قُربةً إلى اللهِ تَعالى، فكانت إجاباتُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الْمُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ، مَن كانَ في حاجَةِ أَخِيهِ كانَ اللَّهُ في حاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عنْه بها كُرْبَةً

وسلَّم تختلِفُ باختلافِ أشخاصِهم وأحوالِهم، وما هو أكثرُ نفعًا لكلِّ واحدٍ منهم. وفي هذا الحديثِ يقول النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "أحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفَعُهم للناسِ"، أي: أكثَرُ مَن يَنتفِعُ الناسُ بهم، وهذا لا يَقتصِرُ على النَّفعِ المادِّيِّ فَقَطْ، ولكنَّه يمتَدُّ ليشمَلَ النَّفعَ بالعِلمِ، والنَّفعَ بالرَّأْيِ، والنَّفعَ بالنَّصيحَةِ، والنَّفعَ بالمَشورةِ، والنَّفعَ بالجاهِ، والنَّفعَ بالسُّلطانِ، ونحوَ ذلك، فكُلُّ هذه من صُوَرِ النَّفعِ التي تجعَلُ صاحِبَها يشرُفُ بحُبِّ اللهِ له، "وأحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ سُرورٌ يُدخِلُه على مُسلِمٍ"، أي: أنَّ أحَبَّ الأعمالِ: هي السَّعادَةُ التي تُدخِلُها على قَلبِ المُسلِمِ، وهذا يَختلِفُ باختِلافِ الأحوالِ والأفرادِ، فقد يتحقَّقُ السُّرورُ في قلْبِ المُسلِمِ بسُؤالِ أخيه عنه، وقد يتحقَّقُ بزيارةِ أخيه له، وقد يتحقَّقُ بهدِيَّةِ أخيه له، وقد يتحقَّقُ بأيِّ شَيءٍ سِوى ذلك، الأصْلُ أنْ تُدخِلَ السُّرورَ عليه بأيِّ طريقةٍ استطَعْتَ، "أو يَكشِفُ عنه كُربَةً"، والكُربَةُ: هي الشِّدَّةُ العظيمةُ التي تُوقِعُ صاحِبَها في الهَمِّ والغَمِّ، فمَنِ استطاعَ أنْ يَكشِفَ عن أخيه كُرْبَه، ويَرفَعَ عنه غَمَّه، فقد وُفِّقَ بذلك إلى أفضَلِ الأعمالِ، "أو يَقضي عنه دَينًا"، أي: تَقْضي عن صاحِبِ الدَّينِ دَينَه؛ وذلك فيمن يَعجَزُ عن الوفاءِ بدَينِه، "أو تطرُدُ عنه جُوعًا"، أي: بإطعامِه أو إعطائِه ما يقومُ مَقامَ الإطعامِ، "ولِأَنْ أَمشِيَ معَ أخٍ لي في حاجَةٍ أحَبُّ إليَّ مِن أنْ أَعتكِفَ في هذا المسجِدِ، يعني: مسجِدَ المدينَةِ شَهرًا"، ففي قولِه هذا إشارةٌ إلى فضْلِ المشْيِ مع المُسلِمينَ في قَضاءِ حوائِجِهم، وتَيسيرِ العَقَباتِ لهم، حتى جاوَز هذا الفضْلُ الاعتكافَ في مسجِدِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ولا يَدُلُّ هذا إلَّا على عَظيمِ فضْلِ السَّعيِ بين المُسلِمينَ لقَضاءِ حوائجِهم، "ومَن كَفَّ غَضَبَه سَتَرَ اللهُ عَورَتَه"، وفيه إرشادٌ إلى ما يَجِبُ أنْ يأخُذَ المُسلِمُ به نفسَه وقتَ الغَضَبِ، من كَفِّ الغَضَبِ وكظْمِ الغَيظِ، وأنَّ عاقِبَةَ ذلك طَيِّبةٌ، وهي سَترُ اللهِ عزَّ وجلَّ لعَورَتِه، "ومَن كَظَمَ غيظَه، ولو شاءَ أنْ يُمضِيَه أمضاهُ مَلَأَ اللهُ قلْبَه رَجاءً يومَ القيامَةِ"، وهذا فضْلُ مَن كَظَمَ غيظَه للهِ، مع استطاعَتِه أنْ يُمضِيَ غيظَه، ولكِنَّه كَظَمَه ومَنَعَه للهِ؛ ولأنَّ هذا الأمرَ عزيزٌ على النَّفسِ، فكان فضْلُه عظيمًا، "ومَن مَشى معَ أخيه في حاجَةٍ حتى تتهيَّأَ له"، أي: حتى تُقْضى له، "أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَه يوم تَزولُ الأقدامُ"، أي: ثبَّت اللهُ قَدَمَه يومَ القيامَةِ على الصِّراطِ. ثم قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "وإنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفسِدُ العَمَلَ، كما يُفسِدُ الخَلُّ العَسَلَ"، خَتَمَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بهذه العِباراتِ، وهذا الإرشادِ، بعدَ أنْ أرشَدَ السائِلَ إلى أحَبِّ الأعمالِ إلى اللهِ تَعالى، وكأنَّه أرادَ أن يقولَ له: إنْ فَعَلتَ هذه الأعمالَ الصالِحَةَ، فإيَّاك أنْ يَفوتَك حُسْنُ الخُلُقِ؛ فإنَّ سوءَ الخُلُقِ يُفسِدُ الأعمالَ الصالِحَةَ، فَسادًا عَظيمًا، كما يفسُدُ العَسَلُ إذا وُضِعَ عليه الخَلُّ، فعليكَ -إذنْ- أنْ تَجتنِبَ سوءَ الخُلُقِ؛ فإنَّ سوءَ الخُلُقِ يُحبِطُ الأعمالَ، ويُضيعُ الثَّوابَ. {وفي الحديثِ: الحثُّ على مَكارِمِ الأخلاقِ والتَّحذيرُ من سُوءِ الخُلُقِ}.

مِن كُرَبِ يَومِ القِيامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يومَ القِيامَةِ" [٣٣٥]، ومن بديع بشارات رسول الله صلى الله عليه وسلم، قوله: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِمًا قَرْضًا مَرَّتَيْنِ، إِلاَّ كَانَ كَصَدَقَتِهَا مَرَّةً" [٣٣٦]، فإن أحببت أن ترفع من مقامك عند ربك، وأن تتقرب إليه

٣٣٥ حديثٌ صحيحٌ متفق عليه: صحيح مسلم ٥٨ - ٢٥٨٠؛ أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٥٨ - ٢٥٨٠).
بَنى الإسلامُ مُجتمَعَ المسلمين على أساسٍ مَتينٍ منَ الأُخوَّةِ والتَّآزُرِ فيما بيْنهم، فقال اللهُ سبحانه وتعالى عزّ وجلّ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: ١٠]، وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بما يَنْبغي أنْ يكونَ عليه المُسلِمُ تُجاهَ أخيهِ المسلمِ، فيُبيّنُ أنَّ المسلِمَ -سواءٌ كان حرًّا أو عبْدًا، بالغًا أو غيرَ بالِغٍ- أخُو المسلِمِ في الإسلامِ، لا يَقومُ بظُلمِه؛ فإنَّ اللهَ سُبحانه حرَّمَ قَليلَ الظُّلمِ وكَثيرَه، وفي الوقتِ نفْسِه لا يَترُكُه إلى الظُّلمِ دونَ أنْ يُعينَه، ولا يَترُكُه مع مَن يُؤذِيه دونَ أنْ يَحميَه قدْرَ استطاعتِه. ويُخبِرُ أنَّ مَن سَعى في قَضاءِ حاجةِ أخيه المسلمِ، أعانَهُ اللهُ تعالى وسَهَّل عليه قَضاءَ حاجتِه. ومَن ساعَدَ مُسلِمًا في كُربةٍ نزَلَت به مِن كُرُباتِ الدُّنيا، أي: في غمٍّ يُؤثِّرُ في نفْسِه، أو في مُصيبَةٍ مِن مَصائبِ الدُّنيا حتّى يَزولَ غَمُّه ومُصِيبتُه؛ أزالَ اللهُ عنه مُصيبةً وهَوْلًا مِن أهْوالِ يومِ القيامةِ. ومَن اطَّلَع مِن أخِيه على عَوْرَةٍ أو زَلَّةٍ، فسَتَره ولم يَفْضَحْه، سَتَره اللهُ يومَ القيامةِ. ولا يَعني هذا أنْ يَسكُتَ عن مَعصيةٍ إنْ رآهُ مُتلبِّسًا بها، بلْ يَجِبُ عليه نُصْحُه والإنكارُ عليه بما شُرِعَ مِن وَسائلِ الإنكارِ حتّى يَنتهِيَ عن مَعصيتِه، فهذا مِن النَّصيحةِ الواجبةِ.
٣٣٦ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح ابن ماجه ١٩٨٧؛ أخرجه ابن ماجه (٢٤٣٠) واللفظ له، وابن حبان (٥٠٤٠)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١٥٩/٤).
حَثَّتْ شَريعةُ الإسلامِ الحَكيمةُ على التَّراحُمِ والتَّعاوُنِ على البِرِّ والتَّقوى، وأنْ يُنَفِّسَ النّاسُ عن بعضِهم البعضِ في الكُرباتِ والمُلِّماتِ، وأمَرَ الطَّرفينِ -الدّائنَ والمدينَ- بمعرفةِ حقِّ الطَّرَفِ الآخرِ. وفي هذا الحديثِ يُخْبِرُ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «ما مِن مُسلمٍ يُقرِضُ مُسلمًا قَرْضًا مرَّتينِ، إلّا كان كصدَقَتِها مرَّةً»، أي: إذا أقرَضَ مرَّتينِ، كان ذلك كما لو تصدَّقَ على المُقترِضِ مَرَّةً واحدةً، وله أجرُ الصَّدقةِ، وقد قال اللهُ تعالى: {مَنْ ذا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافًا كَثِيرَةً واللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: ٢٤٥]، وفيه حَثُّ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم على الإقراضِ والمُعاونةِ، وقَضاءِ حاجةِ المُسلمِ، وتَفريجِ كُربتِه وسَدِّ فاقتِه، وقد قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في فَضلِ التَّنفيسِ عن النّاسِ كما في صَحيحِ مُسلمٍ: «مَن نفَّسَ عن مُؤمنٍ كُربةً مِن كُرَبِ الدُّنيا، نفَّسَ اللهُ عنه كُربةً مِن كُربِ يومِ القِيامةِ، ومَن يسَّرَ على مُعسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عليه في الدُّنيا والآخِرةِ، ومَن ستَرَ مُسلمًا، ستَرَه اللهُ في الدُّنيا والآخرةِ...، الحديثَ». ولهذا الحديثِ قِصَّةٌ أورَدَها ابنُ ماجَه عندَ رِوايتِه للحديثِ: «كان سُليمانُ بنُ أُذْنانٍ يُقرِضُ عَلقمةَ ألفَ دِرهمٍ

بما به يحبك، فأعِن المسكين والملهوف وذا الحاجة، وسِرْ في قضاء حوائج الناس، بإدخال السرور على أخيك، أو قضاء دينه، أو طرد جوعته، أو كشف كُربته، أو مسح دمعته.

١٥. التوفيق إلى الإكثار من النوافل بعد الفرائض: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادى لي وليًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ" [٣٣٧].

١٦. التوفيق إلى صلاة الجماعة والصف الأول: فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا الصُّبْحَ فَقَالَ: "أَشَاهِدٌ فُلاَنٌ؟"، قَالُوا: لَا، قَالَ: "أَشَاهِدٌ فُلاَنٌ؟"، قَالُوا: لَا، قَالَ: "إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلاَتَيْنِ {الصبح والعشاء} أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَيْتُمُوهُمَا وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الرُّكَبِ، وَإِنَّ الصَّفَّ الأَوَّلَ عَلَى مِثْلِ صَفِّ الْمَلاَئِكَةِ، وَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا فَضِيلَتُهُ لابْتَدَرْتُمُوهُ، وَإِنَّ صَلاَةَ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَى مِنْ صَلاَتِهِ وَحْدَهُ، وَصَلاَتُهُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَى مِنْ صَلاَتِهِ مَعَ

إلى عَطائِه»، أي: إلى موعدِ أخْذِه للعطاءِ مِن الدِّيوانِ، «فلمّا خرَجَ عطاؤُه تقاضاها منه واشتَدَّ عليه»، أي: في طلَبِ قَضاءِ الدَّينِ، "فقضاه، فكأنَّ عَلقمةَ غضِبَ، فمكَثَ أشهُرًا ثمَّ أتاه، فقال: أقرِضْني ألفَ دِرهمٍ إلى عَطائي، قال: نعمْ، وكَرامةً! يا أُمَّ عُتبةَ، هاتِي تلك الخريطةَ المختومةَ الَّتي عندك، فجاءتْ بها، فقال: أمّا واللهِ إنَّها لَدَراهمُك الَّتي قَضَيْتِني، ما حرَّكْتُ منها دِرهمًا واحدًا. قال: فللهِ أبوكَ! ما حمَلَك على ما فعلْتَ بي؟ قال: ما سمِعْتُ منك، قال: ما سمِعْتَ مِنّي؟ قال: سمِعْتُك تذكُرُ عنِ ابنِ مسعودٍ، أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «ما مِن مُسلِمٍ يُقرِضُ..." ثم ذَكَر الحديثَ.

وفي الحديثِ: بيانُ فضْلِ القَرضِ مع الصَّبرِ على المُقترِضِ.

٣٣٧ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٦٥٠٢.

الرَّجُلِ، وَمَا كَثُرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى" [٣٣٨].

٣٣٨ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح أبي داود ٥٥٤؛ أخرجه أبو داود (٥٥٤) واللفظ له، والنسائي (٨٤٣)، وأحمد (٢١٢٦٥).

الصَّلاةُ عمادُ الدِّينِ، وركنُ الإسلامِ الرَّكينُ، وقد حثَّنا الشَّرعُ على الإسراعِ إليها واللَّحاقِ بالصَّفِّ الأوَّلِ، وعدمِ التَّخلُّفِ عن الجماعةِ؛ لِمَا فيه مِن الثَّوابِ والأجرِ المضاعَفِ. وفي هذا الحديثُ يُخبِرُ أُبَيُّ بنُ كعبٍ رضِيَ اللهُ عنه: "أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم صلَّى يومًا صلاةَ الصُّبحِ"، أي: الفَجرِ، فقال: "أَشَهِدَ فلانٌ الصَّلاةَ؟"، أي: هل حضَر فُلانٌ صلاةَ الفجرِ هذه، ولعلَّ أُبيًّا لم يَعرِفِ اسْمَ الرَّجُلَينِ، فكنَّى عنهما بفُلانٍ وفلانٍ، أو أبْهَمَهما للسَّترِ عليهما، وسَببُ سؤالِ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم عنهما، أنَّه رأى قِلَّةَ الحاضِرِين، كما بيَّنَته روايةٌ أخرى عندَ الإمامِ أحمدَ، وفيها: أنَّه "رأى مِن أهلِ المسجدِ قِلَّةً، فقال: "شاهِدٌ فُلانٌ؟." "قالوا: لا"، أي: لم يَحضُرْها، فقال النَّبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: "ففُلانٌ؟"، أي: هل شَهِد وحضَر فلانٌ الصَّلاةَ هو الآخَرُ؟ "قالوا: لا"، قال النَّبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: "إنَّ هاتَيْن الصَّلاتَين"، يَعني صَلاتَي الصُّبحِ والعِشاءِ، كما في الصَّحيحَينِ، أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: "إنَّ أثْقَلَ الصَّلاةِ على المنافِقين صلاةُ العِشاءِ وصلاةُ الفجرِ"؛ وذلك لغَلَبةِ كَسلِهم فيهما، وتَثْبيطِهم عَنهُما لِرِيائِهم؛ فإنَّهما في وقتِ نومِ النَّاسِ، ولا يَنتهِضُ للهِ عزَّ وجلَّ فيهما مِن فِراشِه عن لَذيذِ نومِه إلَّا مُؤمنٌ تقيٌّ. وقولُه: "مِن أثقَلِ الصَّلاةِ"، يَدُلُّ على أنَّ الصَّلَواتِ كلَّها ثقيلةٌ على المنافِقين، ولكنَّ الفجرَ والعِشاءَ هُما الأثقَلُ عليهم، كما يدُلُّ عليه قولُه تعالى: {وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى} [التوبة: ٥٤]، "ولو يَعلَمون ما فيهما لأتَوْهُما ولو حَبْوًا"، يَعني: لو يَعلَمُ المنافِقون ما أُعِدَّ لِمَن صلَّى هاتينِ الصَّلاتَينِ جماعةً في المسجدِ مِن الأجرِ والثوابِ الزَّائدِ على غَيرِهما مِن الصَّلواتِ؛ لِمَزيدِ المشقَّةِ فيهما، لجاؤوا إلى المسجِدِ لِأدائِهما جماعةً، ولو كان المجيءُ زَحفًا على الرُّكَبِ وعلى اليدَينِ والبَطنِ. ثمَّ قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: "والصَّفُّ الأوَّلُ على مِثلِ صفِّ الملائكةِ"، يَعني أنَّ الصَّفَّ الأوَّلَ، الَّذي يَلي الإمامَ في الفضلِ والقُربِ مِن اللهِ تعالى، والبُعدِ مِن الشَّيطانِ كمِثْلِ صفِّ الملائكةِ عِندَ ربِّهم، أو على أجْرٍ وفضلٍ مثلِ أجرِ صَفِّ الملائكةِ، أو فضلِه، "ولو تَعْلَمون فضيلتَه"، والفضيلةُ: الخيرُ الَّذي يَكونُ في الشَّيءِ، والمرادُ به الثَّوابُ المترتِّبُ على السِّباقِ واللَّحاقِ بالصَّفِّ الأوَّلِ "لابتَدَرْتُموه"، أي: لَسابقَ كلٌّ مِنكم أخاه لِتَحصيلِ هذا الفضلِ والأجرِ، ثمَّ انتقَل إلى بَيانِ فَضلِ كَثرةِ الجماعةِ بقولِه: "وصلاةُ الرَّجلِ مع الرَّجلِ أَزْكى مِن صلاتِه وحْدَه"، أي: أكثرُ ثَوابًا، أو أكثرُ طَهارةً وبُعدًا مِن رِجْسِ الشَّيطانِ، وتَسويلِه، وإنْ كانتْ صلاتُه مُنفرِدًا صَحيحةً أيضًا، "وصلاتُه مع الرَّجُلَين أَزْكى مِن صَلاتِه مع الرَّجُلِ، وما كانوا أكثرَ فهو أحَبُّ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ"، أي: كُلَّما كان المصلُّون جَماعةً أكثرَ كان أحَبَّ إلى اللهِ تعالى. {وفي الحديثِ: أنَّ صلاةَ الجماعةِ تَحصُلُ باثنَينِ؛ إمامٍ ومأمومٍ، وأنَّ الجماعةَ تتَفاوَتُ في الفَضلِ بكَثرةِ حاضِريها. وفيه: أنَّه يَنبَغي لإمامِ القومِ أن يتفقَّدَ أحوالَ المأمومين، ويَسألَ عمَّن غاب منهم. وفيه: التَّرغيبُ في

١٧. كتابة القبول للعبد في الأرض؛ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إِذا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نادى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فأَحْبِبْهُ، فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فيُنادِي جِبْرِيلُ في أَهْلِ السَّماءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فأَحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّماءِ، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأَرْضِ" [٣٣٩].

١٨. التوفيق إلى عمل صالح قبل الموت؛ قَالَ رَسُولُ صلى الله عليه وسلم: "إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا عَسَّلَهُ")، قَالوا: ما عسَّلَه يا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: "يُوَفِّقُ لَهُ عَمَلا صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِهِ، حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ جِيرَانُهُ"، أَوْ قَالَ: "مَنْ حَوْلَهُ" [٣٤٠]، وفي رواية: "إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا استعمَلَهُ قِيلَ: كيفَ يَستعمِلُهُ؟ قال: يُوفِّقُهُ لعملٍ صالحٍ قبلَ الموْتِ ثمَّ يَقبِضُهُ عليهِ" [٣٤١].

صَلاةِ الجَماعةِ في العِشاءِ والفجرِ، وأنَّ مُلازمةَ صلاةِ الجماعةِ، وخاصَّةً في العِشاءِ والفجرِ مِن علاماتِ الإيمانِ. وفيه: أنَّ الصَّلاةَ ثَقيلةٌ على المنافِقين، وأثقَلُها صَلاةُ العشاءِ وصلاةُ الفجرِ. وفيه: بيانُ فضلِ الصَّفِّ الأوَّلِ، والتَّرغيبُ في المبادَرةِ إليه}.

٣٣٩ حديثٌ صحيحٌ متفق عليه: صحيح البخاري ٣٢٠٩؛ أخرجه البخاري (٦٠٤٠)، ومسلم (١٥٧ - ٢٦٣٧) • في هذا الحَديثِ بَيانُ فَضلِ تَحصيلِ مَحبَّةِ اللهِ تعالى وما يَترَتَّبُ عليها مِنَ الجَزاءِ في الدُّنيا، فَضلًا على ما يَترَتَّبُ عليها مِن نَعيمِ الآخِرةِ؛ فيُبيِّنُ النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم أنَّه سُبحانَه وتعالى إذا أحَبَّ عَبدًا -بسَببِ طاعَتِه له- نادى الحَقُّ تَبارَكَ وتعالى جِبريلَ عليه السَّلامُ، وقال: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا، فأحْبِبْه، فيُحِبُّه جِبريلُ، ثمَّ يُنادي جِبريلُ في أهلِ السَّماءِ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحِبُّوه، فيُحِبُّه أهلُ السَّماءِ، والمُرادُ بأهلِ السَّماءِ المَلائِكةُ، ثمَّ يُوضَعُ له القَبولُ في الأرضِ عِندَ أكثَرِ مَن يَعرِفُه مِنَ المُؤمِنينَ، ويَبْقى له ذِكرٌ صالحٌ، ويُقالُ: مَعناه: يُلقي في قُلوبِ أهلِها مَحَبَّتَه مادِحينَ له، فتَميلُ إليه القُلوبُ وتَرضى عنه. وصِفةُ المَحبَّةِ ثابِتةٌ للهِ سُبحانَه على ظاهِرِها على ما يَليقُ بجَلالِ اللهِ سُبحانَه وتعالى، وحُبُّ جِبريلَ والمَلائكةِ يَحتَمِلُ وَجهَيْنِ؛ أحَدُهما: استِغفارُهم له، وثَناؤُهم عليه، ودُعاؤُهم، والوَجْهُ الآخَرُ: أنَّ مَحَبَّتَهم على ظاهِرِها المَعروفِ مِنَ المَخلوقينَ، وهو مَيلُ القَلبِ إليه، واشتياقُه إلى لِقائِه، وسَبَبُ حُبِّهم إيّاه كَونُه مُطيعًا للهِ تَعالى، مَحبوبًا منه.

٣٤٠ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي الترغيب ٣٣٥٨.

٣٤١ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٣٠٥؛ أخرجه الترمذي (٢١٤٢)، وأحمد (١٢٢٣٥) باختلاف يسير.